

الجامعة العربية السعودية  
جامعة الملك عبد العزيز  
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
قسم الدراسات العليا العربية  
فج الأدب



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠١٢٠

# أبو بكر الخوارزمي

حياته وأدبه

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

١٥٥٢

إعداد:

عائض سعد الحارثي



إشراف:

الأستاذ الدكتور محمد نبيه جباب

١٣٩٧ هـ / ١٣٩٨

١٩٧٧ م / ١٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

(أ)

### المقدمة

كثرت كثيراً ما أقرأ وأسمع عن شهرة أبي بكر الخوارزمي في عالم الأدب . .  
فلا تكاد تذكر الرسائل الإخوانية إلا وذكر علمها الخوارزمي . . ولا يأتي ذكر  
المناظرات إلا وتكون مناظرة الخوارزمي وديع الزمان أول ما يتبادر إلى الذهن .

حتى قرأت في مجلة الأزهر مانعه : " ومن العجب أن يكتب الكاتبون من  
إخواننا رسائل متفرقة في أدباء هم أقل شأنًا من أبي بكر ، وهملون أبا بكر  
الخوارزمي ، فلا يكتب عنه كاتب من المحدثين .

وقد أغفله حساده ومناجزوه ، ليظل في التاريخ مجهولاً وفي عالمهم  
الأدب مغموراً " (١)

فمجيئ بدوري لإغفال الدارسين لأديب يمد من أكبر أدباء القرن الرابع  
الهجري . . أسهم في الأدب شعره ونثره وألف في النقد والنساب والأمثال  
وكانت له المكانة الأولى لدى الولاة والوزراء في عصره . .

فلما أشار على أستاذي الدكتور محمد نبيه حجاب بهذا الموضوع ، زاد  
عزمي مضاً وأصراراً على اتخاذ موضوعاً لرسالتي هذه التي أتقدم بها للماستري .  
مع علمي أنه موضوع بكر لم يخدم ولم يعن به ، إلا من خلال تلك الترجمات السني  
تقتصر على تاريخ ولادته ووفاته ونسب من شعره ونثره .

ولم يقلل من عزمي صعوبة جمع مادته وتفرقها في المصادر المختلفة وخاصة  
المخطوط منها ، بل ذلك ما دفعني أكثر للمضي في دراسة هذا الموضوع . .  
لأنني الرجل الذي ساهم في اغناء تراثنا . . بعض حقه من الوفاء ، وقد ظننت -

---

(١) مجلة الأزهر جزء ٣ السنة الرابعة والثلاثون .

-عند ما بدأت البحث - أن المصادر التي يمكن الرجوع اليها في هذا الموضوع غنية ومتنوعة عن حياة الخوارزمي وأدبه لما طار له من الشهرة والذكر . ولكنني حين رجعت لتلك المصادر لم أفر بكثير من التفاصيل التي توضح ماغضى من حياته وماضاه من أدبه . فأكثرها يكتفى بذكر اسمه ، ونسبته وشهرته وشي\* من أبياته السائرة .

وأكثر من كتب عنه هو تلميذه الثعالبي في كتابه بتيمة الدهر الذي أمدني بطائفة من شعره ، ولكنه بخل علينا في ترجمته لحياته بالمعلومات الوافية عنها . فقد اقتصر على معلومات لا تفي الباحث كثيرا مع أن كل من ترجم للخوارزمي يستمد كل معلوماته منها . .

وقد تناولت بعض المراجع الحديثة حياة الخوارزمي وأدبه ولكن أكثرها - أو كلها قام على تكرار ما ذكره السابقون ، وقد أهملت تلك المراجع مؤلفات الخوارزمي وحضها أضاف اليه كتب ليست له وأغفل ما هو له .

وكان الظلم الذي لحق الخوارزمي في حياته لا زال يلاحقه بعد مماته بتجاهله وإهمال أدبه . وقد اقتضتني طبيعة البحث أن أجعل له تمهيدا عن نشوء الأوطان السياسية في العصر العباسي الثاني ، وذلك أن التجزء الذي أصاب الخلافة الإسلامية في القرن الرابع ، كان له أثره على مسار الأدب وازدهاره كما كان له أثره في تعدد مراكز الثقافة في البلاد الإسلامية في هذا العصر .

وقد كان الخوارزمي كثير التجوال بين تلك المراكز ، كثير الاحتكاك ، والصدام - أحيانا - مع وزرائها وولاة الأمرفيها . ولم أغفل الحالتين الاجتماعية والاقتصادية من حيث أن نتاج الأديب هو ثمرة التفاعل بينه وبين بيئته ومجتمعه .

وجعلت للبحث ثلاثة أبواب :

عقدت الباب الأول - الذى يعتبر تمهيدا للأبواب الأخرى - للحديث عن عصره الأدبى وقسمته الى فصلين تناولت فى الفصل الأول بيئات الأدب فى عصره ، واقتصرت فى حديثى عنها على بيئة فارس وخراسان ، وبيئة العراق ، وبيئة الشام ، حيث اقتصرت رحلات الخوارزمى على تلك البيئات .

وأفردت الفصل الثانى لظاهرة المناظرات العلمية والأدبية فى العصر العباسى الثانى ، حيث كانت تلك المناظرات سمة العصر البارزة التى عمت شتى العلوم . ولأن الخوارزمى يعد علما من أعلامها . . وقد كانت نهاية حياته نتيجة لقلبة أحد خصومه عليه فى إحدى تلك المناظرات ، وقد اقتضانى بحثى فى هذه الظاهرة التى لم يحالجها أحد من الدارسين أن أبين جذورها من العصر الجاهلى ومرورا بالعصر الاسلامى وما بعده .

وتناولت فى الباب الثانى حياته العامة ، وقسمته الى فصلين . . درست فى الفصل الأول أصله ونسبه ومولده وموطنه ووفاته ، وثقافته وأساتذته وتلاميذه . واستعرضت فى الفصل الثانى :

رحلاته الأدبية ، وصلاته بالأمراء والوزراء والكتاب فى مختلف الأقاليم . أما الباب الثالث ، وهوبيت القصيد فجعلته لدراسة أدبه وأسلوبه ، وقسمته خمسة فصول .

تناولت فى الفصل الأول :

مصادر أدبه المطبوع منها والمخطوط .

وجعلت الفصل الثانى لدراسة نشره من خلال رسائله الموجودة فى ديوانه .

ولم يفتنى أن أشغمها بتلك الرسائل التى عثرت عليها مما لم يحوه الديوان . . ومقدمة كتابه الأمثال التى هي بمنزلة أشبهه .

كذلك شفعتها بالمناظرة التي دارت بينه وبين بديع الزمان ثم ختمت  
الفصل بخصائص نشره الفنية ومدرسته الأدبية .

أما الفصل الثالث ، فقد أفردته لشعره بأغراضه المختلفة وخصائصه  
الفنية ، وإن كان له نظرات في النقد فقد أفردت لها الفصل الرابع .

وأخيرا أبرزت مكانته الأدبية من خلال موازلته بخيره من أدباء عصره ففى  
الفصل الخامس والأخير ، وفى الخاتمة لخصت ما درسته فى هذه الأبواب والفصول .  
وقد عولت فى دراستى هذه .. على رسائله ومقدمة كتابه الأمثال ، وغيرها من  
آثاره الأدبية .

كما استقيت الكثير من شعره ونظراته فى النقد من كتب الشعالي المخطوط  
منها والمطبوع ، كما أمدتني المخطوطات الأخرى بطائفة من منظومه ونشوره ككتاب  
العتبي ومخطوطة رسائل بديع الزمان وغيرها ، وقد اقتضانى البحث عن مؤلفات  
الخوارزمي والتحقيق من نسبتها إليه الجهد الكثير ... فقد طوفت فى كثير  
من البلدان للبحث عن كتبه المخطوطة .. وخاصة ما ذكره بروكلمان من وجود  
مقامات له فى مكتبة بايزيد بتركيا .. وقد تبين لى أن تلك المقامات هي مقامات  
بديع الزمان .

كما تبين لى أيضا أن كتاب الأمثال المولدة المنسوب للشعالي هو للخوارزمي  
كما استطعت الكشف عن أسماء بعض كتبه المفقودة والتي لم يشر إليها أحد ممن ترجم  
له كشرح ديوان العتبي وكتاب الأنساب .. ورجحت أن بعض الكتب التى لا تزال  
مخطوطة ومنسوبة للشعالي هي للخوارزمي .

ومدراسى لجوانب حياة الخوارزمي وجمع شتات أدبه من مظانه ومتبهمسى  
لمؤلفاته المطبوعة والمخطوطة والمفقودة ونفى ما نسب إليه من كتب غيره .. أرجو  
أن أكون بذلك قد وفيت الرجل بعض حقه وخرجت بدراسة عنه ان كنت لا أدعى لها

الكمال ، فاني أرجو أن تكون قارئته - ان الكمال لله وحده - .

محمد ، فان من حق الوفاء عليّ أن أذكر لأستاذي الدكتور محمد نبيه  
حجاب ما بذله في سبيل انجاح هذا الموضوع من جهد وتعجب كبيرين . . كما  
أرجو أن تغني كلمة الشكر زميلي الفاضل عبد الرحمن الحثيمين لما قدمه لي من  
عون كريم .

أسأل الله التوفيق والسداد . . هو مولاي عليه توكلت واليه أنيب . .،،،

---

=====

XXXXXX

\*

### تمهيد

#### " نشأة الأوطان السياسية في العصر العباسي الثاني "

ولد أبو بكر الخوارزمي ونشأ في عصر عرف في التاريخ ( بعصر الدويلات )  
ويعنون به العصر الذي انفصل فيه كثير من الأقاليم والنواحي عن الدولة الإسلامية  
ولم يعد يربطهم بخليفة بغداد سوى التبعية الاسمية ، فكل دولة رئيسها وجيشها  
وخزانتها المالية المستقلة عن الدولة .

ولعل من متطلبات البحث ، بل من تمامه وكماله أن ألقى بعض الضوء على نشأة  
هذه الأوطان السياسية . . . وذلك ان الخوارزمي - أديب نيسابور - كان دائم  
الترحال ، تارة في طلب العلم ، وطورا في طلب العطاء . . متوخيا في ذلك  
الاجاز ما أمكن . .

اتسعت الفتوحات الإسلامية شرقا وغربا ، وبلغت أقصى اتساعها في القرن الثاني  
الهجري . . وقد اكتسحت هذه الفتوح أكبر امبراطوريتين عرفتا في التاريخ  
القديم ، هما امبراطورية فارس و امبراطورية الروم ، فضمت بذلك مناطق كثيرة الى  
جسم الدولة الإسلامية ، فدخل الناس في دين الله أفواجا من كل الأجناس ،  
وكلها تدين بدين واحد هو الاسلام ، وتأتربأمر خليفة واحد هو خليفة رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ، فتوحد شعور هذه الأجناس وأصبحوا كأنهم اخوة  
في أسرة واحدة ، لا يفرق بينهم الجنس ولا يميز بينهم اللون ، بفضل تعاليم  
الدين الاسلامي الحق ، واستطاعت الحضارة الإسلامية خلال تلك القرون  
ان تنتظم عدة ثقافات فارسية ويونانية وهندية وتضمها وتتمثلها . . وتطبعها  
بطابع اسلامي يصلح لكل من ينتمي للاسلام ،

كل ذلك بسبب ما أودعه الله في هذا الدين الكفيم من صفات  
العموم التي تصلح لكل زمان ومكان .

وبقيت الدولة الإسلامية قوية متماسكة حتى جاء العباسيون - ومجبروهم - ففسد  
 الواقع كان بفضل الخراسانيين - فبدأ العباسيون يعتمدون على الفرس دون العرب -  
 اعترافا بفضلهم عليهم . . . ومن ثم أخذ النفوذ الفارسي يتزايد في البلاط العباسي ،  
 والواقع أن هذا النفوذ كان ضعيفا أمام حزم الخلفاء الأقوياء . . . وحين حاول  
 البرامكة أن يقيموا دولة داخل الدولة بطش بهم الرشيد بطشته المشهورة فلم تقم  
 لهم بعد هذا قائمة . . ثم استعاد الفرس بعض نفوذهم بعد أن انتصروا للمأمون على  
 أخيه الأمين . . وذلك أنهم أخواله .

ولما ولي المعتصم - وأمه تركية - أو جس منهنم خيفة فاعتمد على الترك ، فأخذ  
 نفوذ هؤلاء الأتراك يزداد يوما بعد يوم ، في حين كان نفوذ الفرس يتراجع إلى الوراء ،  
 وظهر نفوذ الأتراك قويا منذ عهد المتوكل = ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ = ، فاستبدوا بأمر  
 الدولة وطمس سلطانهم على سلطان الخليفة وانتهى بهم الأمر أن تأمروا على  
 المتوكل وقتلوه سنة ٢٤٧ هـ . (١)

والحقيقة أن الخلفاء أنفسهم ضعفوا منذ هذا العهد ومالوا إلى الدعة . . وضعف  
 الدين في نفوسهم فرغبوا في الملذات وأحاطوا أنفسهم بعشرات الآلاف من الخدم  
 والجواري والخصيان وجعلوا من الدنيا جنة لهم . (٢)

وظل الأمر للأتراك ، والحال تزيد سوءا والخلافة تفقد هيبتها في نفوس الناس (٣)  
 حتى كره الفرس عليها ثانية بعد أن رأوا ما آلت إليه البلاد من فوضى ، فاقتحم

- 
- (١) أنظر تاريخ أبي الفدا ١٧/٢ وما بعدها ، وانظر كثيرا من التفاصيل في ذلك  
 معالم الشعر وأعلامه ص ٨ وما بعدها .  
 (٢) أنظر ما يرويه أبو الفدا في ذلك في تاريخه ٧٣/٦ وما بعدها .  
 (٣) أنظر تفصيل أدوار الضعف الذي مرت به الخلافة . نفس المرجع ٧٨/٦ وما بعدها .



البهيمون بغداد سنة ٣٣٤ هـ ، وكان ذلك بداية انحسار النفوذ التركي وبدء عصر عباسي جديد هو - عصر الدويلات - فرغم أن الدولة العباسية بدأ التفكك فيها قبل مجيء البهيميين لبغداد فان مجيء البهيميين قضى على البقية الباقية وأحدث في الخلافة ما لم يسبق به .

فباستيلائهم على بغداد بدأ طور جديد من أطوار ضعف الخلافة العباسية ، يقول ابن الأثير : " وازداد أمر الخلافة اربارا ولم يبق لهم من الأمر شيء البتة ، وقد كانوا يراجعون ويؤخذ أمرهم فيما يفعل ، والحرمة قائمة بعض الشيء ، فلما كان أيام معز الدولة زال ذلك جميعه بحيث أن الخليفة لم يبق له وزير ، انما كان له كاتب يدبر اقطاعه وتكاثرت الوزارة لمعز الدولة يستوز لنفسه من يريد " (١)

وقد آلت الخلافة في عهد بنى بويه الى حال جعل العلويين الذين أفنوا شبابهم وشيوخهم في سبيل الحصول عليها ، يزهدون فيها على لسان الشريف النرسي الذي يقول : (٢)

أسميت أرحم من كنت أغبطه \* يا قرب ما عاد بالضرا يبيكي مني  
هيئات أعثر بالسلطان ثانيه \* قد ضل عندي والاج السلاطين

(١) أنظر الكامل ٣١٥/٦ . ويقول ابن الأثير ان ما جعل البهيميين يسيئون . . . معاملة الخلفاء هو تعصبهم للشيعة حتى فكر معز الدولة في اخراج الخلافة منهم والبيعة لأحد العلويين أو للممزر لدين الله الفاطمي . . . ويعتبر معز الدولة هذا أول من ابتدع النياحة واللطم والضرب على الحسين في ١٠ / محرم ٣٥٢ هـ كما يعد أول من ابتدع عيد غد يرخم الذي صار سنة عند الشيعة من بعده الى غير ذلك من البدع . أنظر الكامل ٤٩/٨ (وأي الفـدا)

(٢) أنظر الكامل ٤٥٤/٨

هذا ما كان من أمر الخلفاء ، أما الخلافة فقد تجزأت الى اثنتى عشرة ولاية <sup>(١)</sup> . على أن هذه الولايات على كثرتها لم تكن على وفاق <sup>فيما</sup> بينها ، بل كانت دائما فى حروب مستمرة ، ونحن نعرف ما يجره التفكك والحروب الداخلية والفتن من بلاء وفساد واضطراب فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، فضعفت بذلك هذه الولايات وطمع فيهم الروم واستطاعوا أن يصلوا الى الجزيرة والرها ونصيبين يقتلون وينهبون ولا يجدون أية مقاومة <sup>(٢)</sup> .

وننتج عن هذا الصراع المستمر أن امتحت دول واحتلت مكانها دول أقسى منها حتى تركزت القوة فى الشرق فى خمس دول هي :

- (١) البويهيون - ٣٢٠ - ٤٤٧ هـ
- (٢) الحمدانيون - ٣١٧ - ٣٩٤ هـ
- (٣) الفزنويون - ٣٥١ - ٥٨٢ هـ
- (٤) الزياريون - ٣١٦ - ٤٣٤ هـ
- (٥) السامانيون - ٢٦١ - ٣٨٩ هـ <sup>(٣)</sup>

وصور لنا أبو الفداء الحالة الاقتصادية والاجتماعية ابان هذه الحروب بين تلك الولايات تصويرا تقشعر منه النفوس . وقد يكون فيه مبالغة ولكن يكفى أن يكون فيه شئ من الصحة ليكون عبرة وصورة مؤلمة ومروعة فى آن واحد ، فهو يقول : " ان القوت عدم ببغداد سنة ٣٣٥ هـ ابان الحرب بين البويهيين والحمدانيين حتى أكل الناس بعضهم <sup>(٤)</sup> . " ويقول ابن الاثير عن سنة ٣٣٤ هـ : " فيها اشتد الغلاء ببغداد حتى أكل الناس الميتة والكلاب والسنانير وأخذ بعضهم ومعه صبي قد شواه

- (١) أنظر تفصيل ذلك فى أبى الفداء ٩٠/٦ وما بعدها .
- (٢) أنظر الكامل ٤٥/٧ (وأبو الفداء ١١٨/٢) .
- (٣) أنظر مزيدا من التفصيل عن الولايات المشرقية فى كتاب ( الولايات الاسلامية فى المشرق ) .
- (٤) أنظر أبى الفداء ١٠١/٦ .

ليأكله . . . وكثر فيهم الموت حتى عجز الناس عن دفن الموتى وبيعت السدور والعقار بالخبز" (١).

واستمرت الفتن بين المذاهب الدينية ، كما ظهرت مذاهب جديدة كلها من المذاهب الغالية في التشيع (٢) ، وظهرت عصابات المكدين والشطار واللصوص ، ودب الفساد حتى إلى القضاء فقد ضمن مقابل مال يدفعه القاضى للوالى ثم ضمنت بعده الشرطة والحسبة (٣).

وجار حكام هذه الدويلات على شعوبهم وفرضوا عليهم الضرائب الباهظة ، وكانوا يصادرون أموال التجار إذا احتاجوا للمال ، وأصبح الإنسان لا يأمن على نفسه أو ماله ، فتخربت المفاهيم واختلفت القيم ، واهتز الذوق العام .

وعلى الرغم من ذلك كله فإن الأدب لاقى رواجاً ، وسوقاً نافقة في هذه الدول المتنافسة ، فقد جر هذا التنافس إلى الاكثار من الأدباء حول هؤلاء الحكام ، فقد جرت العادة انهم كانوا لا يسندون الوزارة إلا إلى رجل كفى تتوفر فيه القدرة الأدبية . . كما كان من أمر المهلبى ، وابن العميد والصاحب ، هؤلاء الوزراء الأدباء ، أحبوا الأدب وأكرموا الأدباء . . غير أن الرواج للأدب والمنايا به وكثرة المشتغلين به لم تنتج لنا أدبا رفيعا يوازي ذلك الرواج وتلك العناية . ان الأحوال الاقتصادية والاجتماعية التي أحاطت بالأدباء تلك الفترة ظهر أثرها على نتائجهم فخرج معظمه عن رسالته وأصبح أدبا نفعا يطلب به الأديب النوال والشهرة والمكانة لدى الولاة والوزراء ، ووظف في خدمة السلاطين والوزراء ، والدعاية لهم وتسليتهم .

(١) الكامل ٤٦٥/٨  
 (٢) نفس المرجع ٢٩٠/٨  
 (٣) نفس المرجع ٣٦/٨ (وأين الفداء ١٠٨/٦)

وتجاهل الأدباء أو معظمتهم الإصلاح والجد في القول . . . وقل من جد من  
 أدباء الدول الشرقية . . . فرغم أن حضرة صاحب كانت تنافس حضرة سيف  
 الدولة - وقد انتقل كثير من كان يعيش في بلاط سيف الدولة الحمداني إلى  
 صاحب بعد وفاة سيف الدولة - رغم ذلك - فإن الهون شاسع بين انتاج البيهتين .  
 فاننا نفتقد في أدب البيئة الفارسية الأصالة والابتكار والفكر العميق  
 الهادف في أغلبه . والسبب كما يبدو هو أن معظم هؤلاء الأدباء ان لم - يكونوا  
 كلهم - محترفون للأدب يطلبون به الرزق والمكانة في مجتمع تكاد استقامة الخلق  
 فيه تكون نادرة . مع افتقادهم لحرية الرأي والاستقلال الفكري اللذين لا يمكن أن يزدهر  
 الأدب إلا في ظلهما . أضف إلى ذلك أن حكام هذه الدول كلهم من المجرم  
 الذين ينقصهم الذوق العربي الخالص للأدب والفهم الصحيح له اذا قيسوا بالحكام  
 العرب . . . . وهم أولئك الحكام المجرم - من الأدب - ينحصر في الاشادة بمآثرهم  
 وأمجادهم ليفاخروا بها منافسيهم . ومن ناحية أخرى وجهوا الأدباء للأدب الفكاهي  
 الذي يدخل عليهم البهجة والسرور حتى وان كان فيه ما يخذل الغالب  
 ويفسد الذوق .

=====

\*\*\*

\*

## الباب الأول

مصره الآن

## الفصل الأول

### بيئات الأدب في عصره

تعددت بيئات الأدب في القرن الرابع الهجري تبعاً لتعدد الدويلات الإسلامية التي انفصلت عن الخلافة العباسية الأمّ كلياً أو جزئياً - كما مر معنا - فلم تعد بغداد وحدها حاضرة العالم الإسلامي في هذا القرن . . ولم يبق في مقدورها أن تحتكر الأدباء والعلماء كما كان الأمر أيام الخلفاء الأئمة من بني العباس . بل نافستها في هذا الفضل والمكانة مراكز ثقافية أخرى ، ففى مواطن إسلامية كثيرة . . بعضها زاد عليها في هذا المجال .

فهناك حلب ، وقرطبة ، والقاهرة ، وأصبهان ، والرى ، وبخارى وشيراز وفرنسة وغيرها .

وسوف أتناول تلك البيئات التي تردد عليها الخوارزمي واستقى ثقافته وعلمه منها ، وكان انتاجه من نبتها ، وأعنى بها :

- أ ( بيعة فارس وغراسان .
- ب ( بيعة المـــــراق .
- ج ( بيعة الشـــــام .

أ - بيعة فارس وغراسان :

كثرت مراكز الثقافة في هذه البلاد الفارسية ، أمثال : حضرة صاحب فى أرجان والرى وأصبهان ، وحضد الدولة ( فناخسرو ) فى شيراز ، . . والسامانيين فى بخارى وابن العميد وزير ركن الدولة فى الجبل . . وهناك سجستان ، وفرنزة وهمدان وكلها فى هذه الفترة أصبحت تعج بالأدباء والعلماء فى كل فن والتنافس قائم بينها على أشده . . فهذه حضرة صاحب

"لا تخلو في كل ليلة من ليالى رمضان من ألف نفس مفطرة فيها" (١) ، وأكثر من يومها هم الفضلاء والأدباء والعلماء . يقول الخوارزمي عنها : " مجمع الرجال ومثابة العطاء وملقى الرحال وموسم الشعراء " ، وقرارة ينصب اليها العلم والأدب ، وقبله يهوى اليها المعجم والعرب ... فقد نفضت اليه البلاد رجالها ، وأبرزت له رجالها ، وألقت له الأرض أفلاذ كبدها ، وحسبك بالغلاء جالبا ، وبالا عسان جازبا . . . وقد رأيت بهذه الحضرة أقواما كنت شاهدتهم على باب سيف الدولة ، ومنهل الصبا عذب وعود الشباب رطب . . . فلما رأيتهم قد هاجروا الى هذه الحضرة وجعلوها من بين الدنيا هجرة ، علمت أن الكرم يتوارث بين الكرام ، وأنه المحدث الى أصفهان من الشام . . . وأن المغرب لسيف الدولة بن حمدان وأن المشرق لحضرة الوزير أيده الله . . . " (٢) .

وقد قيل أن صاحب امتدحه من الشعراء ما أرى على شعراء الرشيد . (٣)  
وقيل : مدحه غسمائة شاعر من أرباب الدواوين . . . (٤) ويقول هو عن نفسه :  
" مدحت بمائة ألف قصيدة عربية وفارسية " (٥) وكانت كتبه لا يحملها أربعمائة جمل . " (٦) .

وقل مثل هذا عن ابن الحميد ٣٦٠ وابن ميكال ، وابن ووشمكير ٤٠٣ وغيرهم فلم ترج للأدب والعلم سوق كما راجت في بلاد فارس في هذه الفترة فكان من أدبائها

(١) المتيمة ١٩٧/٣

(٢) رسائل الخوارزمي ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٣) انظر احكام صنعة الكلام ص ١١٦ وانظر المتيمة ١٩٢/١ - ١٩٣ .

(٤) مجمع الأدباء ٢٥٧/٦ .

(٥) بغية الوعاة ٤٥٠/١ .

(٦) المتيمة ١٩٧/٣ .

أبو الحسن الصنوبري ٣٣٤ ، وأبو بكر الخوارزمي ٣٨٣ ، والمأموني ٣٨٣ ، والصاحب  
 ٣٨٥ ، والبيروني " الفلكي المنجم " وأحمد بن فورجة المرزباني <sup>(١)</sup> ٣٨٨ ، وابن  
 فارس اللغوي ٣٩٥ ، وديع الزمان الهمداني ٣٩٨ ، وأبو الفتح البسـمـي  
 ٤٠٠ هـ ، وأبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي ، وأبو سعيد الرستمي ، وأبو  
 القاسم ابن العلاء ، وأبو محمد الخازن ، وأبو العلاء الأسدي ، وأبو الحسن  
 البديهي ، وأبو القاسم الزعفراني والمتبي ، ونوميكال . . وغيرهم .

وقد ذكر لنا الثعالبي بعض أدباء هذه المناطق فملا بهم الصفحات  
 فقد ذكر لنا ٣٨ شاعرا من شعراء السامانيين ، و ٢١ من شعراء نيسابور ،  
 و ٨ من شعراء سجستان و ٦ من شعراء خوارزم غير الطائرين عليها - وغير العلماء  
 واللغويين والرياضيين . . وغيرهم مما حدا بأحد المعاصرين أن يصف الأدب في هذه  
 الفترة . . بأنه وصل الى ما يشبه حد الكمال ، وأن أدباء هذا القرن أنشط أدبا من  
 سابقيهم وأن شعراءه وكتابه أكثر نبوغا وأعظم ادراكا لمسائل الشعر والكتابة  
 من نظرائهم في القرون السابقة . <sup>(٢)</sup>

وأخذ وزراء دول المشرق يكثررون بمحضهم بما في مجالسهم وينتدياتهم  
 من الأدباء والشعراء واللغويين والعلماء ، ويقاغرون بما تحويه خزائهم من  
 الكتب ، بل أخذوا يشجعون الأدباء على تأليف الكتب باسمهم لكي تهدي اليهم ،  
 وتتحدث عن مآثرهم وأمجادهم ، فقد ألف الصابي كتابه ( المفقود ) التاجي  
 لعهد الدولة وألف ابن فارس ٣٩٥ هـ كتابه " الصاحي " للصاحب ابن عباد  
 وألف المتبي كتابه " اليميني " ليمين الدولة ابن سبكتكين . ورغم كل هذا الاعتماد

( ١ ) ولد ابن فورجة سنة ٣٣٠ وله كتابان في الرد على ابن جني في شرحه لديوان . .  
 المتنبي أحدهما التجني على ابن جني (مخطوط بالاسكندرية) والآخر الفتح  
 على أبي الفتح .

( ٢ ) أنظر كتاب : ديع الزمان الهمداني رائد القصة ص ٢٣٠ .



بالأدب وكثرة الانتاج . طائفا نلاحظ أن أولئك الحكام من بنى بويه وغيرهم من  
الحكام . . والوزراء - فى الغالب - لم يكن هدفهم من ذلك سوى التباهى والمنافسة  
حتى صار ذلك تقليدا ، ومن مكملات الجاه والشهرة . . فتزودوا من انتاج  
هؤلاء الأدباء للتفكه والتسلية ، والتظرف ولتتمر بهم مجالس الشرب والمناذمة ،  
كما أصبح تقدير الأدب فى عصرهم ليس لذات الأدب . . وإنما لوجهة قائله  
يقول الشعالبي : " فان وقع خلال ما أكتبه البيت والبيتان - مما ليس من أبيات  
القصاصد ووسائط القلائد - فلأن الكلام معقود به . . . أولأنه شعر ملك أو أمير  
أو وزير أو رئيس خطير ، أو امام من أهل الأدب والعلم كبير ، وإنما ينفق  
مثل ذلك بالانتساب الى قائله لا بكثرة طاعله :

(١) وغير الشعر أكرمهم رجلا \* وشعر الشعر ما قال المبيد

ولأن هذا رأى مؤلفي العصر ورغبة الأمراء والوزراء . . وجدنا أن جل أدب هذه  
الفترة فى شرقي الدولة الاسلامية يخدم هذه الأغراض . ففى الشعر نجد  
الشمراء يمدحون حكامهم بما يشبهه التقديس ، ويفرقون فى المجون والفزل  
الشان ووصف الخمر وسقاتها أو يصرفون شعرهم فى وصف توافه الأشياء ، ولا  
نجد هم يطرئون المواضيع الجادة أو يعالجون الأهداف السامية أو يصفون الطبيعة  
وصفا موحيا أو يعبرون عن المواقف الراقية . . الا نادرا . حتى ليكاد القارئ  
لجل أدبهم يفتقد العاطفة والصدق فيما يقولون . فهذا الشعالبي مؤرخ  
أدب تلك الفترة يجمع لنا فى كتابه " يتيمة الدهر " ما هو أكبر شاهد على  
نوعية انتاجهم وطريقتهم . . ومن الناحية الفنية نرى أن هؤلاء الأدباء قصرُوا  
فى اللحاق بأدباء بقية الأمصار فى هذه الفترة ناهيك بما قبلها من الفترات . .  
ومع كل هذا نأرى أن بين هذا الانتاج الفزير انتاجا جيدا يستحق الدرس

والكشف عنه وإن قل . . أو كان مبعوثاً في خضم ذلك الانتاج الزاخر . .  
 وأن بين أدبائه فحولا لا نهضمهم حقهم . . وقد يكون الثمالي جمع في يتيمة  
 من شعرهم ما يلائم ذوق عصره ويرضى ذوق ولاية الأمر في زمانه من الأعاجم  
 . . في حين أن لهم شعرا وأدبا مبعوثا في كتب التراث أسمى وأعف مما  
 يطال لعنا في اليتيمة ، ولكننا نلاحظ ظاهرة تجعلنا نترث في إصدار  
 أحكامنا على هؤلاء الأدباء هي أن أغلبهم في ذلك الزمان ليس له وطن فكانوا  
 يلبثون في البلاد يقيمون بكل مكان ، فتارة في حلب وأخرى في بغداد ومصر  
 في أصفهان وأخرى في بخارى كالخوارزمي فهو كالنحلة التي تدور على كل  
 الأشجار وتقع على كل زهرة ومن كان هذا حاله فلا شك أنه اكتسب دربة  
 وثقافة متنوعة . . . ان لم يعترف بحدود الأدب كما اعترف الناس بحدود  
 الديارات ، بالرغم من أن الوزراء والولاة كانوا يمارسون بعض الضغوط مع كبار  
 الأدباء ليحتفظوا بهم ولئلا ينتقلوا إلى منافسيهم . . مرة ببذل المال والملاينة  
 مرة بالشدة والتهديد . (١)

### بيئة العراق :

لم يكن هناك عاصمة ثقافية تنافس بغداد في الأدب وشتى فروع العلم  
 قبل تجزئته وتفكك دولة العباسيين في القرن الرابع الهجري - فقد كانت قبل  
 ذلك هي العاصمة الكبرى للعلافة العباسية ، وكان طلاب العلم والمال  
 والشهرة ينفذون إليها من كل حدب وصوب ، وطبيعى والحال هذه أن يكون لها  
 ذخيرة كبيرة من الكتب ما بين مترجمة ومؤلفة تمتد طلاب العلم بما يريسون ومكتبة

(١) أنظر شكوى الخوارزمي من مثل هذه الضغوط في رسائله ص ٧ ، ص ٧٤ .

"بيت الحكمة" أشهر من أن تعرف" والحديث عن مكانة بغداد الثقافية والمصيرية ، ومن أشهر فيها من الأدباء - منذ نشأتها حتى عصر الخوارزمي - يطول والذي يهمنا هنا هو حال هذه العاصمة في هذه الفترة . . أعني القرن الرابع الهجري . . وهو القرن الذي أصبحت فيه بغداد واحدة من آحاد . . بعد أن تعددت العواصم الثقافية وكل منها يناصبها في المجد ، وينافسها في الشهرة والأدب ولأن الأدب يدور مع الحكم حيث كانوا لم تعد بغداد . . وخاصة منذ استيلاء البويهيين عليها سنة ٣٣٤ بأهم المراكز الثقافية في العالم الإسلامي ، فقد قل النشاط الثقافي والأدبي فيها . . ذلك أن الأدباء والعلماء توزعتهم حواضر العالم الإسلامي ووجدوا من الأمراء والوزراء والحكام من يقدرهم ويفهمهم أكثر من أمراء آل بويه .

أما الخلفاء فقد مر معنا أنهم وصلوا إلى حالة لم يجد للشعراء فيهم موطئ قدم . . وهذا لا يعني أن بغداد خاصة والعراق عامة فقدت مكانتها الأدبية نهائياً وغلت من الأدباء والعلماء . . . بل إن حركة التأليف كانت إلى حد ما نشطة فيها . . ذلك أن الأدباء والعلماء حيناً رأوا ما حل بالدولة من التجزؤ والنقسام وما نتج عن ذلك من اضطراب ومآسى وفتن ، أكبوا على التأليف ووجدوا فيه سلوة لهم على الأقل تنسيبهم أو تشغلهم عن واقع العالم الإسلامي المرير . . كما كان من أمر أبي الفرج الأصفهاني حين ألف كتابه "الأغانى" وكان بها في ذلك الوقت من الأدباء أمثال الوزير المهلبى ت ٣٥٢ هـ ، والشيرازى ت ٣٨٣ هـ وابن سعدان ، وسـابور ابن أردشير والصابنى ت ٣٨٤ هـ والناقد أبو على محمد بن الحسن الطاطى ت ٣٨٨ هـ والقاضى التنوخى ت ٣٨٤ هـ وابن لنگك وأبو عبد الله الحسين بن على النمرى والسيرافى اللخوى ت ٣٨٦ هـ وابن نبأثة السعدى والسامى ت ٣٩٤ هـ وعبد العزيز بن يوسف والشريف المرتضى ، ويأتى على رأس هؤلاء الشريف الرضى ت ٤٠٦ هـ

الذى نستطيع أن نقول انه الوحيد فى رأينا - الذى بلغ درجة " النبوغ " فى هذه البيئة اذ ذاك ، فقد لحق بمستوى المتنبي وأبى العلاء المصرى وذلك انه حافظ على الجذ فى القول . . وله من شرف النسب وعزة النفس ما يمنعه من التردى الى المستوى الذى وقع فيه معاصروه من الاشغال بسفاسف الأمور وصرف شعرهم الى المجون والجهر بالفحش أو ما يسمى " بالآثب المكشوف " حتى فقدوا اتزانهم وفسد ذوقهم وأفسدوا غيرهم كابن الحجاج وابن سكرة . . وعلى أية حال فان مسار الآثب ومفهومه وغاياته ومستواه " فى عمومـــــــــــــــــه " قد تغير وخرج من الجذ الى الهزل ومن السموالى التسفل ، وكنا نتوقع من أدباء هذه الفترة - وقد حل بالبلاد ما ليس يخفى عليهم من تفكك فى . . الخلافة وفتن تعج بها الأمة ، ( مذهبية أو عصبية أو سياسية ) ومن بعد عن التعاليم الاسلامية من حكام ومحكومين <sup>ومن</sup> تسلط العدو وعلى الأطراف الاسلامية - كنا نتوقع أن يدرك الأدباء وخاصة الشعراء منهم كل هذا وينفعلوا به وينتجوا أدبا مسئولا يخدم مصالح الأمة ويعيد لها الى صوابها ويحيى فيها النزعة الدينية وحب الجهاد ، ويعالج الأمراض الاجتماعية والخلقية التى تفشت فى مجتمعاتهم .

ولكن حكام المشرق الاسلامى بالرغم من رعاية آل بهية للأدباء والعلماء وبذل المطاع لهم لم يكن اهتمامهم منصبا على جودة ما يسمعون وانما كان اهتمامهم أن يكثر الأدباء والشعراء فى مجالسهم للتباهى والتسلية بما يقولون - كما مر بنا - .

### بيئة الشام :

لحل الآثب لم يزد هرفى وقت من الاوقات كما ازد هرفى القرن الرابع

ببلاد الشام وخاصة في عهد الدولة الحمدانية ٣١٧ - ٣٩٤ هـ ، وقد ظهرت هذه الدولة في أواخر القرن الثالث الهجري . . . وسميت بذلك نسبة لجد هــ الأعلـى - حمدان بن حمدون بن الحارث التغلبي - الذي استطاع أن يستولي على قلعه ماردين سنة ٢٧٤ هـ ولكن / لم يستطيعوا تكوين دولتهم والاستقلال بها إلا سنة ٣١٧ هـ في عهد الخليفة المتقي الذي لقب على بن حمدان والى حلب ( بسيف الدولة ) كما لقب أخاه الحسن والى البصرة والموصل ( بناصر الدولة ) . . . ثم اتخذوا حاضرة لهم <sup>حلب</sup> . . . فأخذت تكبر وتعتظم حتى أصبحت مسرحا كبيرا لفرسان الكلام وأعلام الفكر كما كانت موردا غزيرا وعذبا لأهل العلم والأدب . . . وطلاب الجوائز والعطايا . (١)

وكان سيف الدولة هذا غرة في جبين الدولة الحمدانية . . . جمع بين مجد السيف والقلم وشغله الجد عن الهزل ولم تترك له الحرب وقتا للهو واللعب اللذين كان غارقا فيهما ملوك وأمراء ذلك الوقت وصدق المتنبي حيث قال يقارن بينه وبين أمراء عصره .

ما الذي عنده تدار المنايا \* كالذي عنده تدار الشمول

فقد كان مثال الأمير العربي الشهم ، الذي يفار على حرمة الدين والبلاد ويبذل في سبيلهما النفس والنفيس . . . يخوض الحرب بنفسه ويتقدم الصفوف غير هياب . . . ولا وجل - فوجد فيه الشعراء المثل الأعلى للأمير الشجاع الفارس ، كما وجدوا فيه مثال الفتى العربي الأصيل ناهيك بما يتحلى به من الكرم والسخاء . . . (٢)

(١) أنظر شواهد ذلك في اليتيمة ٣٢/١ وما بعدها .

(٢) أنظر تاريخ المرجع ٣٢/١ - ٣٥ .

فمدحوه بصدق وأجادوا لأن الإجابة مرهونة بالصدق . وكان بالإضافة إلى ذلك فصيحاً أدبياً بليغاً ناقداً <sup>(١)</sup> . فوجد الأدباء فيه من يفهمهم ويعترف لهم أقدارهم ، فيكافئهم على قدر الاحسان والاجادة ، ويميز الفث من السمين من انتاجهم فأما حضرته والقفوا حول مجلسه وخرجوا معه في عروبه حتى قيل : " انه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك - بعد الخلفاء - ما اجتمع ببابه من شيخ الشعر ، ونجوم الدهر " <sup>(٢)</sup> . ومن هؤلاء الأعلام : المتنبي وأبو فراس الحمداني ٣٥٧ هـ والوأياء دمشقي وابن نباتة والخالديسان والسري الرفاء والناسي ٤٠٠ هـ وأبو الفرج البغاف ٣٩٨ هـ والناشسي والزاهسي والخلع الشامي وأبو طالب الرقي وكشاجم وعلي بن دينار . والخوارزمي وابن خالويه ٣٧٢ هـ وابن جني ٣٩٣ هـ وأبو الطيب اللغوي وعلي بن عبد العزيز الجرجاني ٣٩٢ هـ وأبو علي الفارسي وغيرهم ، وهم من هم في تاريخ الأدب واللغة . فلم تنجب العربية بعد هم وفي وقت واحد ومكان واحد مثل عدد هم ولا من وصل إلى منزلتهم .

ويلاحظ أن شعراء الشام وماجاورها أشعر من شعراء العراق وماجاورها حتى أن الثعالبي رأى أن هذا ملاحظ أيضاً بالنسبة لشعراء الجاهلية والاسلام <sup>(٣)</sup> " لقرهم من غطط العرب - ولا سيما أهل الحجاز - وبعد هم عن بلاد المعجم <sup>(٣)</sup> "

والحقيقة أننا نلاحظ هذا الفرق بين الأدبين في عهد سيف الدولة بوضوح . . ولا أدري صحة دعوى الثعالبي من امتداد هذا الحكم منذ العصر الجاهلي .

(١) أنظر نفس المرجع ٣٥/١ في نقده للمتنبي والخالدي .

(٢) اليتيمة ٢٧/١ .

(٣) أنظر اليتيمة ٢٤/١ .

وقد فسر الشعالي بعدهم عن بلاد العجم بأنهم لم يختلطوا بهم  
ويدخلوهم كما هو الحال مع أهل العراق وماجاورها الذين خالطوا المجرم  
والنبط في أرضهم . (١)

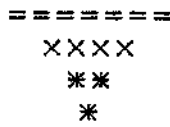
ولعل من أسباب تفوق شعراء الشام على غيرهم من شعراء العراق  
وماجاورها ما كان بيديه سيف الدولة من شجاعة ومروءة وكرم وما يتمتع به من ملكة  
أدبية ونقدية لم تكن عند واحد من ولادة ذلك العصر خاصة في البلاد  
الفارسية ، فقد وقفت الدولة الحمدانية وعلى رأسها سيف الدولة تجاهه  
دولة الروم واستطاعت بفرداها أن توقف زحفهم على بلاد الاسلام وأن تهزمهم  
في مواطن كثيرة حتى قيل لقد بلغت غزواته للروم أربعين غزوة (٢) ، في حين  
كان أمراء الولايات الآخرون - في فارس والعراق ، وعلى رأسهم البويهيون -  
في صراع دوى مع غيرهم ، ثم عاد التنازع بين البويهيين أنفسهم مما جر على  
البلاد الخراب والدمار ، وإذا لم تفجر مواقف البطولة ، ونشوة النصر  
للاسلام ينابيع الشعر والأدب فأى شىء آخر يفجرها ؟

فالشعر انما يقوى ويزدهر في مواقف البطولة وساعات الحرب وأمر آخر جعل  
منزلة شعراء الشام فوق منزلة غيرها من الأقاليم خاصة في عهد سيف الدولة ،  
ذلكم ~~نهي~~ سيف الدولة في الشخصية العربية الأصيلة فهو - كما مر  
بنا - الشاعر الناقد الذي يهزه الأذنب الرنيح . . يقول الشعالي يذكر وجوده  
في أهل الشام : " ورزقوا ملوكا من آل حمدان وننى ورقاء وهم بقية الصرب  
والمشغوفون بالأدب والمشهورون بالمجد والكرم والجمع بين أدوات السيف والقلم  
ما فيهم الا أدب جواد ، يحب الشعر وينتقده ويثيب على الجيد منه " (٣) .

(١) أنظر اليتيمة ٢٤/١ (٢) انظر نفس المرجع ٤٠/٢

(٣) نفس المرجع ٢٤/١ - ٢٥ .

وقد يكون تأثير طبيعة أرض الشام من أسباب تفوق أدبائها - والأدبيات  
 ابن بيئته - وطبيعة الشام ، وما حباها الله به من جمال أخاذ ، بأنهارها  
 الجارية ، وبرياضها الفناء الزاهية وأشجارها الباسقة وجبالها الشاهقة  
 وهوائها الحليل ، واعتدال مناخها - حتى عدت من جنات الدنيا الأروع -  
 تلك الطبيعة الساحرة الجميلة ، ألهمت شعراءها المعاني الجميلة ،  
 وأوحى إليهم بالأخيلة اللطيفة ، وأرهفت حسهم ، ومشاعرهم ، حتى برعوا  
 في فن الوصف خاصة وهيئات أن يباريهم في هذا المجال سوى الاندلسيين  
 لتشابه البيئتين . . ومع ذلك لم يبلغوا مبلغهم . .





## المجلد الثاني

ظاهرة المناظرات

الأدبية والعلمية في العصر العباسي الثاني

---

=====

\*\*\*  
\*



من أجل هذا لا يصلح لهذا الميدان الا كل قرن واسع الثقافة قسوى  
الحجة قويم المعرفة ، سريع البديهة ، متمرس في الجدل - عارف باستعمال  
المنطق - عالم كيف يماول ويجادل خصمه . . وسلاحه كما قلنا العلم والحجة  
والبرهان والمنطق السليم وقوة العارضة وسعة الاطلاع .

ومن هنا نصرف أن الثقافة وحدها لا تكفى لهذا الفن . . فالذى لا يملك  
قوة العارضة ، يغلب ولو كان أعلم من خصمه وكذا اذا كان ضجرا قليل الصبر  
والاحتمال . . فقد تعارف القوم أن الضجر ورفع الصوت دليل على ضياع  
الحجة وغبلة الخصم . .

وقد أصبح فن المناظرات في هذا العصر الذي ندرسه علما متكاملا وضع له  
المعتزلة قواعد وأصولا . . يتعلمونها ويتمرسون بها قبل مقارعة الخصوم .

ولذلك اجادوا هذا العلم واشتهروا به وغلبوا خصومهم ، وهذا لا يعنى  
أن هذا الفن لم يعرف الا على أيدي المعتزلة ، ولكنه اكتمل بجهودهم ، فقد  
عرف العرب منذ الجاهلية بشدة الجدل ولهم في ذلك صولات وجولات لما بينهم  
من عداوات وثارات وخصائن ، ولما في طباعهم من حماسة وعصبية وترفع واستعلاء ،  
ولما عرفوا به من فصاحة وبلاغة ومن مظاهر هذا الفن قبل أن يكتمل المنافرات  
والمناغرات ، وهي أن يفخر كل من المتنازعين على خصمه ويفضل نفسه  
أو قومه عليه مستدلا بصفات ووقائع يسلم بها خصمه . ثم يحكمون بينهم  
حكما يفضل أحدهما على الآخر أو يسوى بينهما وهو ما يفعله الحكم غالبا ، للخروج  
من عداوة أحد الخصمين .

ومن ذلك أن عامر بن الطفيل الحامري ناقر علقمة بن علاثة الحامري حين تنازعا  
رئاسة القبيلة وهي أشهر المناغرات في الجاهلية .

قال علقمة : " الرئاسة لجدي الأحوص وانما صارت الى عمك - أبي براء - من أجله

وقد استحسن عمك وقعد عنها فأنا أولى بها منك وإن شئت نافرته .

فقال عامر : " قد شئت . والله لأننا أشرف منك حسبا وأثبت منك نسبا وأطول قصبا . "

فقال علقمة : أنا فرك ، وإنى لبرّ وانك لفاجر وإنى لولود وانك لعاقـر

وإنى لواف وانك لغادر . فقال عامر : "

إنى أنشر منك أمة وأطول قمة وأحسن لمة ، فقال علقمة :

" أنا جميل وأنت قبيح وأنا أولى بالخيرات منك "

فحكما بينهما سفيان بن حرب ثم أبا جهل ابن هشام فاعتذرا خوفا من عداوة

أحد الطرفين .

فذهبا إلى هرم بن قطينة بن سنان الخزاري فقبل أن يحكم بينهما فـقال

في حكمه : " يا بني جعفر ، أنتما كركبتى البعير تقمان إلى الأرض معا وليس

فيكما أحد الا وفيه ماليس في صاحبه وكلاكما سيد كريم " فساوى مخافة استفحال

الشر . ولذلك قال حين سأله عمر بن الخطاب : يا هرم أى الرجلين

كنت تفضل لو فعلت ؟ فقال : لو فعلت ذلك اليوم عادت جذعة ، ولبلغت

شحنات هجر . فقال عمر : نعم مستودع السر أنت يا هرم ، مثل هذا

فليسـد المشيرة . (١)

ومثلها ما دار بين كسرى ووفود العرب اليه وهي معاورات شائقة تدل على

بلاغة القوم وقوة عارضتهم (٢) . وكذا منافرة طريف بن العاص الدوسى للحـسارث

ابن ذبيان (٣) . وقد شك زكى مبارك فى المناقرات والخطب المنسوبة للجاهليين

وخاصة معاورات وفود العرب فى الجاهلية مع كسرى وحجته أن لفتها أشبه بلفظة

(١) حميرة خطب العرب ١/٤١ .

(٢) انظر العقد الفريد ١/١٦٦ وما بعدها .

(٣) انظر الامالى ١/٧٢ - ٧٣ .

النشر الاسلامي (١) . . ولما بحث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لم يستسلم له قومه من قريش فأخذوا يجادلونه ويحاجونه ، وهم أهل فصاحة ولسن وهم الذين قال الله فيهم : " بل هم قوم خصمون " . وكثيرا ما كان يؤمن بعضهم عند مناقشته وتوجه الحجة عليه وقصة اسلام عمر مشهورة في السيرة . (٢)

ومن أقدم المناظرات في الاسلام ما كان بين الخوارج وعلى بن أبي طالب وبينهم وبين عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - . ( فمن مناظرة ابن عباس لهم مارواه صاحب الكامل : قال لهم عبد الله بن عباس : ما لذى نقتم على أمير المؤمنين ؟ قالوا : قد كان للمؤمنين أميرا ، فلما حُكِّم في دين الله خرج من الايمان فليتب بعد اقراره بالكفر نعد اليه .

فقال ابن عباس : لا ينبغي لمؤمن لم يشب ايمانه شك أن يقر على نفسه بالكفر . قالوا : انه قد حُكِّم .

قال : ان الله عز وجل قد أمرنا بالتحكيم في قتل صيد فقال عز وجل : " يحكم به ذوا عدل منكم " . فكيف في امامة اشكلت على المسلمين ؟ فقالوا : انه قد حكم عليه فلم يرخص . فقال :

ان الحكومة كالا مامة ، ومتى فسق الامام وجبت معصيته وكذا لك الحكمان لما خالفا نبذت أقاويلهما . فقال بعضهم لبعض :

لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم فان هذا من القوم الذين قال الله فيهم : " بل هم قوم خصمون " (٣)

وقد رجع مع على كرم الله وجهه القان من الخوارج ، بعد مناظرة طويلة له معهم . وهذا دليل على ما لقوة حجة المناظر من أثر في السامعين

(١) أنظر النشر الفقه ٤٠/١ - ٤١ .

(٢) أنظر سيرة ابن هشام ٩٢/١ .

(٣) الكامل ١٠٢/٢ ، ١٠٧ ، وأنظر الآية : سورة الزخرف آية ٥٨ .

(٤) أنظر المحرر ١١٢/٢ وأنظر ما كان يدور في مجلس معاوية من هذه المناظرات بينه وبين خصومه في المقعد الفريد ١٩٤/١ وما بعدها .

وكان لعمر بن عبد العزيز مثل هذا الموقف من الخوارج حين طلبا منه شذوب الشيباني وعاصم أن يلصن أهل بيته ويتبرأ منهم ليتبعوه . . . وكان من قوة حجة عمر بن عبد العزيز أن قال عاصم : ما رأيت حجة أبين ولا أقرب مأخذا من حجتك . أما أنا فأشهد أنك على الحق وأنتى بر من خالفك وقال شذوب : " ما أحسن ما قلت وأبين ما وصفت ولكنى أكره أن أفثت على المسلمين بأمر لأدري ما حجتهم فيه حتى أرجع اليهم فلمل عند هم حجة لا أعرفها . فقال له : " أنت أعلم " (١)

وكم كان يدور في مجالس الخلفاء ( معاوية وعبد الملك بن مروان والحجاج الثقفي وغيرهم ) من هذه المناظرات والمحاورات (٢) ، ثم جاء العصر العباسي وهو عصر ازدهار العلوم واصطراع الجدل بين الأحزاب السياسية والمذاهب الدينية فاندلعت المناظرات بين المعتزلة وطوائف المتكلمين وأصحاب الديانات المختلفة ومهود ونصارى وصائبة . . . الخ . واتخذها المعتزلة منهجا للدفاع عن مذاهبهم ومخالبة خصومهم ، وقد نتج عن هذه الحركات علم جديد هو "علم الكلام" الذي كان يعتمد على اجادة فن المناظرات . اذ كانت المناظرة لغة العصر الفكري . ثم احتدمت المناظرات في هذا المصروما تلاه حتى شملت كل جوانب المعرفة .

وألف الجاهظ كتباً مستقلة يمكن أن تدخل تحت فن المناظرات كرسالة " فخر السودان على البيضان " و " مفاخرة الجوارى والفلمان " وكتاب " فخر القحطانية والعدنانية " (٣) وما احتواه كتابه الحيوان " من مناظرات دليل على اتجاه العصر . . فقد استغرقت المناظرة التي يروها بين معبد والنظام في الكلب والديك وأيهما أفضل أكثر من مجلد من كتاب " الحيوان " .

ناهيك بما كان يدور من مناظرات في مجالس المعتزلة ومن أعلامهم فيها :

- 
- (١) أنظر المطالعة المختارة ص ٢٩٥ وما بعد ها نقلا عن سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ١٣٠ .  
 (٢) أنظر العقيدة الفريدة ١٩٤/١ وما بعد ها . وزهر الآداب ١٠٤٦/٢ ، ١١٧/٢ .  
 (٣) أنظر رسائل الجاهظ ص ٦١ وما بعد ها .

أبو الهذيل الملافة . . الذى أفهم ثلاثة آلاف من خصومه . وكان من أصـلـب  
المعتزلة عودا وأقواهم شـكـيـمة فى ميدان المناظرة والجدل ، كما يشهد لـه  
بذلك خصمه صالح بن عبد القدوس حينما ناظره فأفحمه . (١)

ومنهم النظام الذى تتلمذ عليه الجاحظ ، وقد بلغ من سعة علمه أنه كان  
يحفظ القرآن والانجيل والزبور وتفسيرها ، كما كان يحفظ كتب أرسطو ويناقضها . (٢)  
ومن أعلامهم ثمامة ابن الأشرس وعلى الجبائى ٣٠٣ هـ وهؤلاء هم الذين أقاموا  
للمناظرات سوقا ، وطبعوا المصر بطابعها ، وقد بلغ من تأثيرهم أن آمن بمذهبهم ،  
المؤمن ، والمعتصم ، والواثق ، وحاول المؤمن أن يحمل الناس على القول بخلق  
القرآن . (٣)

وعقد المعتصم مناظرة بين المعتزلة والامام أحمد بن حنبل استمرت ثلاثة  
أيام حول الموضوع نفسه . (٤) . وكانت هذه المناظرات تدور أيضا بين أصحاب  
المذاهب الفقيه ومنها ماجرى بين أبى المعالى الجوينى ، وأبى اسحاق الشيرازى  
حول اجبار البكر بالغة ، وصحة صلاة من اجتهد فى تعيين القبلة صلى ثم تبين  
له خطؤه فى وقتها . (٥)

وكانت مجالس الخلفاء كهارون الرشيد وابنه المؤمن وغيرهم مجالس واسعة  
لهذا الفن . (٦) فكثيرا ما كان يتناظر المبرد ت ٢٨٥ هـ وشعلب . . وكان  
المبرد أقوى حجة وأسرع بديهة من شعلب ولهذا غلبه فى أكثر من مجلس . . مع أن  
شعلب ليس بأقل علما من خصمه ولكن المبرد يغلبه بالمصاولة وقوة الارتجال

(١) انظر أدب المعتزلة ص ٢٢٥ .

(٢) أنظر نفس المرجع ص ٢٣١ .

(٣) انظر الكشكول ١/٤٤٤ .

(٤) انظر طبقات الشافعية ٣/٢٧٥ - ٢٨٠ .

(٥) أنظر مصجم الأديبا ١٩/١١٨ وانظر فى هذا تاريخ الأديب العربى فى العصر

المباسبى ص ٤٢٩ . لشوقي ضيف .

يقول الدينوري : " ان ثعلب مذ حبه مذ حب المعلمين فاذا اجتمعا في محفل حكم للمبرد على الظاهر الى أن يعرف الباطن " (١) ، ولهذا كان المبرد يحب الاجتماع بثعلب وثعلب يكره ذلك . (٢)

ولكثر ما كان يجري بينهما من المناظرات وصعوبة ذلك عليهم أصبحا مضرب المثل يقول الشاعر فيهما :

فأبداننا في بلدة والتقاءنا \* عسير كلقيا ثعلب والمـــــــبرد (٣)

وقد أراد الزجاج أن يثأر باستانه ثعلب من المبرد . يقول الزجاج : " لما قدم المبرد بغداد جئت لأناظره وكنت أقرأ على أبي المباس ثعلب فعزمت على اعنائه فلما باحثته ألعننى الحجة وطالبني بالعلة وألزمني الزامات لم أهتد اليها فاستيقنت فضله واسترجعت عقله " (٤) . وكان ثعلب والرياشي يتناظران فــــى النحو وأيام العرب والأخبار والأشعار (٥) . . . يمكننا أن نقول ان هذا الفن شمل حتى المنظوم من القول فيمكن أن ندخل المناقضات في اطواره ان هي محاورات ومجادلات . بل ان بعض الشعراء تأثر بمدارس المتكلمين وأخذ بمنهجهم كابن الرومي . (٦)

ومن المناظرات المشهورة في هذا العصر مناظرة أبي سعيد السيرافي النحوي ٣٦٨

وأبي بشر متى بن يونس الفيلسوف في مجلس الوزير أبي الفتح . الفضل بن جعفر ابن الفرات سنة ٣٢٠ هـ حول المنطق والنحو وأيهما أنفع لبيان صحيح الكلام

(١) انظر معجم الأدباء ١٣٧/٥ وتاريخ بغداد ٢٠٨/٥

(٢) انظر معجم الأدباء ١١٨/١٩

(٣) معجم الأدباء ١١٤/١٩ (٤) انظر نفس المرجع ١١٧/١٩ ، ١١٨

(٥) انظر نفس المرجع ١٣١/٥ وما بعد ها .

(٦) تاريخ الأدب العربي مصر المباسي الثاني ص ٥٤٠ شوقي ضيف .



من سقيمه ، وقد كتبها من حضرهما على الألواح لأهميتها . وذلك أن الوزير ابن  
الفرات رغب أن يقوم من القوم من يرد على الفيلسوف متى يفهمه حيث رأى أن " لا سبيل  
الى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة ،  
والشك من اليقين الا بما حواه من المنطق " وقد تصدى له السيرافى بعد أن أحجم  
القوم وقدم تمهيدا بين فيه أن غلبة أحدهما لا تمنى ضعفه وقلة محصوله الثقافي ،  
اذ ان ما يتكلم به المتناظر ليس هو كل ما يحويه صدره من العلم . وهناك اعتبارات  
قد تضعف من موقفه ، منها جلال الموقف والهيبة والحياء يقول : " العلم المصون فى  
الصدور غير العلم المصروض فى هذا المجلس على الأسماع المصنخة والعيون المحدقة  
والعقول الجامدة والألباب الناقدة ، لأن هذا يستصحب الهيبة والهيبة مكسورة  
ويجتلب الحياء والحياء مغلبة ، وليس البراز فى معركة غاصة كالصراع فى بقعة خاصة (١)  
ثم يسأل السيرافى " متى " عن معنى المنطق ما يريد به ؟

فيرد متى : " أن المنطق آلة من الآلات يعرف بها صحيح الكلام من سقيمه وفاسد  
المعنى من صالحه كالميزان يعرف به الرجحان من النقصان . . . فينطق السيرافى  
متى ، " لأن صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالعقل . ويقول له : هبك عرفت الراجح  
من الناقص من طريق الوزن من لك بمعرفة الموزون أم ذهب أو نحاس  
أو رصاص ؟ وأراك بعد معرفة الوزن فقيرا الى معرفة جوهر الموزون والى معرفة  
قيمته وسائر صفاته التى يطول عدها ، فعلى هذا لم ينفعك الوزن الذى كان عليه  
اعتمادك وفى تحقيقه كان اجتهداك الا نفعا يسيرا من وجه واحد وحققت عليك وجوه ،  
فأنت كما قال الأول : " حفظت شيئا وضاعت منك أشياء " . . . ودع هذا ، اذا كان  
المنطق وضعه رجل من اليونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفونه بها  
من رسومها وصفاتها ، من أين يلزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيهم  
ويتخذوه حكما لهم وعليهم ، وقاضيا بينهم ما شهد له قبلوه وما أنكروه رفضوه ؟

فقال متى : انما لزم ذلك لأن المنطق يبحث عن الأعراض المعقولة والمعانى المدركة ويتصفح الخواطر السانحة والسوانح الهاجسة والناس فى المعقولات سواء ألا ترى أن أربعة وأربعة ثمانية عند جميع الأمم ؟ وكذا لك ما أشبهه ؟

قال السيرافى : لو كانت المطلوبات بالمقل والمذكورات باللفظ ترجع فى شعبها المختلفة وطرائفها المتباينة الى هذه المرتبة البينة فى أربعة وأربعة أنهما ثمانية ، زال الاختلاف وحضر الاتفاق ولكن الأمر ليس هكذا ، ولقد موهت بهذا المثال ولكم عادة فى مثل هذا التعميه . ولكن لنردع هذا ، اذا كانت الأعراض المعقولة والمعانى لا يوصل اليها باللغة . . . أفليس قد لزمنا الحاجة الى معرفة اللغة ؟ \*

ثم يعترض السيرافى على متى أن ترجمة المنطق من اليونانية الى السريانية ثم الى العربية ، قد أفقده بعض حقائقه وحمل غير ما يحتمل خلال هذه الدورة . فيدافع متى عن ذلك بقوله : " انهم أصحاب عناية بالحكمة ولو لا هم ما نشأت العلوم وأصحاب الصناعات . "

ثم يميل به السيرافى الى النحو فيحرجه فيه ولكن متى يعتذر عن اجابته ، لأنه لم ينظر فيه . ولأنه لا حاجة للمنطق الى النحو ، أما النحو فمحتاج الى المنطق لأن المنطق يبحث عن المعنى والنحو يبحث عن اللفظ . . والمعنى أشرف من اللفظ ، ثم يكر عليه السيرافى فيعنته بمسائل نحوية لا يدرك عويصها الا النحاة المتمرسون ، فيبهت متى وينقطع .

والمناظرة طويلة يمكن الرجوع اليها فى معجم الأدباء <sup>(١)</sup> وقد كانت الغلبة للسيرافى ولعل ذلك بسبب مناصرة الوزير له . مع أن السيرافى هذا فصيح اللسان قوى المعارضة ، ولذلك تغلب على الفيلسوف أبى الحسن الحامرى فى مناظرة جسرت

(١) أنظر معجم الأدباء ١٩٠/٨ - ٢٢٧ والعصر العباسى الثانى لشوقي ص ٥٣ وما بعدهما .

بينهما في النحوف في مجلس ابن الحميد سنة ٣٦٤ هـ وشهدا أبو حيان التوحيدي  
ت ٤١٤ هـ وقد ناصر ابن الحميد أيضا ، وقال السيرافي عن هذه المناظرة : " ما  
ذهبت قط بمثل ما ذهبت به اليوم . لقد جرت بيني وبين أبي بشر صاحب كتاب  
" المنطق " سنة ٣٢٠ هـ في مجلس ابن الفرات مناظرة كانت هذه أشوس وأشرس منها<sup>(١)</sup>  
وللباقلاني ت سنة ٤٠٣ مع امبراطور الروم باسيليوس ( ٣٦٥ - ٤١٦ ) مناظرة  
لطيفة أوردها محقق كتابه " اعجاز القرآن " في مقدمته . وكان موفدا من قبل  
عضد الدولة البويهى . فسأله الامبراطور : هذا الذى تدعونه في معجزات نبيكم  
من انشقاق القمر ، كيف هو عندكم ؟

فقال له الباقلاني : هو صحيح عندنا . . . حتى رأى الناس ذلك وانما رآه . .  
الحضور ومن اتفق نظره اليه في تلك الحال .  
فقال الملك : وكيف لم يره جميع الناس ؟  
قال : لأن الناس لم يكونوا على أهبة ووعده لشقوقه وحضوره .  
فقال : وهذا القمر بينكم وبينه نسبة وقاربة ؟ لاى شىء لم تعرفه الروم وغيرها من . .  
سائر الناس ، وانما رأيتموه أنتم خاصة ؟  
فقال له الباقلاني : " فهذه المائدة بينكم وبينها نسبة ؟ وأنتم رأيتموها دون اليهود  
والمجوس والبراهمة وأهل الإلحاد ، وخاصة يونان جيرانكم ، فانهم كلهم منكسرون  
لهذا الشأن وأنتم رأيتموها دون غيركم . فتحير الملك . ثم تستمر المناظرة  
على هذا المنوال ولولا الاطالة لأوردتها كاملة لقيمتها<sup>(٢)</sup> . وللباقلاني هذا  
مناظرة مع سليمان المنطقى جيدة<sup>(٣)</sup> مما يدل على درسته وتجربته في هذا الفن .

( ١ ) معجم الأندلس ٢٣٩/٨ - ٢٣٢ - ٢٣٢

( ٢ ) أنظر مقدمة اعجاز القرآن ٣٠ - ٣٧ .

وإذا رجعنا الى صميم الأدب يروى لنا البديعى صاحب كتاب "الصبح المنبى" المناظرة المشهورة بين المتنبى والحاتمى ، والتي رواها الحاتمى من طرف واحد ولكل لك فهي تشبه مناظرة البديع والخوارزمى من وجوه فكل منهما يظهر صاحبه عيىلا ويظهر نفسه فصيحاً مفلحاً .

وكل من الحاتمى والبديع قدم للمناظرة وهو حاقط يريد أن يشار لكرامته لأن خصمه ازدراه ولم يقد له اعتباراً ، وكل من الخوارزمى والمتنبى كان له حساد من وجوه القوم الذين حضروا المناظرة يريدون أن يغلب .

فبعد المقدمات الطويلة التى يروىها الحاتمى فى كبريا المتنبى واعراضه عنه يلتفت أبو الطيب للحاتمى ويسأله عن حاله فيندفع الحاتمى فى الهجوم عليه يستصفره ويحاول أن يحط من قيمته أمام الحضور فى حين يبخل فيه نفسه ويحظمها ثم يبدأ فى نقد بعض أبياته فيقول فى قوله :

إذا كان بعض الناس سيفاً لدولة \* ففى الناس بوقات لها وطبول

أهكذا تمدح الملوك ؟ وفى قوله فى هجاء ابن كيخلف :

وإذا أشار محدثاً فكأنه \* قرد يقرقه أو عجوز تلط

أما كان لك فى أفانين الهجاء التى تصرفت فيها الشعراء مندوحة عن هذا الكلام الذى تنفر منه الأسماع ومجبه كل طبع ؟ ثم يمضى على هذا المنهج حتى يستغرق

( ٩ ) أبيات بالنقد واكتفى المتنبى فى رده على نقد الحاتمى :

كما يرويه الحاتمى - بأن استعرض بعض أبياته المشهورة وقال : " أما يكفيك احسانى فى هذه وتغفر عن اسامى فى تلك ؟ " ولكن الحاتمى يعود للسلاح التقليدى لكل من يريد أن ينقد شعراً فيتهمه بأنه سرق تلك الأبيات التى استشهد بها المتنبى



والحق أن المناظرة رغم ما فيها من فائدة وطرافة . لا يمكن أن تكون على هذه الصورة التي يرويها لنا أحد الخصمين فلا يمكن أن يكون المتنبي بهذا الجهل والخصم وهو من هو في عزة نفسه وثقته بها واطلاعه الواسع ومجالسته لأرباب اللغة وفهمه لدقائق العربية حتى قيل ان أبا علي الفارسي قال له يوما : كم لنا من الجموع على وزن " فعلى " ؟ قال في الحال : حجلي وظهرى . . قال الشيخ أبو علي الفارسي : فطالمت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لها ثالثا فلم أجد " (١) ، وحسبك بأبي علي شاهدا له على علمه بالعربية . ولكن الحاتمي أراد أن يتقرب بمغالبة المتنبي وقهره للوزير المهلبى الذى كان حائقا على المتنبي لترفعه عن مدحه فألف فى هذه المناظرة كتابا . . واستباح لنفسه أن يروى المناظرة بالشكل الذى يرضى الوزير ويشفى غلته من المتنبي ، وقد أفصح الحاتمي أنه إنما ألف رسالته الموضحة استجابة لرغبة الوزير ، يقول فى مقدمته : " سامنى - أى الوزير - هتك حريمه وتمزيق أديمه ووكلى بتتبع عواره واحواجه الى مفادرة العراق " (٢) وأشد من هذه المناظرة مناظرة بديع الزمان والخوازمي التى سوف نتعرض لها بالتفصيل وهي كما قلت تشبه هذه المناظرة ولعل البديع اطلع على رسالة الحاتمي قبل شروعه فى كتابة مناظرته مع الخوارزمي ، ولا استبيح لنفسى أن أطيل أكثر من هذا فى ايراد أمثلة من مناظرات هذا المصر . فالعصر عصر مناظرات حتى لقد أجروها بين الجمادات . . كمنظرة السيف والقلم لابن نباتة المصرى وبين الورد والرجس للماردينى وبين القنديل والشمعدان لليمانى وبين الزهور لجلال الدين السيوطى . (٣)

كذلك أجروها مع الطيور كما فعل ابن شهيد فى مناظرته للوزة (٤) . . وعقد

(١) الصبح المنبى ص ٨٠ .

(٢) انظر مقدمة الرسالة الموضحة ١ ، ٢ .

(٣) جمع هذه المناظرات عزت الحداد فى كتاب واحد أسماه " مناظرات فى الأدب " .

(٤) أنظر كتابه " التوابع والسراييع ص ١٥٢ - ١٥٣ وانظر أمثلة أخرى من المناظرات

فى زهر الآداب ٤٣١/١ ، ١٠٩/٢ . وأيضا أنظر الكشكول فيه مفاخرة بين البخل والكرم وبين مصر والشام والشرق والغرب والعجم والنجر والنظم ٣٥٠/١ وما بعدها .

الآمدى مناظرة بين صاحب البحرى وصاحب أبى تمام اختراعا . وهي تمثل النزاع  
الذى قام بين أصحاب كل من الشعاعين فى صدر كتابه " الموازنة بين الطائيين " (١)  
وانما أطلت فى هذا الفصل لأن هذا الفن من فنون نشرنا العربى لم يلبس  
من الباحثين العناية الكافية وهو ظاهرة فى الأدب لها قيمتها ووزنها وتاريخها  
... وكانت فنا يعنى ببسط المعانى والفصوص فيها .. وتشعيبها .. وهي ان صح  
القول رياضة عقلية تشحن البديهة وحافز للتعلم والتثقيف والتبحر فى العلوم ...  
ولا أرانى بما كتبه فى هذه الصفحات عن هذا الفن قد أعطيت الموضوع حقه ، بل  
ان هذا الفن يحتاج الى دراسة مستقلة قد لا يستوعبها كتاب واحد . وهي لعمري  
دراسة مفيدة وممتعة طريفة فى نفس الوقت غير أنها تحتاج لجهد غير قليل لجمـع  
شتاتها من المراجع الكثيرة المتنوعة .

الباب الثاني

"حياته العامة"



## الفصل الأول

" أصله ونسبه وموطنه ، مولده ووفاته ، ثقافته وأساتذته "

أصله ونسبه :

(١) هو أبو بكر محمد بن المباس الخوارزمي (١) ، أصله فارسي من طبرستان (٢) ،  
أحدى المدن الفارسية التى فتحها المسلمون ودخل أهلها فى الاسلام منذ القرن  
الأول الهجرى .

- 
- (١) من المراجع التى ترجمت للخوارزمي وتحدثت عن حياته :
- اليتيمة ١٩٤/٤ وما بعد ها - الوافى بالوفيات ١٩٢/٣ - وفيات الأعيان  
٤٠٠/٤ - ٤٠١ - الانساب للسمعاني ٢١٣/٥ - اللباب ص ١٧١ شذرات  
الذهب ١٠٥/٣ - بغية الوعاة ١٢٥/١ - أعيان الشيعة ٢٥٨/٤٥ تاريخ  
الأدب العربى لبروكلمان ١١٠/٢ وما بعد ها - تاريخ الأدب العربى للزبيات  
٢٣٩ - تاريخ آداب اللغة العربية لجرى زيدان ٢١٥/٢ - تاريخ الأدب  
العربى عمرفروخ ص ٥٤٤ تاريخ الأدب العربى للسباعى بيومى - تاريخ اللغة  
العربية احمد الاسكندرى ص ٢٠٠ وما بعد ها . تاريخ الشعر العربى  
محمد الكفراوى ١٦٧/٣ - فى الأدب العباسى محمد البصير  
ص ٦٣ وما بعد ها . الوسيط فى الأدب العربى / احمد الاسكندرى  
ص ٢١٣ . معجم المؤلفين ١١٩/١٠ كنوز الأجداد كرد على ص ١٩٠  
وما بعد ها - معجم المطبوعات العربية ٥٢/٢ بديع الزمان  
المهدانلى رائد القصة ص ٨١ دائرة معارف القرن العشرين  
٧٩٥/٣ الاعلام ٥٢/٧ ، معجم المؤلفين ١١٩/١٠ دائرة معارف  
البستاني ٣٠/٢ .
- (٢) أنظر اليتيمة ٢٠٤/٤

ولد الخوارزمي ونشأ بخوارزم <sup>(١)</sup> ، ولهذا لقب بالخوارزمي ويلقب أيضا بالطبرخزمي ، والطبرخزمي ، فقليل لقب بذلك لأن أصله من طبرستان ، ومنشؤه بخوارزم <sup>(٢)</sup> ، وقيل بل لأن أباه من خوارزم وأمه من طبرستان <sup>(٣)</sup> ، ويقول ابن القيسراني : انه سمع الأديب أبا بكر البخاري الخالدي يقول : ان أبا بكر الخوارزمي يعرف عند هم بالطبرخزمي ، يعني : طبري خوارزمي <sup>(٤)</sup> .

ويلقب أيضا بالطبري نسبة لخاله محمد بن جرير الطبري " صاحب التاريخ المشهور " . كما ذهب الى ذلك ابن الأثير والسماعني <sup>(٥)</sup> وغيرهم . . . وصاحب كتاب أعيان الشيعة ذهب الى أن الطبري ليس هو صاحب التاريخ والتفسير " محمد بن جرير بن يزيد الطبري المولود بآمل من طبرستان ، وإنما هو طبري آخر اسمه : " محمد بن جرير بن رستم الطبري " فأوقع ياقوتا وغيره في الاشتباه اتحاد الكنية والاسم والنسب . . . <sup>(٦)</sup> وصاحب كتاب نشوار الحاضرة ( وهو معاصر للخوارزمي ) يدعي أنه نسبة " لطبرية الشام " حيث قال في محض أيراد أبيات للخوارزمي " لأبي بكر الخوارزمي الطبري من طبرية الشام " <sup>(٧)</sup> وهي نسبة غريبة فرغم أن . . . التناقض معاصر للخوارزمي فأننا لا نستطيع الأخذ بقوله . . . لأننا لا نجد سببا معقولا لنسبته لطبرية ، فالخوارزمي لم يولد ولم ينشأ بها . وقد يكون موهبا ففى أثناء وجوده بالشام غير أن مروره بها لا يعد سببا لنسبته اليها الا اذا قصد أنه قال هذه الأبيات وهو " بطبرية الشام " على أنه احتمال بعيد . والخوارزمي نفسه يلقب نفسه بالطبري <sup>(٨)</sup> ، على أن الخوارزمي أشهر من الطبري والطبري

- 
- (١) انظر التقيصة ٢٠٤/٤  
 (٢) انظر بقية الوعاة ١٢٥/١ ، وشذرات الذهب ١٠٥/٣  
 (٣) انظر وفيات الأعيان ٤٠٠/٤ ، ولب اللباب ص ٩٨  
 (٤) انظر الانساب المتفقه ص ٩٧  
 (٥) اللباب ص ١٧١ والانساب ٢١٣/٥ والانساب المتفقه ص ٩٧ ومجمع البلدان ٧/١  
 (٦) أعيان الشيعة ٢٥٨/٤٥  
 (٧) نشوار المحاضرة ١٥٨/٦  
 (٨) الرسائل ص ٣٨٠

أشهر من الطبرخزى . ولا أدري لماذا ذهب المؤرخون بعيدا فى تحليل تلقيبه بالطبرى مع أن أقرب تحليل هو أنه لقب بذلك لأن أصله من طبرستان ، فكما لقب بالطبرخزى لأنه ولد بخوارزم لقب أيضا بالطبرى لأن أصله طبرستان .

ولا نعرف شيئا عن والده سوى ما ذكره أبو بكر من أن والده كان ثريا وقد ترك له ثروة طائلة . ( ١ )

أما والدته فهي أخت / محمد بن جرير الطبرى المشهور إذا صح أنه خاله من طبرستان فهي من بيت علم وأدب .

#### مولده ووفاته :

ولد الخوارزمى سنة ٣٢٣ هـ كما هو ثابت فى معظم المصادر . ويبدو أن ذلك لم يقع للذكور زكى مبارك حيث قال : " لا نعرف بالضبط متى ولد " ( ٢ ) ولورجع الى . . يتيمة الدهر ( ٣ ) أو بغية الوعاة ( ٤ ) لا أدرك أن سنة مولده معروفة وليست مجهولة . . . وأنه حق كما ذكرنا باتفاق الرواة .

أما سنة وفاته فموضع خلاف فبعضهم ذهب الى أنها كانت سنة ٣٩٣ هـ ( ٥ ) ، والباقيون قالوا أنها كانت سنة ٣٨٣ هـ ( ٦ ) .

وسر الخلاف على ما يبدو يرجع الى اختلافهم فى العام الذى ورد فيه البديع نيسابور بعد مفارقة همدان ليتصل بحضرة صاحب بن عباد . . . ومعروف أن المناظرة المشهورة بين الخوارزمى والبديع كانت فى السنة التالية لورود الهمدانى

---

( ١ ) أنظر رسائله ص ٢٢٩ . ( ٢ ) النثر الفنى ٢ / ٢٦٠ . ( ٣ ) ٢٠٩ / ٤ . ( ٤ ) ١٢٥ / ١٥ . ( ٥ ) الكامل ١٧٩ / ٩ . ( ٦ ) يتيمة ٢٠٩ / ٤ و بغية الوعاة ١ / ١٢٥ ومعجم الأدباء ١٨٣ / ٢ وطبقات النحاة ص ١٣٠ والكامل ١٠١ / ٩ وشفارات الذهب ١٠٥ / ٣ والأنساب ٢١٣ / ٥ واللباب لابن الأثير ١ / ٤٦٧ .

نيسابور ، وأن الخوارزمي توفي في نفس السنة ، اثر المناظرة .

(١) وقد ذكر ياقوت في معجم الأدباء أن بديع الزمان ورد نيسابور سنة ٣٩٢ هـ .  
فمن اعتمد على ما ذكره ياقوت جعل وفاة الخوارزمي سنة ٣٩٣ هـ غير أن ما ذكره ياقوت  
من ورود بديع الزمان نيسابور سنة ٣٩٢ هـ وهم بدليل أن ياقوتا نفسه يذكر في نفس  
الجزء في موضوع آخر أن بديع الزمان " وافى نيسابور سنة ٣٨٢ هـ (٢) وهو نفسه  
يذكر أن وفاة الخوارزمي كانت سنة ٣٨٣ هـ (٢) . ولعل من المفيد أن نذكر أن  
ياقوتا اعتمد على اليتيمة فيما نقله من أخبار بديع الزمان حيث قال : " لم يقتصر  
أحد خبره أحسن مما أقتضه الثعالبي . . فنقلت خبره من كتابه ، ولخصته من بعض  
سجحه " (٣) ، والثعالبي يذكر أن بديع الزمان " وافى نيسابور سنة ٣٨٢ هـ (٤) .

ومن الثابت أن وفاة صاحب كانت سنة ٣٨٥ هـ ولو ثبت ما ذكره ياقوت فسي  
أحد أقواله - للزم أن تتأخر وفاة صاحب الى ما بعد سنة ٣٩٢ هـ وهذا ما لم يقل به  
أحد . ومن الغريب أن الكامل الذي ذكر أن وفاة الخوارزمي كانت سنة ٣٩٣ هـ  
يذكر في نفس الجزء أنه ضمن المتوفين سنة ٣٨٣ هـ (٥) .

وبدليل آخر يبطل زعم من ذكر أن وفاة الخوارزمي كانت سنة ٣٩٣ هـ . ذلك أن  
الخوارزمي باتفاق مات قبل وفاة صاحب ابن عباد وبدليل هجاء صاحب له بمسند  
وفاته (٦) ، وقد ثبتت وفاة صاحب سنة ٣٨٥ هـ فكيف تكون وفاة الخوارزمي سنة . .

٣٩٣ هـ ؟

- 
- (١) أنظر معجم الأدباء ١٦٦/٢ (٢) نفس المرجع ١٨٣/٢  
(٣) نفس المرجع ١٦٣/٢ (٤) انظر اليتيمة ٢٥٧/٤  
(٥) أنظر ١٠١/٩  
(٦) أنظر وفيات الأعيان ٤٠٢/٤ ونزهة الألباء ص ٣٢٦ ومآة الجنان ٤١٧/٢  
والوافي ١٩٣/٣

ولو لم تثبت لدينا هذه الأدلة كلها ولم يثبت تناقض الأدلة المعارضة لرجحنا رواية الثعالبي المصاحف لكل من الخوارزمي وبديع الزمان ، وتلميذ الخوارزمي على رواية ياقوت وابن الأثير وقد بين الثعالبي أن وفاة الخوارزمي كانت سنة ٣٨٣ هـ وقد رأينا أن مرجع ياقوت هو اليتيمة فيما ينقل عن الخوارزمي والبديع .

وهكذا تثبت وفاة الخوارزمي بالدليل القاطع سنة ٣٨٣ هـ وأن من ذكر وفاته سنة ٣٩٣ هـ إنما بنى على وهم . وقد سبق أن ذكرنا أن وفاته كانت في السنة التي ناظر فيها بديع الزمان ومن هنا ربط بعضهم بين وفاته وبين هزيمته ، وليس ببعيد أن يموت كمذا من تلك الهزيمة ، وقد رأى عرشه الذي ظل بينه طوال حياته يتزلزل تحت قدميه ، وقد رأى الشماتة في أعين حساده ، وبعد أن رأى هوى الحاضرين مع خصمه والذي ما كان يمهده إلا واحدا من تلاميذه . . وهذا كله ما ستره في موضعه عند الحديث عن أدبه .

وحينما علم بديع الزمان بموته رثاه بما يشبه الشماتة ، أو كما قال الثعالبي :  
 " دس فيع سعاية ثانية " (١) وذلك في قوله : (١)

حنانك من نفس خافت	* ولبيك عن كمد ثابت
أبا بكر أسمع قل كيـف ذا	* ولست بمسمة الصامت
تحملت فيك من الحزن	* تحمله ابنك من صامت
حلفت لقد مت من معشر	* فنيين عن خطر المائت
يقولون أنت به شامت	* فقلت لثرى بغم الشامت
وعزت على محاداته	* ولا متدارك للفائت

وقريب من مرثية بديع الزمان ، مرثية أبي الحسن عمر بن أبي عمر الرقاني ، وقد أساء إليه ولكنه أحسن على أساءته كما يقول الثعالبي (٢) .

(١) انظر اليتيمة ٢٠٩/٤

(٢) نفس المرجع ٢٠٩/٤

يقول الرقائسي (١) :

مات أبو بكر وكان أمـــــــراً \* أد هم في آدابيه الفـــــــر  
ولم يكن حراً ولكنـــــــه \* كان أمير المنطق الحـــــــر

فهذا على ما فيه من النيل من أبي بكر ، خير من رثاء بديع الزمان فهو وان طعننه  
في أخلاقه فقد اعترف له بالسبق في ميدان الأدب والاجادة في البيـــــــان .

أما تلميذه " الطيسني " فقد رثاه بقصيدة تجيش عاطفة وحزنا وقد جاءت  
هذه القصيدة وكأنها رد على خصومه ووفاء لأستاده . يقول فيها : (٢)

شيب فردا الأسى قد الأسى \* وكدر الدهر صفوها لــــى  
وارتجع الدهر ما حبــــاه \* وحيمل المجد بالــــزوال  
وعادت النيرات بهمــــا \* وناحت الحصى في الجبال  
فقلت يا صاحبي مــــاذا \* أتت به كرة الليــــال  
أقام ربي النشور أم قــــد \* دعا الى العرض والســــؤال  
أم الهطام الا ما أودى \* لهفى على ناقد الرجــــال  
رب الفيا في أبي القوافى \* عم المعاني أخ الموالى  
حاربه الدهر وهو حــــرب \* لما رآه بلا مشــــال  
يا أهل خازم من يعــــزى \* أنتم أم المجد والمعالى ؟  
أم القوافى أم المذاكــــى \* أو التماليك والألــــى (٣)  
مضى الذى لو رآه قــــس \* يوما لأضحى بلا مقــــال  
وفلّ منه الردى حــــما \* ما فله كثرة الســــزال  
وأنضب الدهر منه بحــــرا \* يمجج بالدر واللآلــــى  
يا من غدى يدعى المعالــــى \* قد رفع الفخ لا تبالــــى

يتبع ..

(١) نفس المرجع ٢٠٩/٤  
(٢) دمية القصر القسم السادس من مخطوط رقم الترجمة ٥٢٢ (لدى سامى مكى الصانق)  
(٣) ١. نظر الألب العري في الدولة الخوارزمية لهند حسين مخطوط رسالة ماجستير  
جامعة بغداد .  
... التماليك : الهوامش والتعليق .

صلى على روحه الا هـي \* مادام يتلو البيان تـال  
وما سرى فى الظلام سـار \* وشهد بالكور والرحـال

### ثقافته وأساتذته وثلاميذه :

كان الخوارزمى محبا للعلم ، وقد قصر حياته عليه . . فقد جاب الاقـساق  
وقطع الفيا فى تاركا أهله ووطنه فى سبيل العلم وهو فى ربحان شبابه (١) ، ليرتاد  
مجالس العلماء والأدباء ، والمجالس كما قال المصاحب : " تخرج الناس وتهب لهم  
الذكاء وتزيد هم فطنة (٢) " فقد قصد بلاط سيف الدولة الحمدانى بحلب  
( وبلاط سيف الدولة يومئذ يروج بفحول الشعراء أمثال : المتنبى والبيها والناسى  
والخالدين والشمشاطى والناشى والزاهى والوواء المشقى والرستمى ،  
والصنوبرى وأبى فراس الحمدانى وغيرهم ) .

وكان الى جانبهم من الأدباء واللغويين والرواة : أمثال أبى الطيب  
اللغوى وابن جنى وابن خالويه - أستاذ الخوارزمى - وغيرهم من جهابذة الأدب  
المصرى وعلومه ، وهم ذروة السنام وثمره الثقافة الاسلامية المصرية وخلاصة امتزاج  
الثقافة المصرية والفارسية واليونانية . . وقد خلدوا ذكرهم بما أنتجوا فى شتى فروع  
العلم ونتاجهم بقي مرجعا لكل من جاء بعدهم حتى اليوم . وقد جمع هؤلاء . . .  
النخبة - فى بلاط سيف الدولة الحمدانى - حب سيف الدولة للأدب والعلم  
وتقديره للأدباء والعلماء ، وما كان يفدقه عليهم من أموال وأعطيات جزيلة (٣)  
فاجتمع فى مجلسه منهم خلق كثير حتى قيل فيه : " لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك  
- بعد الخلفاء - ما اجتمع ببابه من شيخ الشعر ونجوم الدهر . (٤)

( ١ ) أنظر معجم الأدباء ١٧٨/٦ (٢) انظر البيهية ٢٦/١ .

( ٣ ) أنظر اخبار جوده على الشعراء البيهية ٣٢/١ - ٣٥ .

( ٤ ) نفس المرجع ٢٧/١ .

وفى هذا الجوالذى تتصارع فيه الآراء وتحتدم فيه الأفكار وتخص الحقائق وتنقد الأقوال ، وتتقارع فيه الخصوم وتحتد المنافسات ، عاش الخوارزمى ردحا من الزمن ، يحفظ ويستفيد ويتشقف وهو فى السن الثماني<sup>فني</sup> أشد ما يكون<sup>فني</sup> فهما وقبولا لما يلقي اليه . . . يقول الخوارزمى عن ذلك : " ما فتى قلبى وشحن فهمى وصقل ذهنى وأرهف حد لسانى ، وبلغ هذا المبلغ بى ، الا تلك الطرائف الشامسية والطايف الحلبية التى علقت بحفظى وامتزجت بأجزاء نفسى وفن الشباب رطيب ورداء<sup>(١)</sup> الحداثة قشيب<sup>(٢)</sup> ومن الملفت للنظر أننا لانجد له أدبا فى مجتمع الحمدانيين أو فى مدح أمراءهم رغم أنه عاش كما قلنا جزءا من عمره فى مجتمعهم وخدمتهم . (٢)

وان كان يروى لهم شعرا كثيرا ،<sup>(٣)</sup> كما كان يحارغ ألأواء<sup>(٤)</sup> الدمشقى وهو من شعراء الشام .<sup>(٥)</sup> فهل كان وجوده بين أولئك الفحول ، بقصد التعليم والتثقيف فقط ؟ خاصة أنه كان لا يزال فى ريعان عمره - ولكن كيف وملاط سيف الدولة لا يأوى الا من عرف بالفضل والأدب وما معنى خدمته اذا ؟  
والأقرب للواقع أن الخوارزمى قد أدلى بدلوه بين تلك الدلاء ولكن انتاجه - وهو بعد لم يشتد عوده - لم يقو على الوقوف بين انتاج أولئك القشاش الكبار ، فشغل الناس عنه اهتمامهم بأولئك الجهابذة الكبار ولحل ديوانه الذى لا يزال فى . . . حكم المفقود حتى الآن يحوى بعض ما قاله فى تلك الفترة .

(١) اليتيمة ٢٦/١

(٢) بغية الوعاة ١٢٥/١

(٣) انظر اليتيمة ١٠٤/١ - ١٠٦ ، ٤٥ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ٢٨٩ ، وغيره .

(٤) نفس المرجع ٢٩٦/١



ولم تكن بغداد آتخذت مكانتها الادبية والعلمية ، فكانت من بسين  
البيئات الثقافية التي قصدها الخوارزمي وأخذ عن علمائها ، وخاصة "علم الحديث" .  
فقد ذكر الحاكم أنه روى الحديث عن أبي علي اسماعيل بن محمد الصفار وأقرانه  
ببغداد . ( ١ )

ثم انقلب الى أصفهان حيث كانت الجامعة الثانية - انصح التعبير - في حضرة  
المصاحب بن عباد فالخوارزمي وإن عاد وهو أحد أفراد الدهر وأمرء النظم والنثر " كما  
يسمى الثعالبى ( ٢ ) ، إلا أن من كان يلزم حضرة المصاحب من العلماء والادباء لا يقلون  
عن أخذ عنهم الخوارزمي في بلاط سيف الدولة الحمداني " خاصة وإن كثيرا ممن  
الادباء الذين ثابروا في بلاط سيف الدولة انتقلوا الى حضرة المصاحب بعد وفاة الحمداني  
كما سبق أن ذكرنا . ( ٣ )

ولا تصاب الخوارزمي بهذه المحائن العلمية والادبية ومصاحبه وأخذ من  
يرتادونها ، وحفظه لما يقولون وتتلمذ على بعض أعلامها ، تعددت مشاربه ، وتنوعت  
ثقافته ، فأخذ من كل علم بطرف ، فحضر بسهم وأفرق في الادب نثره ومعره ، وكان علما فسي  
الفقة ، قال السمعاني : " دخل الخوارزمي مجلس المصاحب ابن عباد وعليه ثياب  
خلقه ، وكان غاصا بالفضلاء والصحراء من أقطار الارض فصعد الصفة فاستزراه الحاضرون  
فقال واحد منهم فلما منه أنه لا يعرف العربية : من هذا الكلب ؟ فقال أبو بكر : الكلب  
الذي لا يعرف عشرين لغة في الكلب فسكت الحاضرون فذكر لهم أسماء الكلب . ( ٤ )

( ١ ) انظر الانساب ٢١٣/٥ - ٢١٤ وخيطة الجواة ١/١٢٥ ، طبقات النجاة ص ١٣٠

واللباب للجزيري ٤٦٧/١

( ٢ ) انظر اليتيمة ٢٦/١

( ٣ ) الفصل الاول من الباب الاول وانظر رسائل الخوارزمي ص ١٠٤

( ٤ ) انظر الانساب ٢١٣/٥ - ٢١٤

وكثيرا ما ينقل عنه الثعالبى في كتابه " فقه اللغة " ويقول : علقته عن الخوارزمى  
أو وجدت في تصليقاتي عن الخوارزمى عن ابن خالويه (١) وإذا صحت نسبة كتاب " المنتخب  
من سنن الصرب اليه " فقد اسهم أيضا في علم البلاغة (٢) . . . كما سترى وقد ساعده على  
اعتصام هذه الثقافات وتمثلها حافظلة عجيبة ، لا تسمع شيئا الا وعته وحفظته . . . فقد  
ذكر الراقب الاسفهانى " أن الخوارزمى حفظ كتاب الامثال لابى عبيدة فليله ، وقرى عليه  
أوراق من حساب البفالين فأعادها على الترتيب " (٣)

ونحن نصرف قصته المشهورة مع المصاحب حين أراد أن يدخل عليه فمنعه الحاجب  
بحجة أن الوالى أوصاه ألا يدخل عليه الا من يحفظ اثني عشر ألف بيت من الشعر وفي بعض  
الروايات عشرين . . . فقال الخوارزمى للحاجب : أرجع الى مولانا واسأله أمن شعر النساء  
يريد أم من شعر الرجال ؟ فقال المصاحب للحاجب : هذا لا يكون الا أبا بكر الخوارزمى  
وأمره بادخاله (٤) .

وقد ألف في الامثال ، والنقد ، وحذق في علم الانساب وأيام الصرب ، يقول عن نفسه  
الحاكم : " وقلما اجتمع منى الا ذكر لى بالاسامى والكنى والانساب حتى يحيرنى في حفظه  
لهذه الانواع " (٥) وقد درس علم الحديث . . . (٦) وتلقى الثقافة الفارسية بلسانها  
باعتباره أحد أبناء الفرس ، وقد عاش في بلاد الفرس . . . وما يدل على اتقانه للفارسية  
أنه ألف ديوان شعر بالفارسية (٧) وله بصر المقطوعات الشعرية التى يرصمها بالقسط

(١) انظر على سبيل المثال ص ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٩٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، وغيرها وانظر تصليق

زكى مبارك على نقل الثعالبى النشراقى ١٩٠ / ٢

(٢) انظر هذه الرسالة ص (٣) محاضرات الادباء ٢٢ / ١

(٤) مرآة البهتان ٢ / ٤١٦ - ٤١٧ ، وفيات الاعيان ٤ / ٤٠١ ، الوافى ٣ / ١٩٣

(٥) الانساب ٥ / ٢١٣ - ٢١٤ (٦) انظر مثالب الوزيرين ٧٨

(٧) انظر الفصل الاول من الباب الثالث من هذه الرسالة .



ويقول ياقوت في ترجمته لملي بن أحمد الواحدى " واستخلفه الاستاذ أبو بكر الخوارزمى على درسه عند غيبته " (١) ومعظم تلاميذه انما هم اولاد الامراء وأصحاب المناصب فمنهم : أبو منصور عبد الملك بن اسماعيل الثعالبي ، وكان يوثقه على غييره يقول الثعالبي : " ما كان أكثر ما ينشدنى ويكتبنى مما يثنى به على غيرى من تلك الفـرسـر التى تجرى مجرى السحر والملح التى يقطر منها ماء الظرف " (٢) ومنهم أحمد بن عيسى بن أبي بكر الزوزنى (٣) ، وأحمد بن كامل بن خلف السجزي وأبو علي مجاهد بن موسى بن فروى الخوارزمى ، (٤) ومحمد بن آدم بن ثمان أبو المظفر الهروى (٥) ومحمد بن أحمد بن أسرى أبو الفتح النحوى اللغوى (٦) وأبو سعيد الحسن بن أحمد الطبسى النسيابورى الذى رثاه بقصيدته الجيدة . (٧) وساعد بن محمد الاستواى (٨) .

ويدل على كثرة تلاميذه كثرة رسائله الموجهة اليهم في ديوان رسائله (٩) ومنهم من بلغ مرتبة الوزارة . (١٠)

من  
على أن تلاميذه من تنكر له فأرسل له أبو بكر الخوارزمى يحذره بهذه الاببيات الجميلة : (١١)

(=) (٥) انظر ٢٥/١ وروضات الجنان ٢٤/٢

(١) معجم الادباء ٩٩/٥ (٢) انظر اليتيمة ٢٦/١

(٣) نفس المرجع ٤٤٦/٤ (٤) الانساب ٢١٤/٥

(٥) ت ٤١٤ هـ " شرح الاصلاح وشرح اشغال أبي عبيد وشرح الحاسة وشرح ديوان أبي الطيب (معجم الادباء ٢٦٢/٦) .

(٦) انظر نفس المرجع ٣٢٦/٦

(٧) انظر هذه الرسالة ص ١٤٠ ، ١٤١

(٨) انظر تاج التراجم في طبقات الحنفية رقم الترجمة ٨٢ ، ص ٢٩٠

(٩) انظر على سبيل المثال الصفحات : ٧ ، ٨ ، ١٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ٧٣ .

(١٠) انظر رسالته ص ١٧٠ .

(١١) هكذا وردت أبيات كلها للخوارزمى في مخطوطة رسائله بالمدينتيـة رقم ٨١١/٢٢ واليتيمة ٢٣٥/٤ وفي أعيان الشيعة ٤٥/٢٦٤ . أن البيتـين الأخيرين رد من أبي زيد على الخوارزمى .

هَذَا أَبُو زَيْدٍ عَقَلْتُ حَسَامَةً	فَقَدَا بِهٖ سَلْتَا عَلِيَّ وَأَقْدَمَا
أَنْشَأَ يَجْهَلُنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي	وَيُرِيْشُ مِنْ رِيْشِي لَرَمِيْ أَسْهَمَا
يَا مَنِيْنَمَا قَوْمَا بِكُفِّي أَحْكَمَ	وَمَسَدَا رَمَا بِكُفِّي قَوْمَا
أَرْقَيْتَ بِيْ فَوْسَلَمَ حَتَّى إِذَا	نَلَّتِ الذِّئْبُ تَبْنِيْ كَسْرَتِ السَّلْمَا •

## الفصل الثانى رحلات تسمية الادبيات

( علاقات بالامراء والوزراء والكتّاب )

فى حلب ( سيف الدولة ) فى بخارى ( البلخى ) وفى نيسابور ( أبو نصر الميكالى )  
فى سجستان ( طاهر بن محمد ) وفى أصفهان ( صاحب ) ، فى شيراز ( عضد الدولة ) .

كانت الرحلات الادبية والملمية - ولا تزال - من أهم الوسائل التى يبنى بها الطالب ثقافته . ولعل أول من فتح باب الرحلات الملمية اللغوية الذين كانوا يجمعون اللغة من أبناء البادية .. ثم المحدثون الذين كانوا يجمعون الاحاديث مشافهة من حفاظها .. وقد كثرت الرحلات الادبية فى القرن الرابع .. وقد دعا المتأديبين اليها وحببتهم فى ارتشاف العلم من معينه فى البيئات المختلفة فكان الاديب يقوم بتلك الرحلات للتزود بالمعرفة وطلب العلم فى حدائقه .. اذ كانوا لا يكتفون بقراءة كتب من اشتهر فى هذا الفن حتى يتصلوا به ويستقروا مما عنده مشافهة ليكون التأثير اقوى وتحصيل ما عنده اوفى واجدى .

فكانوا يتصلون بالاديب أوالمالم حتى اذا ظن أحدهم أنه استنفد ما عنده انتقل الى من هو أشهر منه وأعرف .

وكانهم كانوا فى جامعة فيها شتى التخصصات .. الا أن جامعتهم تلك كانت العام الاسلامى بأسره .. حتى اذا اشتد عود الدارس منهم وأنس من نفسه القدرة على الاستقلال عن اساتذته ( وقد كطت معلوماته واستوت ثقافته ) ظهر للناس ليمطس وينتج ، فيؤكد وجوده ويحظى بما عند الولا والامراء .. فتكون له رحلات ثانية ، ولكنهم

هذه المرة للظهور وطلب النوال .. وان كانت لا تخلو من الفائدة التي يجدها الاديب  
في مجالس الادب والحلم خاصة وانها تضم كبار العلماء في كل فن .

والخوارزمي أحد هؤلاء الادباء الذين لا يصرفون لهم مقرا ولا يقرون للادب ..  
بحدود . فقد شرق بعد أن غرب ، وجاس خلال الديار عرضا وطولا . فمنذ حداثة  
سنه وهو حامل عصا الترحال مستهينا بمشاق السفر واختاره في سبيل تحصيل العلم  
والادب ، حتى قال عنه الصالبي : ( فارق وطنه في ريمان عمره وحداثة سنه ولم يزل  
يتقلب في البلاد ويدخل كور المراق والشام ويأخذ عن العلماء ويقتبس من الشمر )  
ويستفيد من الفضلاء .. وضي على غلوائه في الاضطراب والافتراق وشرق بعد أن غرب (١)  
حتى شاع ذكره وانتشر ، ولم تقتصر خطاه الا عن مصر والاندلس ولعله رأى في الادب الشرقي  
ما يفتنه عن أدب المغرب مجاريا في ذلك رأى المشرقيين الذين يرون ان الادب ..  
المغربية ما هي الا تقليد للادب المشرقية .

ولم تقتصر رحلاته على المواسم المشهورة في العالم الاساس بل لقد عاش  
البدو في الصحراء كما يقول هو عن نفسه ( ولقد اخترقت البدو والخرم ودخلت ديار  
ربيعة وضر ) (٢) .

ورغم ما يخلف حياة الخوارزمي الاولى ، وما يكتنف علاقاته بوزراء عصره من الغموض  
فاننا يمكن أن نحسن معالمها من خلال أدبه أولا ، وما كتبه المراجع القديمة في ترجمته  
المختصرة ثانيا . فالخوارزمي — كما رأينا — تلقى تعليمه الاول بخوارزم ، وهو أقلب  
تخبر فيه كثير من الفقهاء والعلماء والادباء ، ورغم أن حبه للحلم وشدة طموحه دفعا به

( ١ ) البيهقي ٢٠٤ / ٤

( ٢ ) انوار رسائل الخوارزمي ص ١٩

الى مفارقة وطنه وهو حديث السن .. فانه لم يكن خالي الوفا من الاداب والمعارف ، فلم  
يسافر حتى آتس من نفسه رشدا وتزود من العلم بزاو جيد .

يقول عنه الثعالبي : ( فارق وطنه في ريعان عمره وحداثة سنه ، وهو قوى المعرفة  
قويم الادب ، نافذ القريحة ، حسن الشعر ) (١) .

٥٥

### ((الخوارزمي في حلب))

وكانت وجهته الاولى الى الغرب ، حيث بلاط سيف الدولة أكبر مركز في ذلك  
الوقت للاداب والعلوم ، وأعظم مجمع لجهازة الفكر والادب .

وقد سبق الحديث عن مكانة هذا البلاط وما يؤمه من الادباء ، والشعراء ،  
واللفويين (٢) ، فاستفاد من هؤلاء وتلمذ على بعضهم ، ولعله أراد مشاركتهم في القول  
فلما رأى ما رأى من هؤلاء الفحول استصغر شأنه واكتفى بالاخذ عنهم وخاصة وأن بضاعته  
المتحمله في رسائله المصنوعة وشعره ، لاتعنه من المنافسة في هذا البلاط فسيف الدولة  
لاتطرح هذه الرسائل المصنوعة التي وجدت لها سوقا نافقه لدى حكام الاقاليم الفارسية  
وشعره لا يرقى الى مستوى فحول الشعراء هناك . فاكتمى بالاخذ والحفظ عنهم والاستفادة  
منهم وهو ما يشير اليه الثعالبي بقوله : ( ولم يزل يتقلب في البلاد ، ويدخل كور العراق  
والشام ، ويأخذ عن العلماء ويقتبس من الشعراء ويستفيد من الفضلاء ، حتى تخرج  
وخرج فرد الدهر في الادب والشعر ) (٣) .

(١) اليتيمه ٢٠٤ / ٤

(٢) انظر الفصل الاول من الباب الاول من هذه الرسالة

(٣) اليتيمه ٢٠٤ / ٤



( ١ )

وقد اتصل الخوارزمي بعلماء بغداد وتعلم على بعضهم خاصة في علم الحديث .

٥٥

### (( الخوارزمي في بخارى ))

وبعد تخرجه في جامعة حلب توجه تلقاء المشرق وهو بازل الناب قوى الشكيمة  
فكان أول نزوله على أبي على البلخي والى بخارى من قبل السامانيين .. ولكنه لم يحمدا  
صحته فكانت بداية غير موفقة له فأطلق فيه لسانه ومن ذلك قوله ( ٢ )

ان ذا البلخي والمين غـين وهو عار على الزمان وشين  
ان يكن جاهلا بخفى حـنين فهو الخف والزمان حنين

وقد كتب له البلخي يستدعيه الى حضرته بعد أن فارقه فرد عليه بهذه الرسالة  
التي تدلنا على سبب نكرهه على عقبه كما تدلنا على عزة نفسه وثقته بها ولها يقول :

( ورد علي كتاب سيدى يدعونى وهو شلى لا يجيب دلى القول دون ان يصدقـه  
داعى الفصل ، وما الجطة أنا قد تفارقنا على حالة ، فان كنا عليها والتقينا فيها ، فأخـر  
التلاق أول الفراق ، ولا يريج من هذا اللقاء غير تجرع فراق جديد وتولد حزن شديد ،  
والمرة من الفراق مرة فكيف المراتان ، والسهم منه نافذ فكيف السهمان ، وان كنا  
تضيرنا عن ذلك الخلق ومشيئا في غير تلك الطرق ، فيجب أن ندل على ذلك بالاحوال  
لا بالاقوال ، والشيخ خليق أن لا يقل سيفا شحذه ولا يضع علقا اتخذه ولا يحطش زرعـا  
سقاء .. ولقد أرخيت عنان خطابه وأوسحت ذرع عقابه ولكن لاخير للشيخ فيمن لا يحصى

( ١ ) انظر الانساب ٢١٣/٥ - ٢١٤ مبنية الوعاة ١/١٢٥ ، طبقات النجاء ص ١٣٠ ،

واللباب للجزري ٦٧/١

( ٢ ) التتبع ٢٠٤/٤ - ٢٠٥

عرشه ، ويد الشيخ أطول من لساني ومناني وأمره أضي من قلبي وسباني فلينلني لسين  
مسها وأنا بعيد ، كما نالني خشونتها وأنا قريب .. وفي الأرض تحول وعلى الله الممول (١)

وقد وجه الخوارزمي الى البلخي رسائل كثيرة يمتدح اليه ويكذب عن انهم  
بثلم عرشه . (٢)

٥٥

### (( الخوارزمي في نيسابور ))

ثم تحول من حضرة البلخي في بخارى الى نيسابور حيث التقى بأبي نصر  
أحمد بن علي الميكالي فكان له منه ما أراد عزا وجاها وشوالا . فمدحه وأجانه واتصل بكبار  
رجال نيسابور من مثل كثير بن أحمد وصاحقه (٣) ، كما اتصل بأبي الحسن القزويني وأبي  
منصور الباري وأبي الحسن الحكمي (٤) ، وهم وجوه القوم ، فحصل له هناك ما افتقده  
في حضرة بخارى .

٥٥

### (( في سجستان ))

وكمادة الخوارزمي في حب الرجال انتقل الى بلط آخر هو بلاط طاهر بن محمد  
في سجستان فارتفق منه وتمكن من صاحبه وطالب له الميهر الآن الايام لاتصفوا لاحد  
فقد وقعت بينهما جفوة لانصرف سببها وكان الخوارزمي حينها طويل القرون ، ثم

- 
- (١) انظر الرسائل ص ١٩  
(٢) انظر نفس المرجع ص ٢٧ ، ٥٦ ، ٥٧  
(٣) انظر اليتمه ٢٠٥ / ٤ ، انظر رسائل الميهر ٣٦ ، ٧٤ ، ٢٤١ وفيها يلقيه بالشيخ  
(٤) انظر رسالت الميهر ١٦ وفيها يلقيه بالشيخ فلعله من شيوخه

أنه أديب عصره ، وقد تزود من العلم فوق ما لدى أقرانه ، فمثله لا يهان ولا يحاسب —  
 إذا هو جوهرة تجب المحافظة عليها ، فهو معتز بنفسه شامخ بأنفه حتى على الوزراء  
 وهذا هو شعوره الذي تترجمه رسالته التالية : ( انكر الشيء عزوف نفسى عن مواقف  
 البذلة ، والأدب سلطان ينسى هيئة السلطان ولطول المشقة دالة تقيم الملوك مقام  
 النظراء والاخوان ) (١) .

وهذا الشعور هو الذى جعله فى صراع مستمر مع وزراء عصره ، فتمزق نفس الخوارزمى  
 وشعوره القوى بقيمته الأدبية لا تتلاءم وما يتطلبه وزراء زمانه من خضوع الأديب لهم وتضاغره  
 بين أيديهم . ونتيجة لهذا كان صدامه الأول مع طاهر بن محمد ، فلم يرضى الخوارزمى  
 من طاهر أن يعامله هذه المعاملة فانتصر لكرامته بهجائه .. واحتدم الخصام بينهما —  
 فكانت كسرتة الأولى حين ذاق مرارة السجن على يديه . وطال بقاؤه فى سجنه ..

وقد أثرت هذه الحادثة فى نفسه وضغطت من عزتها . ورغم أنه بحث بقصيدة  
 للميكالى تفيض بالأسى والحزن يظهر فيها ندمه على مفارقتها ويشكو إليه سوء حاله فقد  
 بقى فى سجنه حتى جعل الله له من ضيق السجن مخرجاً (٢) .

( ١ ) انظر الرسائل ص ١٩

( ٢ ) انظر اليتيمه ٢٠٥ / ٤ وانظر هذه الرسالة ص ٢٤٧ .

(( الخوارزمي في طبرستان ))

وبعد ان استمتع الخروي من سجن طاهر ، توجه تلقاء طبرستان فكانت حاله  
مع صاحبها بحاله مع طاهر بن محمد ، الا ان المؤرخين لم يذكروا انه سجن فيها ، ولكنه  
وجه الى واليها هجاء هو اقرب الى الحتب . . يشتم فيه بخلهم ومنصهم له عن مفاد رتهم  
يقول : (١)

ولا خليتكم عنه يسيبـــه	ولا خليتكم عنه يسيبـــه
فلا قريبته فعلفتـــه	فلا قريبته فعلفتـــه
وفيهم حبستم في البيت بـــــــــــــــــــــــــــــــــا	وفيهم حبستم في البيت بـــــــــــــــــــــــــــــــــا
ولم ابتمتموا فرسا عتيقـــــــــــــــــــــــــــــــــا	ولم ابتمتموا فرسا عتيقـــــــــــــــــــــــــــــــــا
ومن لم يلقيهم فهو السعيـــــــــــــــــــــــــــــــــه	ومن لم يلقيهم فهو السعيـــــــــــــــــــــــــــــــــه

وتال في واليها ايضا : (٢)

يخوفني الكـــــــــــــــــــــــــــــــــاد على متاعي	يخوفني الكـــــــــــــــــــــــــــــــــاد على متاعي
وقال الناس اذ سمعوا كـــــــــــــــــــــــــــــــــا	وقال الناس اذ سمعوا كـــــــــــــــــــــــــــــــــا
أحس قلعت نابي كل أفـــــــــــــــــــــــــــــــــس	أحس قلعت نابي كل أفـــــــــــــــــــــــــــــــــس
وحادث أسد بيضة عن فـــــــــــــــــــــــــــــــــا	وحادث أسد بيضة عن فـــــــــــــــــــــــــــــــــا
وهل يخشـــــــــــــــــــــــــــــــــي كساد الكيمياء ؟	وهل تخش النواكب في الســـــــــــــــــــــــــــــــــا ؟

(( الخوارزمي في أصفهان ))

وبعد تركه لطبرستان عاد ثانية الى نيسابور وبقي بها حتى (٣) جذبته حضرة  
الملك بأصفهان . فنجحت سفرته ، ورجعت تجارتها كما يقول الثعالبي ، فقد جعله  
الملك من ندمائه وخاصته وكان يكرمه ويفدى عليه الاموال بلا حساب . . فطأ به المقام  
وحسنت حاله وكثر ماله . . وقد اشاد الخوارزمي بثرم الملك له في رسائل كثيرة منها :  
” فما هو الا ان وردت حضرتي حتى اثنال على من عطاياه الفزار ومن نعمه الفرائد الابكار  
ما صير امسى ابغى يومى اليّ ويومى اكرمها على . . ” (٤)

(١) نفس المرجع ٢٠٧/٤

(٢) اليتيمة ٢٠٧/٤

(٣) رسائل الخوارزمي ص ١٠٣

(٤) نفس المرجع ٢٠٧/٤



ومما يدل على تقديره له وإثارته على غيره من الأدباء قول التوحيد للخوازمسي  
 " كيف وجدت صاحب وقد أعطاك وأولاك وقد ملك وأثرك وسفر لك إلى عضد الدولة ؟ (١)

واحتفاء صاحب للخوازمسي إنما كان لمعرفته بمنزلة الأدبيوما اشتهر به من  
 سعة الثقافة وثقة الحفظ . . . والصاحب يصف كيف يختارندما من الأدباء المشهورين  
 الذين يجد عندهم ما يثرفه ويثريه ويذيع ذكره . وإن كان التوحيد يرجع ذلك مرة إلى  
 خوف صاحب من لسان الخوازمسي فهو يقول : " وقد شاهدت النافقين عليه ( يعني  
 صاحب ) والمتقدمين لديه ووقفت على مرادهم ووسائلهم وأهلبهم وذرائعهم فلم  
 أجد فيهم إلا مخشى اللسان استكف شره بالأحسان كالخوازمسي " . (٢)

ومرة يرجعه إلى سبب آخر ، هو أن صاحب جمل الخوازمسي جاسوسا على محمد  
 بن إبراهيم - صاحب جيش نيسابور - حيث يقول التوحيد : " وكان الخوازمسي أقصم  
 الناس مارأينا في الحجم مثله وإنما نوله صاحب ما نوله ، وخوله ما خوله ، لأنه أذكاه عينا  
 على " محمد بن إبراهيم صاحب الجيش بنيسابور " واستطاع فيه أخبار المشرق ومهمنا  
 المعنى استدركه من ملك بغداد بواسطة ابن يوسف " . (٣)

وهذه تهمة لو صحت تجرد الخوازمسي من الفضل والفضل وتجعل له حرفة أخرى  
 بعيدة عن البعد عن مجال الأدب ولكن التوحيد يذكر من أتماماته للصاحب ولعل هذا  
 بعذر الشر الذي أصاب المحيطين به . ومع ذلك فنحن لا نبرئ صاحب ولا الخوازمسي  
 فقد كانت استقامة الخلق في ذلك العصر نادرة . . . خاصة أن محمد بن إبراهيم هذا قد ثبت  
 أنه سجن الخوازمسي . (٤)

( ١ ) مثالب الوزيرين ص ١٣١

( ٢ ) انظر مثالب الوزيرين ص ١٣١

( ٣ ) نفس المرجع ص ٧٧

( ٤ ) انظر رسائل الخوازمسي ص ٥٩

وعلى أن كان فقد كان أكرام صاحب الخوارزمي فوق ما كان يتوقع وقد قابل ذلك  
الخوارزمي بدائع خبرها فيه نثرا وشعرا قد توازى ذلك الأكرام .. فقد كان من أكسبر  
المنابر التي أشادت بكرم صاحب فضله وأشاعت ذكره في الأمصار .. من ذلك قوله :  
" وما ظن السيد برجل ليس لمطائه اسم غير الجزيل ، ولا لفعاله نعت إلا الجميل .. "

لا عيب فيه يحاب إلا أنسى  
أسمى عليه من المنون شقيقا (١)

بل عيبه أنه في زمان لا يسمه ، وفي عالم لا يستحقه وأقل ما عنده ، أن عطاياه صيرت  
المعجم شاعرا ، وجمعات المقيف سائلا ما رأيت حضرة أنثر منها دأخلا راجيا ولا خارجا  
رائيا ، ولا أجمع فيها بين وجهين مختلفين من بلدين متباعدين قد فرق بينهما الأصل  
والنسب ، وجمع بينهما القصد والطلب ، فوردنا وهما أعزى من الحية ، وصدرا وهما أكسى  
من الكمية .. حتى قد صارت مجمع الرجال ومثابة المطا ، وملقى الرجال وموسم الشعراء  
وتجارة ينصب اليها العلم والأدب وقبلة يهوى اليها المعجم والعرب .. جمع طبقات  
أهل الفضل : رجالان أما اليه غايان وأما بحضرته قاطن ، فالظاعن يحسد القاطن  
والقاطن يستهمل الظاعن . فقد نفخت اليه البلاد رجالها وأبرزت له جمالها ...  
وحسب بالفضل جالها وبالأحسان جاذبا .. " ومن وجد الأحسان قيذا تقيدا " (٢)  
ولم يزل الخوارزمي في هذا العيب الهنيئ يحبك بقلبه مدائح في صاحب تسرى فسي  
البلاد وتتناقلها الألسن ، ولا ندري كم مكث بهذه الحضرة التي يصفها أجمل وصف  
وإن كنت أظن أنه أطال بها المكوث .. "

(١) هكذا في الأصل ..

(٢) الرسائل في ١٠٣ و ١٠٤

(( الخوارزمي في السير ))

وقد كان من فضائل صاحب عليه أن أوصله إلى عهد الدولة بن بويه السني  
أحسن وفادته حتى أنه أجرى له راتباً يصله إلى نيسابور كل عام وهكذا أوصل الخوارزمي إلى  
منزلة يحسد عليها .

فتفرغ للتدريس والادب وقد طبع عهد الدولة بمدايح كثيرة ومن  
مدايح له يصف فارس وعده فيها : ( ١ )

تفارقها السباع إلى سواها	إذا جاءت لتطلب ما تصيد
كان اللص فيها رافض	تمثل في الكوز له يزيد
ولما أكثر الحساد فيه	وتألوا قد تحصنت الحسد
أجاب الفضل عنه حاسد	لا مرما يسود من يسود

وله من أخرى : ( ٢ )

غريب هلي لا يام وجد ان مثله	واغرب منه بمد رؤيته الفقير
فلا حر الا وهو عبد لجسد	ولا عبد الا وهو في عدله حسي
عجبت له لم يلبس الكبر حليته	وفينا لان جزنا على باب كسبر

وهكذا بقي الخوارزمي يتلقى العطايا والهبات من أغنيى رجلين في شرق الدولة  
الاسلامية وهو لا يطلع أن يصل إلى من هو أعظم منهما إلى أن بلغ أيام تاش الحاحب  
” وكان الخوارزمي يغفر من سلالة خراسان ويتمصبال بويه تمصبا شديداً ففتن  
له الخوارزمي وسمت بمحين عاد من خراسان منهمزما ونقل عنه أنه قال فيه وفي الوزير العتيبي :

( ١ ) بدائع الملح ص ٥٥ ، ٥٦ والتوضيح في شرح المقامات ص ١٧١ ، ولم يذكر سوى

البيت الثاني .

( ٢ ) البيتة ٢٢٤/٤



" قبحا له وللوزير أبي الحسن المصنعي " وأبلغ المصنعي أبياتا زورت على لسان

الخوارزم منها : (١)

قل للمؤمنين آزال الله د ولتـــــــــــــــهم

جزيت صرغا على قول ابن منصور

فما كان من الصبي الا ان أمر " تاش " وابن المظفر الرعيني بنيسابور بأخذه ومصادرة أمواله وقطع لسانه ، فقتلوا الرعيني حبسه وتقييده . . . الا أن الخوارزمي احتال على المكلفين بحبسه وشغلهم بالطعام والشراب كما يقول الثعالبي . فهربمتكروا الى حضرة صاحب بيجرجان ونان لا يزال على صلة وثيقة به فصاوده بره . . . وكان حظه لا يزال يساعد فاتفقوا ان قتل أبو الحسن الصبي وقام مقامه أبو الحسين المزنى وكان الاخير أشد الناس بها للخوارزمي فاستدعاه وزاد في اكرامه وكتب الى نيسابور بريد ما أخذ منه فزادت حاله حسنا وقدمه ثبوتا

ونظر إليه ولاية نيمباور بعين الحسمة والاحتشام والاحترام والاعظام فارتفع مقداره  
وطاب عيشه " (٢) ثم حصلت بينه وبين صاحب جفوة لا ندري سببها ولم يذكر  
القصاص شيئاً عن هذا الخلاف ..

ورسائل الخوارزمي خالية مما يشير الى هذه الجفوة ، فكل رسائله اليه ليس فيها  
الا الاشارة بمكانته وشكره على ما أولاه . . وكلما يشير الى هذه الجفوة هو هذان البيتان  
الذان ينسبان للخوارزمي علما أنه لم يذكرهما الثعالبي : ( ٣ )

لا تحمدن ابن عباد وان هطلت  
فانها خطرات من وساوسه

كفاء بالجوود سحا يخجل الديما  
يمطى ويمنع لا بخلا ولا كرم

(١) القيمة ٢٠٨/٤

(٢) نفس المرجع ٤/٢٠٨.

(٣) نزہۃ الالباب، ٣٢٦ مرآۃ الجنان ١٧/٢ وفيات الأعيان ٤٠٢/٤ معجم الأدباء،

٢٥٦/٦ الوافي ١٩٢/٣ انوار الربيع ١٦٠/٢

ولعلهما مدسوسان عليه كما دس عليه هجاء المتبى غير أن ما يبعد هـ سـ

الرواية هجاء صاحب الخوارزمي بعد موته حيث قال فيه : (١)

سألت بريدًا من خراسان جانيها      أمت خوارزميكم قال لي نعم  
فقلت انتبوا بالجنى من فوق قبره      ألا لمن الرحمن من يكفر النعم

وان لم يرد هذا البيتان في اليتيمة أيضا ٠٠ وقد يبنى بها صاحب خوارزمي

آخر وكل ما ورد في اليتيمة من هجاء الخوارزمي للمصاحب هو قوله : (٢)

صاحبنا أحواله عاليه      لكما غرقته خاليه  
وان عرفت السر من دأبه      لم تسأل الله سوى المافيه

على أنني لا استبعد أن يكون الخوارزمي ترك المصاحب مخاضا لسبب أو لاسباب

خاصة أن التوحيد - إذا صدق - يروى لنا قصة غريبة عن معاملته المصاحب له تجعل

الخوارزمي يختار بعد على قربه مهما كان عظم عدائه له . يقول التوحيدى : حضر الخوارزمي

يوما وجرى حديث القافة فقال الخوارزمي : دخل محرز المدلجى على رسول الله صلى

الله عليه وسلم فنظر الى أقدام أسامة وزيد فقال : هذه أقدام بعضهما من بعض وصحيف

البائس كما يصفها الناس العلماء ومن دونهم ، وكان ابن عباس على بركة فما زال يدور حصيل

البركة وهو يصفح الخوارزمي ويقول : محرز بحياتي ؟ الى أن رفع الخوارزمي وتشى وخج

فهذا أو ما دانه هو الذى يفسد به ما يفعله من الخير والبر " (٤) ويروى التوحيدى أيضا

عن الخوارزمي عن المصاحب قولا " ان صدق التوحيدى فهو دليل على ما حصل بينهما من جفوة

وذلك أن التوحيدى سأل الخوارزمي : كيف وجدنا المصاحب ؟ فقال : دعنى ما هناك ،

(١) نزهة الألباء ص ٣٢٦ مرة الجنان ٤١٧/٢ ، الوافى ١٩٣/٣

(٢) اليتيمة ٢٨٢/٣

(٣) التصحيف : ان يأخذ الرجل اللفظ من قراءة ، ولم يكن سمعه من الرجال فيخبره

عن الصواب - أنوار الريح ١٨٣/١

(٤) مثالب الوزيرين ص ٧٨

والله انه لخوار في المكارم صبار على الملام زحاف الى المآثم سماع للنمائ مقدم على سبي  
النمائ يدعو الى العدل والتوحيد ويدعي الوعد والتخليد ثم يخلو باستعمال الاسور  
ويشتم على الفسوق والفجور ويمسى وهو يور ويمسح وما على وجهه نور " (١)

ولكن ثماقلنا لا نستطيع ان نمول على قول التوحيد اذ هو خصم لدود للمصاحب  
فقد يزور على الخوارزم ما يشوه به سمعة المصاحب .

ولم تكن رحلات الخوارزم مقصورة على من ذكرنا فقد كانت صلاته بجميع رؤساء  
الاقاليم الفارسية بدليل مراسلته لهم من مثل رثي باقليم خوارزم ووطوس ونسا ونيسابور  
وسرخس وسمرقند والختل وقم والمفانيان وقومس ودامغان " (٢)

كما وجدنا انه دخل السجن أربع مرات من قبل طاهر بن محمد والمتبى وصاحب  
الجيش محمد بن ابراهيم وصاحب هراة مما جعله سبي العن بولاية عصره بمسند  
ان ذلت نفسه وقد كانت عزيزة طموحة .

ومجد فهذه رحلات الخوارزم وقد كان تالط سير المهاجر لا يستقر بمكان ولا  
ياويه مقبر .

—•—

(١) نفس المرجع ص ٧٧

(٢) انظر رسائل الخوارزم ص ١٠ ١٢ ١٤ ٢٤ ٢٥ ٣١ ٦٧ ٨٤ ٨٤

## الباب الثالث

” أربيه وأسلمه لوليه ”

## الفصل الأول

"مصادر أدبه المخطوط منها والمطبوع"

- (١) رسائله : وهي أشهر مؤلفاته ، ولعلها أشهر الرسائل بسبيل على الإطلاق . . . وقد طبعت عدة طبعات : في كوبرلي سنة ١٢٧٤ هـ ، وولاق سنة ١٢٧٩ هـ ، واستانبول سنة ١٢٩٧ هـ ، ومباي سنة ١٣٠١ هـ والمطبعة المثمانية سنة ١٣١٢ هـ وهي التي اعتمدت عليها - ولعل آخر طبعاتها طبعة بسيرت سنة ١٩٧٠ م . . . وهي طبعة كثيرة الأخطاء والتحريف . . . وما يدل على شهرة هذه الرسائل ، تعدد مخطوطاتها ، فلا أظن أن تخلو منها مكتبة فلها نسخ في : برلين ٨٦٢٦ - ٨٦٢٧ ، وتونجن ٧١ رقم ١ ، وفيينا ٢٧٩ وليدن ٣٤٣ - ٣٤٤ ، وباريس أول ٦٠٠٩ ( مكاتب ) ، وكمبرج أول ١٤٩٩ - ١٥٠٠ ، وأيا صوفيا ٤٣١ ، وكوبرلي ١٢٩٣ ، وحيدية ١٢٠٠ ، وفيض الله ١٦٠٤ - ١٦٠٥ ، وهاسر أفندي ( السليمانية ) ٤٠٨ ، والموصل ٩٣ رقم ٣ (١) ومكتبة الحرم المكي الشريف ١٦١ ، ومكتبة المدنية العامة ٨١١/٩٤ ، وذكر بروكلمان أن لها مخطوطة بيايزيد تحت رقم ٢٦٤٠ (٢) ، وعند مراجعتي لها وجدت لها لبيع الزمان كما سألين ذلك في هذا الفصل .
- ويظهر أن لها في بعض المكتبان أكثر من نسخة كمكتبة برلين ، وليدن ، . . . وكمبرج ، وفيض الله .

وبدلنا هذا المدد الكبير من مخطوطاتها على مالها من قيمة أدبية

خاصة في القديم . . . فقد كان المتأدبون يتخذون منها مرجعا . . . يستمدون منه ، وينسجون على منواله . . . ولم أحص - كما لا أظن أن أحدا يستطيع أن يحصى -

(١) أكثر هذه المخطوطات ذكرها بروكلمان في تاريخ الأثب العربي ١١١/٢ .

(٢) أنظر تاريخ الأثب العربي لبروكلمان ١١/٢ .

كل مخطوطاتها ، وهذا ما يشجع الباحثين على تحقيقها وإن كان الحصول على كل مخطوطاتها ومقابلتها ببعضها يعد عائقا كبيرا في سبيل ذلك -  
لتمدد ها وتفرقها في أنحاء العالم كما ذكرت .

والذي يلفت النظر هو أن مجموع رسائل الخوارزمي التي يحويها ديوان رسائله بلغ مائة وخمسا وخمسين رسالة ما بين طهولة وقصيرة ، وهو عدد قليل إذا ما قيس بشهرة الخوارزمي ومكانته الأدبية ، وإذا ما قيس بحياته الحافلة بالصدقات ، وكثرة المكاتبات .. خاصة وأنه اتخذ منها حرفة له .

وللشعالي قول يشير إلى أن له رسائل قديمة ، حيث يقول :  
وقرأت فصلا للخوارزمي من رسائله القديمة " (١) فهل يعني هذا أن له رسائل قديمة وأخرى حديثة ، وأن ما وصلنا هو الرسائل الحديثة ؟

(٢) ديوان شعير : طبع بالقاهرة سنة ١٩٠٣ م ، كما يدعي بروكلمان (١) ، ولكنه الآن مفقود (٢) .. كما يذكر بروكلمان أن لديوانه مخطوطا بكامبرج تحت رقم ثالث ٥١٨ ، وقد بذلت جهدا للحصول على هذا المخطوط ولكني لم أتمكن ...

---

(١) شمار القلوب ص ٨٢  
(٢) أنظر تاريخ الأدب العربي ١١/٢ ، ولعل بروكلمان يعني ديوان البديع الذي طبع فعلا سنة ١٩٠٣ م بمصر .. فقد أخطأ بروكلمان ونسب مخطوطتي ديوان الصاحب ابن مكنس للصاحب ابن عباد - أنظر كتاب "الصاحب ابن عباد" ص ٢١٤ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ١١/٢ وكشف الظنون ٧٠٧/٥ ، وشذرات الذهب  
١٠٥/٣ ، ويديع الزمان الهمذاني رائد القصة ص ١٠٢ .

ويقول بروكلمان : " ان جامع مخطوط بايزيد يعيب أفعاره عيبا  
شديدا " (١) وهو يعنى المخطوط .. الذى يحوى رسائل ومقاصات  
البديع والذى توهم بروكلمان أنها للخوارزمى وهو تحت رقم ٢٦٤١ .. كما  
سنرى .. ويعنى بجامع المخطوط " بديع الزمان " فقد وعد بنقد ديوان  
الخوارزمى كله ولكنه اقتصر على ثلاثة أبيات لاغير ..

(٢) ديوان شعر بالفارسية : بعنوان " محبت نامه " وجدته بالمكتبة الحاصلة  
بالرباط - وهو مصور عن مخطوطة موسكو سنة ١٩٦١ م تم نسخة سنة ٩١٢ هـ  
يقع فى ٥١ صفحة وهو تحت رقم ٢٤٢٤٨ فى المكتبة المذكورة .

(٤) كتاب الأمثال : مخطوط بمكتبة فيض الله باستانبول تحت رقم ٢١٣٣  
نسخة سنة ١٠٢٨ هـ عن نسخة كتبت سنة ٤٤٢ هـ وقد وجدته ضمن مجموعة  
كتب بعضها للشعالبى وبعضها مجهول المؤلف .. وتحتوى تلك المجموعة  
على الكتب الآتية :

١ - الأمثال ، وقد ثبت لدي أنه للخوارزمى ، وسوف أورد ما ثبت ذلك .  
٢ - المنتخب من سنن العرب ، وهو الذى سماه بروكلمان " المنتخب من  
سمر العرب " (٢) .

٣ - سر الحقيقة .

٤ - تحسين القبيح وتقييح الحسن .

٥ - الممـج .

٦ - تحفة الوزراء .

٧ - مواسم العمر .

(١) انظر تاريخ الأدب العربى ١١١/٢

(٢) أنظر نفس المرجع ١٩٧/٥

وقد نسبها بروكلمان للشعالبي <sup>(١)</sup> ماعدا كتاب "الأمثال" فلم يتعرض له -  
اعتمادا على ما كتبه مالك المخطوطة فيض الله مفتى السلطنة العثمانية - والذي  
سميت المكتبة باسمه - فقد كتب هذا المالك على ظهر الخلاف الأول - بمسند  
أن عدد الكتب السبعة - " وكلها للشعالبي " .

أما الكتب نفسها فلم يذكر - لأبأ وأئلهما ولأبأ وأئلهما - اسم ميشيرالسي  
مؤلفها ماعدا "الأمثال" الذي = سوف يرد ذكره .

ومع أن للشعالبي كتاب أمثال غير هذا الذي ورد ضمن هذه المجموعة  
فان بروكلمان لم يذكره ضمن مؤلفات الشعالبي . . أما كتاب تحسين القبيح وتقييح  
الحسن ، وتحفة الوزرا\* ، والمبهيج فمعروف أنها للشعالبي فقد أهدى الأول على  
عادته لأبى الحسن على بن عيسى الكرجي والثاني لأبى عبد الله الحمد ونسب  
وزير خوارزمشاه ، والثالث لشمس المعالي قابوس بن وشمكير ، ثم أن يذكر الخوارزمي  
فيها مما ينفي نسبتها للخوارزمي .

وأما كتاب : مواسم الحر . . فقد يكون له ، فهو كتاب في الأدعية عبارة عن  
رسالة صغيرة لاتدل على مقدرة أدبية . وأما كتابا "سر الحقيقة" ، "والمنتخب  
من سنن العرب" فأشك أنهما للشعالبي ، لأنه لم يرد ما يثبت نسبتها له . . .  
سوى ما كتبه مالك المخطوطة على الخلاف الأول للمجموعة ، وهذا لا يمد دليلا  
يعتمد عليه ، وسأبين ذلك عند الحديث عن كتاب الأمثال . .

ورغم أن الشعالبي يذكر في مرآة المروءات <sup>(٢)</sup> انه ينوي تأليف كتاب في  
النقد ثم يذكر في تنمة اليتيمة أنه ماض في تأليف كتاب ولم يتمه ، وأنه ينوي أن يسميه

(١) أنظر تاريخ الأدب العربي ١٩٣/٥ ، ١٩٧

(٢) أنظر ص ٤٤٠



بـ " سر الصناعة " (١) وقد جاء ذكر الكتاب في الكتابين السابقين بمناسبة نقد الشمالي لبیت من الشعر ، وعليه فيمكن أن نستنتج أن كتابه هذا الذي لم يتمه ، مؤلف في النقد قياسا على نقده لذلك البيت .

أقول على الرغم من ذكر الشمالي لهذا الكتاب في الموضحين فانه لم يرد ذكره عند غيره ، وعلى الرغم من تقارب العنوانين ، فان كتاب " سر الحقيقة " ليس موضوعه النقد ، بل موضوعه كما ذكر مؤلفه في المقدمة :

" فيه ذكر من أخبر من العارفين عن حاله أو سئل عن مسألة فأجاب ببيت من الشعر - له أو لغيره - واستشهد به عن حاله أو سؤاله " (٢) .

ويقودني شكى هذا الى أن أرجح أن هذا الكتاب قد يكون من مؤلفات الخوارزمي . . . ذلك أن موضوعه دقيق ، يدل على سعة اطلاع وقوة حافظه . . . في موضوع واحد ، وقد عرف الشمالي بالجمع بين المواضيع المختلفة . . . وله أسلوب متميز في ذلك . . .

ثم هو في الأثر القديم الذي تخصص فيه الخوارزمي أكثر من غيره . . . وأما " المنتخب من سنن العرب " فهو مؤلف في علم البلاغة وقد قدم له مؤلفه بهذه الكلمات . هذا كتاب وضمته في مجرى كلام العرب وسننها ، والاستشهادات من القرآن على أكثرها ، ووسمته بالمنتخب من سنن العرب (٣) وفيه ٩٧ فصلا أولها تقديم المؤخر وتأخير المقدم ، وآخرها في الحشو . . .

( ١ ) ٣٦/٢

( ٢ ) الورقة ص ٣ من المخطوطة ويقع الكتاب بين صفحتي ٦٩ - ١٠٢ من المجموعة .

( ٣ ) ص ٣ من المخطوطة .

وقد يكون هذا الكتاب للخوارزمي أيضا بل ترجيحه أقوى من ترجيح —  
 " سر الحقيقة " وذلك أن الشاعري لم يعرف عنه أنه ألف في هذا العلم ، ففى  
 حين أن الخوارزمي يمد من أعلام اللغة والبلاغة فى عصره ، ويدل على تأليف  
 الخوارزمي فى هذا العلم ما رواه صاحب كتاب " أنوار الربيع " فى معرض ..  
 استشهاد له لنوع من أنواع البديع حيث قال : " واستشهد الأستاذ أبو بكر  
 الخوارزمي على هذا النوع ( يعنى الطاعة والعصيان ) بقول المتنبي :

(١)  
 رأيته همة ناقتي فى ناقصة \* نقلت يدا سرها وخفا مجمرا  
 قال : أراد أن يقول : خفا خفيفا ، ليتفق له جناس الاشتقاق ، فلما لم يطعمه  
 الوزن ، ولا القافية ، عدل عن لفظة " خفيف " الى لفظة " مجمر " لما فيها من  
 معنى السرعة ، والخفة ، فكان تجنبنا معنويا ، فقد عصاه الجناس اللفظى  
 وأطاعه الجناس الممنوى " (٢) .

وأما كتاب الأمثال وهو بيت القصيد .. وهو الكتاب الموجود ضمن مجموعة  
 (فيض الله) ، فقد ثبت لدى أنه من تأليف الخوارزمي وأن من نسبه للشاعري  
 قد غلط فى ذلك وهذه هي الأدلة .

(١) أسلوب مقدمته الذى يدل على تواضع مؤلفه وتصغير عمله .. وهذه طريقة  
 الخوارزمي : اسمه يقول لمن استماره رسائله : ... نسخة الرسائل  
 قد حملتها ، ومتساوى عندي أن تهدي الى أحد أو تحمل من بلد الى بلد ،  
 ولكن الشيخ اشتهاها شهوة ركب الخيل لركوب الحمار والبغل .. ولعله

(١) المجمر اسم فاعل من : أجمر البحر اذا أسرع : والسرح : بضم السين :

السبلة السير ١٧/٦ - ١٨ .

(٢) أنوار الربيع ١٧/٦ - ١٨ .

أراد أن يضحك منها ندما هو يتحفظ بها جلساءه " (١) ، وهو نفس التواضع الذي نجده في مقدمة كتاب الأمثال هذا (٢) . في حين نجد أن الشمالي يفاخر وينوّه بكتبه ويدعى أنه لم يسبق الى مثل فنه الذي ألف فيه ، اسمعه يقول في مقدمة كتابه " تحسين القبيح " وما أراى سبقت الى مثله في طرائف المؤلفات ، وندائع المصنفات ، ولما ارتفع غريبا فسق فنه بديما في حسنه خدمت به خزانة الشيخ (٣) .

(٢) أن للشمالي كتاب أمثال مخطوطا غير كتابنا هذا باستنبول " خزنة " تحت رقم ١١٥٠/٣ في ٦٨ ورقة وهو مصور في معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة وتحت رقم ٦٢ .

وموضوعه يختلف عن موضوع كتاب أمثال الخوارزمي ، فهو مقسم الى أحد عشر ومائة باب وقد عقد كل باب لفرض يتناول ما قيل في مدح الشيء وذمه بمعنىنه من القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال العرب ، والمعجم كما أودعه نبذا من أقواله في كتاب المبهج (٤) في حين أن كتاب الأمثال للخوارزمي اقتصر على أمثال المولدين ويختتمه بالارأجيز وأنصاف الأبيات القائمة بذاتها وأكبرها أمثال ورغم أن المخطوطين مصوران في معهد احياء المخطوطات أحدهما تحت رقم ٦٢ والآخر يليه مباشرة ان يقع تحت رقم ٦٣ ، فقد غلط مؤلف كتاب " الشمالي ناقد وأديب " فاعتقد أنهما نسختان لكتاب واحد (٥) ، هو كتاب أمثال الشمالي مع الفرق الذي بيناه ..

- 
- (١) أنظر رسائل الخوارزمي ص ٩١ . (٢) أنظر هذه الرسالة ص ١٥٩ وما بعد .  
 (٣) أنظر المخطوطة ورقة رقم ٣ ، انظر أيضا مقدمة اليتيمة ٨/١ .  
 (٤) قارن ما بين ورقة رقم ٤ من الأمثال وص ٣٧ من المبهج .  
 (٥) أنظر ص ٨٢ .

ونستبعد أن يؤلف مؤلف كتابين باسم واحد في فن واحد ..

(٣) أن المؤرخين وكتاب الأمثال ، ذكروا أن الخوارزمي ألف كتابا في أمثال المولدين فهذا البيهقي يقول عنه في كتابه " غرر الأمثال : " انه ألف كتابا في الأمثال المولدة " (١) ، وقال الميداني : " ورأيت في أمالي الخوارزمي لا أقفل كذا ماغبافيس " ، أن معنى غبا : أظلم (٢) .. في معرض شرح الميداني لهذا المثل .. ويقول شهاب الدين الخفاجي بعد إيراده المثل ( أكذب من زراق ) : قاله أبو بكر الخوارزمي في أمثاله ولم يذكر كونه مولدا لكنه مذكور في اللغة الساسانية وهو يدل على أنه مولد " (٣) .

(٤) أنه مكتوب بآخر صفحة لهذا الكتاب بخط الناسخ النص التالي : " آخر كتاب الأمثال جمع أبي بكر الخوارزمي " ، ويظهر هذا في الصورة المقابلة .. ولعل بروكلمان اقتنع بهذا فلم ينسب الكتاب للشمالي ، مع أنه نسب كل كتب المجموعة سالفة الذكر له ، إذ أن الناسخ أصدق من مالك المخطوطة الذي غلط حتى في اسم الشمالي حيث كتب على نفس الصفحة تأليف الشيخ الامام العالم الفاضل ... أبي اسماعيل بن عبد الملك بن منصور الشمالي " في حين أن اسم الشمالي الكامل هو : " أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري " ولم يخالف في هذا أحد من المؤرخين (٤) . وبعد هذه الأدلة كلها اتضح لي بالدليل القاطع أن كتاب الأمثال المذكور للخوارزمي ، وأن كتابة مالك المخطوطة لا تمتد أكثر من توهم أن كل المجموعة من تأليف الشمالي ولو قرأ الأمثال لآخرها لتبين له خطأه .

(١) أنظر الأمثال القديمة ص ٢١٦ .

(٢) أنظر مجمع الأمثال ٢٣٩/٢ وغبس : الليل ٢٣٩/٢ القاموس المحيط .

(٣) أنظر شفاء الخليل ص ١٤٣ وص ٢٧٩ . (٤) أنظر كتاب الشمالي ناقدًا وأديبا ص ١٧ .

وهذا الأمر يدفعنا للتساؤل : هل بعض الكتب التي نسبت للشعالبي

واشتهرت باسمه هي من تأليف الخوارزمي ؟

هذا جائز - خاصة وأن الشعالبي تلميذ للخوارزمي ، وقد توفي الأخير مخلصاً وراءه مكتبة عامرة بمؤلفاته ومقتنياته ، وأظن أن هذه المؤلفات بقيت تحت رعاية الشعالبي . . . أما بالاتصال بها للاستفادة منها أو لوجودها بين يديه . . . فقد ذكر الشعالبي ما يدل على فضل أستاذه عليه في أكثر ما كتب كقوله : قُي السرى الرفاء : " أحسب أنني استغرقت شعره لجمعي بين لمع أنشدينيها وأنسخنيها أبو بكر الخوارزمي " (١) وقوله " وجدت بخط الخوارزمي " (٢) وقوله : " وأعطاني نسختي القصيدتين اللتين ذكرهما في الكتاب " (٣) وقوله : " ما كان أكثر ما ينشدني ويكتبني مما يرض به على فيرى " (٤) ، وكثيراً ما ينقل عنه . ولا يكاد يخلو كتاب من كتب الشعالبي من ذكر شيء من أدب الخوارزمي حتى أنه يمكن أن نعيد ذكر الشعالبي للخوارزمي في أي كتاب له دليل على نسبته له . . . ولا شك أن حرص الشعالبي على كتب أستاذه جعله يقتنيها ، حتى إذا توفي الشعالبي وجاء بعده من ينسخ كتبه أو يجمعها . . . سواء بعد زمن طويل أو قصير - جمع كتبه وكتب أستاذه وظن أنها كلها له لوجودها في مكتبته الخاصة ولكثرته تأليفه ، وهو احتمال غير مستبعد . . . بدليل ما وجدناه في مخطوطة فيض الله .

والاحتمال الثاني - وأن كان بعيداً - أن الشعالبي استغل مؤلفات الخوارزمي - وخاصة التي لم تذع بين الناس - ونسبها إلى نفسه لينال بها إعطيات أمراء عصره الذين كانوا يجزلون العطاء للمؤلفين ( خاصة أولئك الذين يهدونهم باسمهم ) . . . وتحقيق هذه القضية لا يتسع له بحثي . . . ويكفي أني أشرت إليه

( ١ ) اليتيمة ١١٩/٢

( ٢ ) نفس المصدر ١/٩٠

( ٣ ) نفس المصدر ٣/٢٩٦

( ٤ ) نفس المصدر ١/٢٦

ونبهت عليه .

( ٥ ) كتاب " مفيد العلوم ومفيد الهموم " : هذا الكتاب ينسبه له مؤرخو الأدب المتأخرون <sup>(١)</sup> ولم يشذ عنهم سوى صاحب كتاب كشف الظنون حيث نسبته لبعض المضاربة <sup>(٢)</sup> ، وقد طبع هذا الكتاب باسم الشيخ الاسلام العلامة : جمال الدين أبى بكر الخوارزمى غير أن أكثر مواضعه دينية فى التوحيد والفقه والايمان والمذاهب والجغرافيا . . . ولم يعرف عن أبى بكر الخوارزمى أنه كان يؤلف فى هذه المواضع ، كما أن المؤلف يذكر قولاً مشهوراً ذكرته كثير من المصادر لأبى بكر الخوارزمى <sup>(٣)</sup> مستشهداً به ان قال - فى معرض كلامه عن أطيب البلاد وأنزهها : " قال أبوبكر الخوارزمى : رأيت هذه المواضع كلها ، فأطيبها وأحسنها غوطة دمشق . . . " <sup>(٤)</sup> فلو كان الكتاب له ، لم يتكلم عن نفسه بضمير الغائب وينسب القول لنفسه بهذه الصيغة . . ولو كان فى أول الكلام لجاز أنه يتحدث بطريقة القدماء فى تفخيم أنفسهم .

ثم أن مؤلف هذا الكتاب يقول : " افترقت الأمة من أهل القبلة على اثنتين وسبعين فرقة ، أهل الحق منهم السنية الأشعرية ، ومن سواهم فضلال " <sup>(٥)</sup> ويقول : " والدليل على أن الناجى أهل السنة دون . .

( ١ ) أنظر معجم المطبوعات العربية والمصرية ١ / ٨٣٨ .

( ٢ ) ١٧٧٧ / ٢ .

( ٣ ) أنظر ثمار القلوب ٥٢٦ ، ومعجم البلدان ٢ / ٤٦٤ ، وآثار البلاد وأخبار العباد ص ١٨٩ ، ٢٨٢ وبلغ الأرب ١ / ١٨٦ ، وروضات الجنات ٨ / ٨٨ ،

وغيرها .

( ٤ ) ص ١١٢ .

( ٥ ) ص ١٥ .

القدرية والمشبهة والروافض ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
 " ما أنا عليه .. " <sup>(١)</sup> ويقول : " ومن سواهم فضلال فالتائفة الأولى غلاة  
 المعتزلة ... والخوارج والنجارية والجهمية والروافض " <sup>(٢)</sup> . ويقول  
 عن أهل السنة أيضا : " لا يغالون في عداوة الصحابة فيكونون كالروافض  
 ولا يقصرون في محبة عثمان وعلي فيكونون كالخوارج " <sup>(٣)</sup> .

فهل يعقل أن يكون مؤلف هذا الكتاب وقائل هذه العبارات هو  
 الخوارزمي ؟ وهو من في تحصيله للروافض من الشيعة ؟ ، وتكفى رسالته  
 الموجهة لجماعة الشيعة بنيسابور لما قصد هم واليها : <sup>(٤)</sup> ردا على هذا .  
 وأهم من هذا كله أنه يوجد لهذا الكتاب نسخة بنفس المقدمة والابواب  
 بالمتحف البريطاني تحت رقم ٢١٢ <sup>(٥)</sup> للامام جمال الدين أبي عبد الله  
 محمد بن أحمد القرظي . فكيف نسب هذا الكتاب لأبي بكر ؟  
 والسؤال - طبعا - يوجه للناس للكتاب ( المطبعة اليوسفية بمصر )  
 والذي لم يذكر حتى تاريخ طبعته .

( ٦ ) رسم المصحور من البلاد : نسبه اليه خطأ صاحب كتاب " هدية العارفين ،  
 وصاحب كتاب " معجم المؤلفين " <sup>(٧)</sup> وكذا " أنوار الربيع " <sup>(٨)</sup> . وهذا  
 الكتاب في علم الجغرافيا لمحمد بن موسى بن شاكر الخوارزمي المتوفى سنة  
 ٢٥٩ هـ وهو مطبوع باسم مؤلفه الحقيقي ( ٩ ) .

- |       |                                       |       |                             |
|-------|---------------------------------------|-------|-----------------------------|
| ( ١ ) | ص ٣٢                                  | ( ٢ ) | ص ١٥٠                       |
| ( ٣ ) | ص ٣٣                                  | ( ٤ ) | أنظر رسائل الخوارزمي ص ٢٦-٣ |
| ( ٥ ) | أنظر ملحق فهرس المتحف البريطاني ص ٤٨٥ |       |                             |
| ( ٦ ) | ٥٧/٦                                  |       |                             |
| ( ٧ ) | ١٢٠/١٠                                |       |                             |
| ( ٨ ) | ١٨٩/١                                 |       | في ذكر الديار بدل البلاد .  |
| ( ٩ ) | أنظر فهرس دار الكتب المصرية ٣٩/٦      |       |                             |

المكارم والمفاضل : نشره عزت المطار وكتب على غلافه " لا بُدَّ بكَر محمد بن العباس الخوارزمي والنشر لا يملك على نسبه للخوارزمي سوى أسلوب الكتاب الذي يشبه أسلوب الخوارزمي . . ان يقول : " أننا لانملك من الأدلة ما يثبت صحة نسبة هذه الرسالة للخوارزمي . . ونكاد نجزم أنها لابد أن تكون من انشاء ووضعه ، لأن طريقته في الكتابة وأسلوبه في التركيب يتجلىان في انشاء الرسالة وأسلوب تأليفها " (١) فالرسالة اذا مجهولة المؤلف ونشرها نسبها للخوارزمي اجتهادا منه لقرب أسلوبها من أسلوبه . وهو يعنى أسلوب الخوارزمي في رسائله ان هي الكتاب المشهور . . .

وأنا أستبعد أن تكون هذه الرسالة للخوارزمي لأمرين :

الأول : أنه اذا لم يكن لدى الناشر سوى هذا السبب لنسبته للخوارزمي فهو سبب ضعيف ، ذلك أن أسلوب هذه الرسالة يغلب عليه الترسل وعدم الاكثارات والاحتفال بالتركيب . . وأسلوب الخوارزمي أسلوب مصنع مسجوع يحتفل فيه بالألفاظ ويعتمد اختيارها - بالرغم من أن الخوارزمي انما يسجع ويتصنع في رسائله الأدبية - ليظهر مقدرته الفنية فيها فاذا كتب في المواضيع العلمية = لطف أسلوبه وسهل ، ومال الى الترسل ، كما نرى ذلك في مقدمة كتاب الأمثال .

والثاني : أن مؤلف هذه الرسالة يقول : في معرض ذكره لأجواد العرب في الجاهلية حاثا الحنفية على السخاء والبذل والكرم : " فهذا يا معشر العظماء أخلاق من لا يؤمن بالله واليوم الآخر فهل ترى اليوم في الحنفية من يباريهم ويسامهم ؟ هيئات " (٢) .



وهذا يدلنا على أن مؤلف هذه الرسالة من شيخ الحنفية ، ان هو يحث  
 أهل مذهبه على الجود والسخاء .. والخوارزمي عرفناه متشيعا فما لسه  
 وللحنفية ؟ .. ويظهر أن اتفاق أبي بكر الخوارزمي مع أكثر من واحد من  
 مؤلفي عصره في الكنية والنسبة هو سبب خلط كثير من المحدثين بين  
 مؤلفاتهم ومؤلفات غيره .. فهناك محمد بن موسى / شيخ أهل الرأي وفقههم انتهت  
 اليه الرئاسة في مذهب أبي حنيفة توفي سنة ٤٠٣ هـ (١) . وهناك  
 محمد بن موسى بن عثمان بن موسى (٢) و / محمد بن أحمد بن  
 غالب / ت ٤٢٥ هـ (٣) ، وكلهم يكنى ويلقب بـ "أبي بكر الخوارزمي" حتى  
 أن بعضهم خلط بينهم حتى في الترجمة .. كما ترى ذلك عند "الفيت  
 فيليب دي طرازي" الذي يقول عن أبي بكر محمد بن الحباس الخوارزمي  
 كان ورعا متقنا مبثقا لم يرفى شيوخلنا أثبت منه ، وصنف تصانيف كثيرة ،  
 وكان له كتب كثيرة . وكان عدد أسفاط كتبه ثلاثة وستين سفا وصند وقفاين  
 وهذه الترجمة كما هي ثابتة في تاريخ الخطيب هي لخوارزمي آخر هو  
 شيخ الحنفية في بغداد السابق ذكره " (٥) .

(٨) كتاب مقامات : وذكر بروكلمان : أن للخوارزمي مقامات ضمن رسائله  
 المخطوطة ببايزيد ٢٦٤٠ " يبرز فيها عيسى بن هشام كما في مقامات  
 بديع الزمان الهمداني " (٦) ويقول في موضع آخر بنا على هذا : " ان  
 بديع الزمان الهمداني مبتكر فن المقامات في الأدب العربي اذا لم يكن  
 منافسه الخوارزمي سبق الى ذلك " .. (٦) .

- 
- (١) أنظر المنتظم ٢٦٦/٧ ، وتاريخ بغداد ٢٤٧/٣ ، ومعجم الأدباء ٦٨٠/١٧٧/١ .  
 (٢) أنظر طبقات الشافعية ١٨٩/٤ .  
 (٣) نفس المصدر ١٩/٣ وتاريخ بغداد ٣٧٣/٤ - ٣٧٦ .  
 (٤) خزائن الكتب العربية في الخافقين ٧٢٤/٢ .  
 (٥) أنظر تاريخ بغداد ٢٤٧/٣ (٦) تاريخ الأدب العربي ١١١/٢ .

وكان هذا القول من بروكلمان حافظاً قويا لى لاكتشف هذه المقامات وهو اكتشاف لو تم يمكن أن يغير مفاهيم كثيرة عن القضايا الأدبية وخاصة " قضية اختراع المقامات " التى شغلت الأدباء طويلا . . ولكنى أصبحت بخيبة أمل = بعد أن تكبدت مشاق السفر الى استانبول = لأجد أن كل ماتحويه المخطوطة من رسائل ومقامات هو لبديع الزمان . . . . . والذى أوهم بروكلمان - وجعلنى أتحمّل نتيجة غلطته ولعلنى ليس الوحيد - أمران : الأول : تخيير صاحب المكتبة أو مالك المخطوطة عنوان الكتاب فعنوان الكتاب هو " كتاب مقامات الأستان بديع الزمان أبى الفضل أحمد بن الحسين الهمدانى - رحمه الله تعالى - " فحرفه ليصبح كالآتى : " رد الأستان الحافظ بديع الزمان أبى الفضل أحمد بن الحسين الهمدانى - رحمه الله تعالى لمقامات خوارزمى " . . . كما كتب على حافة المخطوطة " مقامات البديعى ومقامات خوارزمى " . . . ولكن التحريف واضح يدرك من أول نظرة . . . حتى أنه حرف فى الأسماء كما نرى وهو يدل على عدم تمكنه من العربية بدليل تركيب عبارته . (١)

والثانى : أن سياق حديث المؤلف نفسه أو جامع مقامات البديع وما يحويه المخطوط من رسائل وشعر ، يوهم القارىء أن ما أورده من مقامات هو للخوارزمى . . فبديع الزمان فى المقدمة ، وعد أن يأتى على ديوان . . . . . الخوارزمى وشعره بالنقد حيث يقول : " وسنأتى بحسن الله تعالى على القصائد التى إدعاها وأعرفك من أين سرق مسروقها فأكشف لك عيونه حتى نأتى على ديوانه أجمع ، ثم نفرغ لرسائله ، فأعرفك ما يرد من أسجاعه . . (٢)

(١) وصاحب المكتبة هو / ولي الدين أفندى ابن المرحوم الحاج مصطفى أغا كما يظهر ذلك من الختم على آخر ورقة وعليه تاريخ ١١٢٥ هـ .  
(٢) ص ١٠٠ من المخطوطة .

ولكنه لم يف بوعده واكتفى بنقد ثلاثة أبيات فقط من شعر الخوارزمي أو لحل الناسخ .  
 اكتفى بذلك . . ثم استأنف الحديث عن مقامات البديع ، دون أن يشمر القارئ  
 بهذه النقلة ، وكأن الكلام لا يزال لبديع الزمان . فيقول : " ومن المقامات  
 التي عملها على السنة المكدين مقامة الفرس ( ١ ) فكان لها في قوله " عملها "   
 للخوارزمي لانه يتكلم عن شعره .

على أن المخطوطة نفسها تنقسم الى قسمين :

الاول منها يحتوى على خمسين مقامة هي المقامات المصروفة للبديع وناسخها هو  
 مصطفى المصري وذلك سنة ١١٢٦ هـ . في حين أن القسم الثاني من المخطوطة  
 يحتوى على ١٧ مقامة للبديع فقط ، وعلى بعض رسائله وكثير من شعره وناسخها  
 هو : أبو الفلاح محمد بن شاهر بن بكر بن اسماعيل الحموي ١٠٩٨ هـ .

ولحل بروكلمان ظن أن السبع عشرة مقامة الموجودة في الجزء الثاني هي . .  
 للخوارزمي . . ولوثأملها لوجد أنها مكررة في الجزء الاول أو هي مختارة  
 من الخمسين مقامة الاول .

وقد قارنت بين تلك المقامات ومقامات وجدت في مخطوطة في مكتبة " نور عثمانية "   
 تحت رقم ٤٢٧٠ تم نسخها سنة ١٠٢٣ لم يذكر اسم ناسخها . فوجدتها هي  
 نفس مقامات البديع ونفس ترتيب تلك الموجودة في مكتبة بايزيد ٢٦٤٠ حتى لا يكون  
 في النفس شك أن السبع عشرة مقامة الموجودة في الجزء الثاني من مخطوطة  
 بايزيد للخوارزمي وأن المؤرخين والنساخ أضافوها للبديع .

ومهما يكن من أمر فان الخوارزمي لا يحتمل أن يسبب كتب في هذا الفن  
 . . ذلك أن البديع تحداه عندما عاب مقاماته أن يأتي بخمس مقامات أو عشر

من مثلهم<sup>(١)</sup> ، وهو دليل على أن الخوارزمي لم يسبق له أن ألف في هذا الفن . . . وغير محتمل أن يستجيب لتحدي منافسه وهو في آخريات أيامه . . . ولو قبل تحديه وأنشأ مقامات لصار لها ذكر ولتناولها البديع بالنقد ولكثر فيها الأخذ والرد كما هو الأمر في شأن المناظرة .

(٩) وله رسالة مخطوطة بالمكتبة السلطانية ، ومثبتة في رسائله<sup>(٢)</sup> . . . وهي تلك الرسالة التي وجهها لجماعة الشيعة بنيسابور ثم نسخها سنة ١٢١١ هـ وعدد صفحاتها ١٣ .

(١٠) شرح ديوان المتنبى : ( مفقود ) وقد ذكره صاحب كتاب الصبح المتنبى<sup>(٣)</sup> ويؤيد هذا ، المكبرى في شرحه لديوان المتنبى ، حيث يقول : " ونقلت كتابي هذا من أقاويل شراعه الأعلام " ويذكر منهم أبا بكر الخوارزمي<sup>(٤)</sup> وينقل عنه (٥) كما أن الواحدى في شرحه لديوان المتنبى يكثر النقل عن أبي بكر الخوارزمي (٦) . . . والواحدى يحد تلخيصا للخوارزمي فقد ذكر ياقوت أنه ينيبه عنه على درسه إذا غاب . . . فليس غريبا أن يكثر نقله عنه .

(١١) كتاب الأنساب : ذكره الخفاجى ، ولم يرد ذكره عند من ترجموا له ، ولا في كشف الظنون ، ولم يذكر الخفاجى ( أبو بكر ) واقتصر على ذكر ( الخوارزمي ) فقط<sup>(٧)</sup> . . . وليس بمستبعد أن يؤلف فيها فهو من علماء<sup>(٨)</sup> .

(١) أنظر رسائل البديع ص ١٦٩ ومخطوطة بايزيد ص ١٠٠ .

(٢) أنظر رسائل الخوارزمي ٧٦ - ٨٣ .

(٣) ص ١٦١ وانظر كذلك الكشف عن مساوى المتنبى ص ١٦ .

(٤) أنظر شرح التبيان ٢/١ - ٣ .

(٥) أنظر الصفحات ٥٦/١ ، ٥٩ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ، . . . وغيرها .

(٦) أنظر الصفحات ٢٩ ، ٣٤ ، ١٢٢ ، ١٨٤ ، ١٩٧ ، ٢٣١ ، ٢٣١ .

٢٥٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٣٣١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٧٩ .

٣٨٩ ، ٣٤٥ ، ٥٤٥ ، ٧٦٧ .

(٧) أنظر شفاء الغليل ص ٢٥٣ حيث قال في كلمة " مهدي " قال الخوارزمي في كتاب الأنساب يقال للذي لا أهل له في المشرق : خارجي وللذي نسبوه إلى من ولده لا إلى مولده : مهدي ، عدي . (٨) أنظر الأنساب للسمعاني ٢١٣٥ .  
واللباب ص ١٧١ .

ونحن في ختام استعراضنا لمؤلفات الخوارزمي . . نلاحظ قلتها اذا قسناها  
بشهرته ومكانته راسمة ثقافته وفزاره معلوماته . .

ولعل من أسباب قلة ما أشرعنا من مؤلفات انشغاله بالتدريس والرواية  
واعتمادا الى كثرة من نقلوا عنه من مشهورى كتاب القرن الرابع . . . أمثال  
الشمالي في البيضة وفي فقه اللغة وغيرها من كتبه والمرزبانى في موشحه  
والواحدى في شرحه لديوان المتنبي ، والمكبرى في التبيان ، أقول : انه  
لواتجه للتأليف واهتم به اهتمامه بالتدريس والمحاضرات لكان لنا منه ذخيرة  
ضخمة من الكتب تهوى ما للشمالى عددا وقيمة . . .

---

====  
\*\*

## الفصل الثاني

### الشعر

#### ( ١ ) رسائله الواردة في ديوانه :

جال الخوارزمي في ميداني النشر والشعر فأقسم في كل منهما فهو من الكتاب الشعراء أو الشعراء الكتاب .

وتلك حال أكثر مشاهير الأدباء في عصره كابن الحميد والصابي والصاحب ،  
وبديع الزمان والبيضا ، وقابوس بن وشمكير وغيرهم .. فقد كانوا لا يحدون إلا بسبب  
بليغ حتى يجمع بين الكتابة والشعر بل ويكون فيهما على السواء من حيث الإجابة .

( ١ )

يقول بديع الزمان : ( البليغ من لم يقصر نظمه عن نشره ، ولم يزر كلامه بشعره )  
ويقول الخوارزمي : ( والكتابة آلة عجيبة وهي من الشاعر أعجب ، كما أن الشعر صناعة  
غريبة وهي من الكاتب أغرب )<sup>(٢)</sup> .

غير أن لنقاد عصرهم رأيا يخالف هذا ، فنرى الكلاعي يقول : ( ان الكتابة  
والشعر شيان متنافران لتنافر طبائع اهلهما )<sup>(٣)</sup> . ويستشهد بالمثل القائل ( اثنان  
قلما يجتمعان : اللسان البليغ ، والشعر الجيد )<sup>(٤)</sup> .

ونحن لسنا مع الكلاعي فيما ذهب اليه ، كما أننا لسنا مع البديع والخوارزمي

( ١ ) مقامات بديع الزمان (الرقعة الجاحظية) ص ٧٥

( ٢ ) رسائل الخوارزمي ص ٢٤

( ٣ ) احكام صنعة الكلام ص ٣٩

( ٤ ) البيان والتبيين ١/ ٢٤٣ ، احكام صنعة الكلام ص ٣٩

فى شرطهما .. ذلك أنه يمكن أن يجمع الاديب بين الفنيين فلا نجد بينهما منافسة والشاهد على ذلك معظم أدباء القرن الرابع الذين كانوا يجمعون بينهما .

ولسنا نشتط ما اشتراطه البديع لان الاديب المنقطع لاحد الفنيين غالباً ما يكون أبلغ من يجمع بينهما .. ولنا عبرة بأولئك الشعراء الفحول الذين انقطعوا للشعر كالمجنون والبهترى وغيرهما . وشعر الكتاب ومنهم الخوارزمى وبديع الزمان لا يرقى الى مستوى شعر أولئك .. الفحول .. وهذه قضية يطول فيها الكلام لو أردنا الاستقصاء +

والذى يهمنا من هذه القضية هو معرفة مدى اجادة الخوارزمى فى كل من النثر والشعر .. وفى أى الميدانين كان أقوى .. ولانجد ممن ترجموا له فى القديم (١) من تعرض لهذه المسألة سوى ما ذكره السمعاني فى قوله : ( كان قريضه يقصر عن شعره )

ويمكن ان نفهم من كلام السمعاني أن شعر الخوارزمى ليس شعر الطبع والقريحة بل كان شعر العالم الذى قال للشعر لكثرة حفظه منه ومطالعتة فى فنونه . (٢)

(٣) ومضى كتابنا المعاصرين ، يرون أن الخوارزمى أقوى فى النثر منه فى الشعر ونحن لانجزم بهذا .. لان هؤلاء بنوا حكمهم على ما وصلوا اليه من أدبه .. المتمثل فى ديوان رسائله ، ومضى شعره الموجود فى اليتيمة .. وهذه النصف القليلة من شعره لاتمثل كل شعره .. لا كما ولا كيفا .. فلعل لسه شعرا أكثر جودة وأقوى مما عثرنا عليه فى اليتيمة .. خاصة أن للشعالبى منهجاً فى يتيمة قائماً على اختيار ما قيل فى غرض المدح أو الشطرب والمفاكهة ، وهى الأغراض التى ترضى أذواق عصره .. ثم انـه

(١) الانساب للسمعاني ٢١٣/٥ - ٢١٤

(٢) وقد عاب ابن طباطب الشعر الذى زادت فيه القريحة على العقل : عيار الشعر ص ٩١

(٣) انظر النثر الصنى ١٦/٢ وتاريخ الادب العربى لفرخ ص ٤٥ وتاريخ الادب العربى للزجات ص ٢٤٠ ومجلة الرسالة العدد ٤٠ ص ٥٨٠

جمع في كتابه ذلك ، شعرا لشعرات من الادباء فمن له باحاطة كل شعرهم .. فقد يكون في ديوان الخوارزمي المفقود ما يفوق في الجودة ما أثبتته له الثعالبي أوفيه .. ففى النواحي الانسانية أو النفسية أوفى التعبير عن الحوافظ وخوالج النفوس ما قد لا تكون لفتت نظر الثعالبي .

ومن ترجموا لمن القداى يقدمون صفة الشاعرسة على النشر من مثل قولهم :  
( الشاعر المعروف ) <sup>(١)</sup> ، ( والشاعر المشهور ) <sup>(٢)</sup> أو قولهم ( أحد الشعراء المجيد ين  
الكبار ) <sup>(٣)</sup> .

فالظن أن شهرته كشاعر لا تقل عن شهرته في النشر وانتاجه في الشعر لا يقل عن انتاجه في النشر ان لم يفقه <sup>(٤)</sup> . وليس هذا قليلا لقيمة نشره .. فنشره رغم ما أغرقه به من الصنعة البديعية يستحق الدرس والتأمل .. على أن تلك الصنعة هى التى سنها لهم ابن الحميد .. استاذ هذه المدرسة واتحدوها نقاد عصرهم .. كقول أحدهم : ( وسمينا هذا : المصنوع ، لأنه نقي بالتصنيع ووشع بأنواع البديع وحلى بكثرة الفواصل ، واستجلب له منها ما يلد في القلوب ويحسن في الاسماع .. وهى كتابة صاحب والمهنداني .. وأبو بكر الخوارزمي ) <sup>(٥)</sup> . كما عاب الاسلوب المرسل وسماء الماطل وقال فيه : ( وانما سميناه الماطل لقلية تحليته بالاسجاع والفواصل ) <sup>(٦)</sup> .

ولكلف أهل العصر بالبديع وعنايتهم به في كتابتهم زادوا فيه أنواعا جديدة

( ١ ) الانساب للصمعيانى ٢١٣/٥ وهدرات الذهب ١٠٥/٣

( ٢ ) طبقات النحاة ١٣٠ والوافى ١٩٢/٣

( ٣ ) وفيات الاعيان ٤٠١/٤

( ٤ ) انارنماذج الرثاء والعتاب والاعتذار ( الفصل الثالث من الباب الثالث من هذا الكتاب )

( ٥ ) احكام صنعة الكلام ١١٤ و ١١٥

( ٦ ) نفس المرجع ٩٦



لشعرهم عند من سبقهم . ولنفث الانواع التي أنماقوها ثلاثة عشر نوعاً <sup>(١)</sup> ، وحتى وصلت على أيديهم ثاشين نوعاً <sup>(٢)</sup> . ولما كانت هذه طريقة الكتاب في عصره ولم ينبج منها إلا أبو هلال العسكري وعلى بن عبد العزيز الجرجاني وهي الذوق النقيض السائد في أهل زمانه ، اتبع هذه الطريقة وافتن فيها حتى غدت رسائله نماذج يحتذى بها الكتاب ويدرس عليها الطالب . كل هذا ليحظى بحطايا الولاة والوزراء ويحتل المكانة الرفيعة بين الأدباء .

وأظن أنه لو خالف هذا الذوق . . . وجرّد كتابته من زينتها واتباع الأسلوب المرسل . . . لم يجد من أبناء عصره من يهتم برسائله ذلك الاهتمام ، ولما حظى بتلك المنزلة بين الأدباء ، ولما نال من الولاة ما نال حتى أصبح من أضياء الأدباء وقلماء يفتنى الأدباء .

قلت هذا ليقف على القارئ رقة التأمل النصف . . . فيحكم على الخوارزمي بذوق عصره ولغلاً من قراءة ما سوف أورده من نماذج نشره بسبب هذا الزخم الوفير من أنواع البديع والزخرف . . . إذ هو الميدان الذي كان الأدباء يتسابقون فيه . . . حتى غاب بديع الوطن نشر الجاحظ لتجرده من الصنعة والبديع حيث يقول : ( كلامه بحيد من الإشارات قليل الاستعارات قريب العبارات منقاد لصريان الكلام يستعمله ، نفور من محتامه يهمله ، فهل سمعتم له لفظة مصنوعة أو كلمة غير مسجوعة ) <sup>(٣)</sup> .

وسوف أبدأ أولاً بدراسة نشره وهو المشتغل على رسائله ( أهم ما حفظه الزمان لنا من كتبه ) ومقدمة كتابه الامثال وما جمعتها من المراجع المتعددة .

(١) انظر كمال البلاغ في ١٩-٢٢

(٢) انظر الصناعتين من ١١ وما بعدها

(٣) مقامات البديع ٧٥ و ٧٦

والخوارزمي طرق بنشره كل أغراض الشعر . . لان النشر زاحم الشعر فـ  
ميدانه وأصبح الولاة والوزراء يجيزون عليه كما يجيزون على الشعر بل لعله فاقه فقد تطرق  
الى التهنئة والمدح والمهجا والعتاب والتمزية ، والفخر والحفاصة والحكمة والوصف  
والشكوى من الزمان . . الخ

٥٥

### التهنئة

ولنبداً بفرض التهنئة : كتب الى ابي القاسم الحسن بن علي صاحب  
جيش الصفانيان يهنئه بالنصر :

( لم يزل يلغنى ما يرتفع على يد الامير من الفتوح التي تفتح لها ابواب  
السما ، ويفوح منها روائح العز والسناء في اولئك الاعداء الذين امتنعوا بشدة  
كلبيهم ، وقلة سلبهم ، ومشاركة المسلمين قديماً لهم ، ورضاهم رأساً برأسهم ، حتى  
لقد حققت الدماء ، وسكنت الدهماء ، وأمنت السبل ، واجتجى الشمل ، ورجح  
الناقر ، وعمر الخامر ، واجتمعت الكلمة واتفقت البيضة ، وأغمد السيف ، وركز الرمح ،  
وقرت الامور قرارها ، ووضعت الحرب أوزارها ، وهذا صنع لم يخص الله تعالى به أهل  
أفق دون أفق ، ولا أثر بمزيتة سكان غرب دون سكان شرق ، اذ كانت النعمة  
فيه عمت كل من عرف الاسلام وفضله ، وعادى الشرك وأهله .

لا زال الامير يرى كل يوم بسيفه فتحة يعظم به الخطب ، وتستبق فيه الكتب ،  
ولا زال الشر من قتلاه والنفاق من جرحاه والفساد في الارض من أسراه ، حتى تملاً  
فتوحه كل سامع وناظر ، وتشغل كل كاتب وشاعر ( ١ ) .

ومناسبة هذه التهنئة كما يبدو هي انتصار صاحب جيش الصفانيان على الكفار المحيطين بالملكة الإسلامية من الشرق . وقد قل نشاط الفتوح الإسلامية في هذه الفترة بحكم الفتوح في غربها . وخاصة في الشام ، ولم هذا لانجد فيها الادب الذي يمجدا الانتصارات ويشيد بالفتوح . وهذه القطعة تمثل هذه الناحية وان كانت نادرة . وكأنه حدث غير متوقع ولذلك قال الخوارزمي ( وأغمد السيف . . وقرت الامور . . ووضعت الحرب اوزارها ) .

وكان الامر الطبيعي الا تضع الحرب اوزارها ولا يغمد السيف مع اعداء الدولة الإسلامية .

وقد أحسن في تصوير فرحة النصر التي عمت كل اقطار العالم الاسلامي فقترح لهاكل من عرف الاسلام وفضله ، ولم يجعلها خاصة بهذا الجزء من العالم الاسلامي وما أحسن استعارته في قوله ( لازل الشر من أسراه . . . ) ومع ذلك فالحدث أكبر من أن تفي به قطعة نثرية قصيرة كهذه فلم يبلغ الخوارزمي ما يجب أن يقال في مثل هذه المناسبة . ولعل الشعركان أقدر على التعبير عن مثل هذا الموقف . . ولكن القوم — كما ذكرنا — استخدموا النثر استخدام الشعركان .

وكتب اليه يهنئه بالفتح . . ولا ندري أهو نفس الفتح السابق أم هو فتح جديد يقول ( انقطع كتابي عن الشيخ . . لانه كان مشغولا بكتائب الاعداء عن كتب الاولياء ومقارعة الامراء عن مطالعة الادباء ) ( والسيف أصدق أهباء من الكتب ) .

فلا جرم أنه قد أسفرت آماله عن المساعي الفراء وعن الاثار الزهراء وعن الفتح والنصره فاسترع ملكة طالما خطبت فما تكحت ، وطلبت فما وجدت :

بكر فما افترعها كف حاد ثمة ولا ترقى اليها همة النوب  
 مرزة الوجه قد اعيت رياضتها كسرى وضدت صدودا عن ابي كسرب

وعلى قدر الهمة تكون مقادير الاثار، وفي دون القيمة يكون افتراح الابكار  
 وشتان بين من اقتضى عذارى الجوارى وبين من اقتضى النواحي .. لابل شتان بين  
 من صار ملوكه تحت اللداف ، وبين من صار ملوكه تحت الرماح والاسياف (١)

انها نعمة الحث على الجهاد والاغراء بفتح الاقاليم والنواحي .. استخدم فيها  
 الخوارزمي ضرب الامثال وتضمين الابيات ، ليكون هذا اوقع في النفس .

وهو يقارن - في معرض حثه على معالي الامور - بين من هم ارضا شهواته  
 المادية وبين من سمت به نفسه وهيمته الى عشق السيف والرمح وجعل شهوته في النصر  
 على الاعداء .. وهي مقارنة مستوحاة من بيئة الاديب التي فرقت في الملذات واهبطت  
 عتائم الامور ، وما فيه مشقة على النفوس .

وجميل من الخوارزمي ان يسجل هذا على اهل عصره وينبه عليه وهو يلتقي  
 في هذا المعنى مع قول المتنبي في سيف الدولة :

( ما الذي عنده تدار المنايا كالذي عنده تدار الشمول )

(٢) وهذه تهنئة كتبها لعلی بن كامة بمناسبة توليته على مدينة :

( كتبت - والولاية التي شرفت بالامير ولم يشرف بها ، وتسببت له ولم يتسبب  
 لها ، وصخرت - قياسا الى شأنه - من حيث كبرت قياسا الى مقادير اهل زمانه -

(١) رسائل الخوارزمي ص ١٢٦

(٢) هو احد امراء الدليم الذي كانت نهاية ابن المصيد على يده وهو الذي سمي في ولاية  
 صاحب ١٤١/١ النثر الفنى

قد بلننى خبرها فجزرت ذىلى فرحا وورحت لا تحملى أعواد سرجى مرحا ، ووددت لو  
 شربت طريا عليه البحر المحيط قدحا • وأين بالأمر عن اقتراح المنابر ، وقيادة المسافر ،  
 وهو من أهل بيت يحكم بالملك صغيرهم ، ويشيب عليهم كبيرهم ، تقر بأسمائهم المنابر  
 النافرة ، وتسكن بأعلامهم البلاد الشاغرة ، لم يرضوا ألا تدى ولاية ولم يروا ألا تحت  
 راية ، ولم يفتقدوا إلا فى حجر سياسة ورياسة ، فلا زال يترقى ذروة رتبة بعد رتبة ،  
 ولا زال اسمه يفتوح خطبة بعد خطبة ، ولا زال الملك سليله ونتيجة والعز صنيعته  
 وخبرجه ، حتى يملك الأقاليم ويفتوح السرى العظيم ، فيعطى القوس بأربها ويطلب  
 الزعامة من يليق بها ( ١ )

فالخوارزمى فى رسالته هذه أحسن فى اظهار صفات الامير ان هو من بيت  
 عريق المجد عريق الجاه • قد تدرج أهله فى أحضان الملك وأورثه كبيرهم صغيرهم •  
 وهم فحول على المنابر قواد عظام فى ساحات الحروب • يفتحون البلاد • ويسوسون  
 الرعية ويدبرون الرئاسة ، وقد بذلوا أنفسهم لمصالح الأمور ، فشغلهم عن سفسفها  
 ولهذا فالولاية تشرف ولا يشرف بها مع عظمها قياسا الى غيره •

وهو يحلى أسلمه بحسن استماراته وكناياته — ويقوى معانيه بضرب الأمثال  
 على أننا لو أردنا استخراج كل استمارة وكناية وطباق وجناس من هذه القطعة لأطننا  
 الكلام • ما يدل على مناية الخوارزمى بأسلمه يظل كيجوده ويحككه حتى يظهر فى  
 ثوبه الجميل المزخرف • مع ملاحظة طول الفصل بين الصتدا — الولاية — والخبر  
 ( قد بلننى خبرها ) بجملة طويلة أخذت أكثر من سطر •

ولا ينسى الخوارزمى وهو يهنئ أن يطعم تهنئته بالمدح • وهذا النوع من

الرسائل هو الذى كان الخوارزمى وغيره من كتاب عصره يتكسبون به ويتسابقون فيه فهو كما عرف عنه لا يكتب الا للولاة والامراء والوزراء ومن له شأن خطير فى الدولة ابتغى النوال من جهة ، وللخطوة والتصرف بنفسه من جهة ثانية . . لان هؤلاء الولاة كانوا يملكون الاقليم او المدينة التى يولون عليها فيحيطون من يشاءون او يمنعون . . ويأخذون الخراج ممن ارادوا . . ويصفون ممن يرضون عنه . . لذلك ان الحكام الذين يولونهم لا يهمهم سوى ان يجمعوا لهم الخراج آخر العام .

ومن هنا احتاج الكتاب ان يتقربوا لمهؤلاء الولاة ليستفيدوا منهم او ليتقربوا شرهم . . واحيانا للاستعانة بهم على أعدائهم ، او ليجتبروا بهم من ولاة آخرين . . والوالى يحتاج لمهؤلاء الكتاب لانهم وسيلة الاعلام الاولى فى ذلك العصر . . فهم يرفعون ذكره بين الناس بما يصفونه عليه من صفات وما يحيطونه به من هالة فيها الجلالة والتسهيل والافراق . . فيقصده الناس الذين لا يعرفونه الا عن طريق الادب ، ويسمع به الادباء الآخرون فيؤمنون بحضرتهم طمعا فى النوال . . وهذا يعظم شأنه وتسمع حضرتهم ويكبر حتى فى أعين الحكام الكبار .

٥٥

### المِـدَاحُ

وقبل ان نستعرض نماذجها فى المدح يجمل بنا ان نعرف مذهبها فيه كما قد كتبه بنفسه ان يقول فى معرض رده على تلميذ له : ( كثر مدحى - أيدى الله لمسا يرد على من شك وشكوك . . حتى خشيت ان يحسب انى ارف مدحى الى كل خاطب وأبذل شهادتى لكل طالب ، وان يظن انى اقارض الشناء ، وأصارفك الجزاء ، ولا والله مالى للدنيا استحسان الا والى الجنة احسان ، وانى لضيق ذرع التزكية والشناء ، وتصير

حتى المدح والاطراء محاسب لقلبي اذا مال ، وللساني اذا قال . لا امدح الا ممدوحا  
 بكل لسان ، ولا ارضى الا مرتضى في كل مكان ، ولا اقبل مدلس الفضل ، ولا اتبع مفشوش  
 القول والفضل ، ولا يستفزني وعد كل سحاب ، ولا يستخفني طنين كل ذباب ، وسرعة  
 الشهادة طريق من طرق الخفة وابتذال المدح والتركيز باب من ابواب الملق والذلالة  
 والمجازفة بحساب المقال اتبع من المجازفة بحساب المال ، لان الخلط في المال  
 ساحة وندي ، والخلط في المقال حماقة ونجا ، واقصى غايات فوات المال ان يكون  
 صاحبه فقيرا ، وادنى غايات فوات المصواب ان يكون صاحبه سخيلا فقيرا وبين الخسرانيين  
 نفس مديد ، ومن بعيد . . . ومن لم يكبح عنان لسانه وقلمه بيد التأمل ولسان التبيين  
 جيبها الى غاية اولها ندامة وآخرها ملامة جعلنا الله من اذا تكلم لم يضع زمام كلامه  
 في يد هواه واذا شهد لم يلق رق شهادته في عنق سخطه ورضاه .<sup>(١)</sup>

والحق ان هذا المذهب الذي يتكلم عنه الخوارزمي في المدح هو المذهب  
 المثالي وكأنه يريد ان يعطى تلميذه درسا ينفعه ويستفيد منه . ومن هنا كانت اغلب  
 رسائله كأنها محاضرات علمت ليقتدى بها طلابه وتلاميذه . غير ان الخوارزمي لم يلتزم  
 حرفية ما قال في هذا المنهج خاصة مع (الصاحب) و (محمد العلوي) فانه يكيل لهم  
 من المدح ما يستحقون وفوق الذي يستحقون . ويبالغ في ذلك كثيرا . . . ولست بحاجة  
 الى شرح منهجه هذا فهو واضح . ومن مدائحه للصاحب قوله :

(رجعت من حضرة الوزير بعد ان افرغ على من سجاله وأسبغ على من نواله  
 ما خفف ظميري وأثقله ، وأندلق لساني بل أغرسه ، وأرخض شكري بل أغلاه وأبقى مدحى  
 بل أفناه ، واني حين أمدح البحر بأنه عزيز والبدر بأنه منير ، وأعلم الناس ان الدهر

كبيره وأن الرجل كثيره لأحد عباد الله المكلفين الذين قولهم هباء وعطهم جفأ  
أبقى الله ذلك السيد ليفضح به اللثام ويصغربه الكرام . وتتجمل به الأيـام  
والانام ، وأقام به سوق الكرم (١) وهو هنا اقتصر على مدحه بالكرم وبيان فضائله عليه .

في تبرير طريف لفارقة الخوارزمي للمصاحب كتب يقول : ( كتابي أيد الله  
القاض من قسم . وأنا منها بمكة حرا لا حبا ، ومحمدان هوا . لا ماء . . . وهذا  
فصل سرقة من رسائل الوزير الجليل ابن عباد وليس بأول غارة الكردي على الحاجي  
ولا بأول أخذ الطرار مال التجاره ، ولا بأول تجمل المكاتب بكلام الكاتب . وهل عبرنا  
منذ عرفناه الا عن بيانه وهل اجرينا اقلامنا الا على آثار قلمه ونائه ، وهل اغترفنا  
الا من بحره ، وهل نطقنا الا بنظمه ونثره ؟ وهل على الارض عار أن تطلب سقيا السماء ؟  
وهل بالفقراء نقص أن يأخذوا صدقات الأغنياء ؟ وهل يحيب النهر أن يستمد البحر ؟  
لا بل كتابي عن سلامة الا من شبع من كل حشرة بعد تلك الحضرة البهية ، ومن  
كل نفس بعد تلك النفس الزكية . . . فاني منذ لقيتها وزنت العالم بأخف منجه وقومست  
الدنيا بأوكى قيمة على أني ماخرجت منها الا طريد حيا ، ووقيد عطاء ، وفدت على  
الوزير ابن عباد وحقائبى مملوءة رجاء ، وصدرت منه وهي مملوءة مدحا وثنا ، ولقد  
غام في معنای على دقائق من الكرم اخترعها ، ونوادير من الجود ابتدعها . . . لو  
كانت أبياتا لكانت أوابد ولوكانت قصائد لكانت قلائد . . . فلما رأيت لا أزداد فنى  
صنائعه صنعة ولا أترقى فى نصمه درجة الا ازدادت عنى تبلدا وحققها تقاعدا ، هربت  
لاكون أوحى فى الهزيمة من الجميل ، كما أنفأ أوحى فى بذل الجزيل ، ولا غُرب فى الهرب  
على الشعراء ، كما أغرب فى الخطأ على الرؤساء ليجمع بيننا ظاهرا اسم الاختراع وفحواه  
وان فرقت بيننا حقيقة ومعناه (٢) .

( ١ ) نفس المصدر ص ٤٥

( ٢ ) نفس المصدر ص ٤٧



وهو هنا يصف كرم صاحب عليه وأنه لا يزيد بمدحه معرفة كما أن الشمس لا تزيد معرفة بمن يعرفها للناس ، لأن كل الناس يعرفونها . وأنه لم يقتصر على أخذ ماله فحسب بل استفاد من أدبه أيضا . . . ويرى أن سرقة من أدب ابن عباد ليست عيبا كما أنه لا يعد عيبا أخذ الفقراء صدقات الانبياء .

كما يملل لنا سبب فراقه لابن عباد ، هذا التمليل اللطيف . . . وقد يكون كتب رسالته هذه بمدح الجفوة التي حصلت بينهما ولكنه لم يشأ أن يثلب الرجل بمدح أن استفد فيه مدائحه وقال فيه ماتصعب مناقضته . على أنه يصور لنا شخصيته الأدبية امام صاحب الاديب الكبير كالقزم امام الصملاق . . . ولا شك ان هذا تواضع من الخوارزمي ونوع من المدح فيه اظهار لمعروفه عليه وارضاء له .

والا فان الخوارزمي في مستواه الادبي لا يقل بأي حال عن مستوى صاحب ان لم يفقه . . . ولكن الخوارزمي مهما بالغ في رفع شأن صاحب . . . فلن يسدد ديونه عليه فقد انتحله من وهدة الفقر وأغناه بحطائيه التي لا يحطليها الا الطوبى . ولذلك فهو يصدر في مدحه له - غالبا - عن صدق .

واليكم مدحا من نوع آخر : وهو مدح أهل مدينة او منطقة خاصة . يقول الخوارزمي بمدح أهل اصفهان :

( وصف عراقي خراسان فقال : نساؤها كرجالنا ، ورجالها كجبالنا . . . وأريست أنا اصفهان فقلت : صبيها كرجالنا ، ورجالها ككهلنا ، وكهلها كشيخنا ، وشيوخها كنبينا !! ولم لا يخرج أهل تلك البلدة في قالب الكمال ؟ ولا يستوفون شرائط الرجال ولا ينظمون في طرفي القول والفعال ؟ وهم يرون كل يوم واردا ويشهدون واقفا ، ويسمعون نعمة ويظالمون نعمة . لان فيهم مثابة الجود ، وقرارة الوفود ، وكعبنة

الآمال ، ومحط رجال الرجال ، وهم يلتقون على باب الوزير مع كل كاتب وحاسب ،  
ويجلسون في سدة مع كل ناثر وشاعر ، ولا يعدمهم أن ينظروا الى كل ذى صناعة  
مماشية أو معادية ، والى ذى آلة رياضية أو عقلية فترق السنتهم ، وتصفوا أذهانهم  
وتتقز أبقارهم ، وترق أفكارهم لاقتباسهم علم كل مكان ، واستماعهم تبيان كل لسان ،  
ولترددهم بين اللغات المختلفة ، وبين الاختلافات المتمايزة ، فهم يصرون فيستبصرون  
ويرون فيرون ويسمعون فيحفظون . وأين بهم عن ذلك وهم يترددون في مفيض العلم  
والادب ؟ وينزلون في موسم الحج والصرب ؟ هذا الى ما يحصونه من كلام الوزير  
الذى لو سمعته الوحش أنست ، ولو خوطبت به الخرس لنطقت أو استدعيت به الطير  
نزلت ، ومن جالس صاحب صناعة حذقها . . ونعم المعلم الجوار ونعم الرسول الاستماع  
والابصار (١) وهو مدح صادق لافه مدح قوم لا يروجو من ورائهم عطاء . . وان كان  
فيه مدح للوزير صاحب .

وإذا كان هناك مبالغة فقد جلبها السجح كقوله ( وشيخها كتبنا ) أو قوله  
( وكلام الوزير الذى لو سمعته الوحش أنست . . الخ ) .

وأجمل ما في هذه القطعة هذه النظرة الحديثة للمؤثرات الحضارية في ثقافة  
الانسان أو الامة فقد جعل من أسباب بلوغ أهل اصفهان درجة الكمال كثرة المتادين  
لها من أنظار شتى واحتكاكهم بهم . . واجادتهم أكثر من لغة ورويتهم أشكـال  
الصناعات والرياضيات وسماعهم الشمرأ والادباء والصلحاء الذين يفدون على حضرة  
الوزير فاستفادوا من كل ذلك . . ودليل استفادتهم : صفاء أذهانهم ورقة السنتهم ،  
وتوسع ثقافتهم وقوة حفاتهم . . وتهذيب اخلاقهم .

## الذم والهجاء

ولقد افتن كتاب القرن الرابع في هذا الخوض وجعلوه من اغراض النشر بعد ان كان خاصا بالشعر ولعل رائد هم فيه كان ابا عثمان الجاحظ في رسالته المشهورة (التربيع والتدوير)<sup>(١)</sup> .. التي كتبها بأسلوب ساخر يهزأ فيها بأحمد بن عبد الوهاب فصوره في صورة (كاريكاتورية) مضحكة ثم جاء أبوالمظهر محمد بن أحمد الأزدي فألف كتابه (حكاية أبي القاسم البغدادى) فأفحش وأقذع وصور لنا الجواب السيئة في المجتمع الصراقي في عصره متخذا أسلوب الذم منهجا له .. وفيها وصف لثقل لم يبلغ أحد في الذم والاقذاع ما بلغه ثم جاء الخوارزمي فكتب رسالته المشهورة لابی الحسن البديهي كما تقول المراجع<sup>(٢)</sup> أو لبدیع الزمان الهذلي كما ذهب الى ذلك صاحب كتاب (جمع الجواهر)<sup>(٣)</sup> .

ورغم أن كل هذه الرسائل داخله في الهجاء فانه يمكن أن يكون لها طابع فني خاص منذ رسالة الجاحظ الى رسالة ابن زيدون في ابن عديس . وهي ظاهرة بارزة تستحق من المهتمين بالادب دراستها والاهتمام بها .

والملاحظ ان رسالة الخوارزمي تلتق مع رسالة أبي المظهر في وصف الثقل . ولاشك من طالعهما أن احدهما أخذ من الآخر . وقد أدرك هذا زكى مبارك وذهب الى أن أبا المظهر أخذ عن الخوارزمي ولكنه استدرك في طبعة كتابه بالعربية ووجه أن الخوارزمي هو الذي أخذ عن أبي المظهر لفارق الزمن بينهما . فأبو المظهر كان شابا ما جئنا سنة ٣٠٦ هـ في حين أن أبا بكر الخوارزمي توفي سنة ٣٨٣ هـ<sup>(٤)</sup> وأن كان هذا

(١) رسائل الجاحظ ص ٨٥ وما بعده

(٢) انظر رسائل الخوارزمي ص ١١٣ ونفحة الريحانة ٤ / ٦١٠

(٣) ص ٢٥٦

(٤) انظر النشر الفني ١ / ٤٢٥

دليلاً ترجيحياً لا قطعياً واحتمال أن يكون الخوارزمي هو السابق غير مستحيل ولكن  
مرجح . وللمبدع وصف للثقل ينحرف فيه نحوهما .. (١)

وقد كان الخوارزمي في وصفه أبلغ وأكثر جودة وأجمل أسلوباً وأقل فحشاً  
من أبي المطهر وهي في بابها أوجع . على أنه لا يلتقي مع أبي المطهر وبدع الزمان  
الهمذانى إلا في جزء من رسالته ، وهي الجمل التي تبدأ بـ « النداء » وهذا الوصف  
لا يتجاوز صفحة واحدة (٢) ثم طلع علينا ابن زيدون (ت ٤٦٣) برسالة الهزلية  
الموجهة إلى ابن عبدوس منافسه في حب ولادة بنت المستكفي . وقد كتبها على  
لسانها . وهي رسالة طويلة ينحرف فيها نحو وصف الخوارزمي (٣) ولا يشك من طالعها  
أنه يحاكيه ..

ولنعود إلى رسالة أبي بكر التي وجهها إلى أبي الحسن البديهي الشاعر ،  
يمتدح به .. ولا نعرف ما سبب هذا الهجوم الكاسح وإن كان له شعر في هجائه ونقده  
لشعره (٤) . ولا ندري إن كان البديهي يستحق كل هذا من الخوارزمي ؟ وما الذنب  
الذي جناه حتى يكون جزاؤه هذا المسع والتشنج ؟

يقول الخوارزمي في أول رسالته : ( لست أعاتيك - عافاء الله - لأن المتأب  
يصلح منك أو يصل فيك ، أولان جهلك جهل يخالج بالمدل ، أو يداوى داؤه بالقول  
كلا - عافاء الله تعالى - جهل الناس عرض ، وجهلك جسم لا يزول إلا بالقص -  
ولا يقى داؤه إلا بالكف والنحل . وكفى إنما أردت بهذه الرسالة أن تتوجه عليك الحجة  
وإن تنقطع منك الحلاقة والملة ، وإن كانت ترد منك على عين عمياء ، وإن صماء  
وقلب لا يصرف النقصان إلا في ماله ، ولا يحسن بالالم إلا في جسمه .. ) .

(١) مقامات البديع ص ٢١٧ وما بعدها (٢) انظر حكاية أبي القاسم البغدادي ص ١٢

(٣) انظر ديوان ابن زيدون ورسائله ص ١٣ وما بعدها

ثم يأخذ في التهكم به وكيف أنه بلغ من الجهل درجة يعكس فيها الحقائق ويحاند الحق ويكرهه .. ( وكأنك لم تخلق الا لتطمس عين النور وتقلب أعيان الامور فتجمل الضوء ظلمة ، وتحكس البدعة سنة .. حتى كأن ( سوفسطا ) استخلفك على جحد ما يدرك عيانا ، ويصرف ايقانا . فأنت وارثه في الباطل ، وناصر جهله على كل عاقل ) .

ثم يكر عليه فيصفه بأنه جاهل لم يبلغ من العلم شيئا - ولو تعامل - وفيها استمرار في ثقافة الخوارزم في الاديان والتاريخ والسير - الخ : ( لو سئلت عن يحيى بن زكريا - لذكرت أنه زنى ، ولو ذكرت في القائم ادعيت انه مضي ، ولو استخبرت عن ابلحيس لذكرت أنه سجد لآدم ، ولو نظرت في عيسى نفيتته عن مريم ، ولو انشدت شمس امرئ القيس لنسبته الى الافحام ، ولو ذكر أبو جهل حكمت له بالاسلم ولو استحسنت كلام مزيد قلت انه ميت الخواطر فاطر النوادر .. ) .

ويستمر يلج على هذا المنوال .. فيذكر بيان على في خطبه وعظم بنيان كسرى وارم ذات المماد ، وحادثة مقتل الحسين وشاعة قول فرعون ( أنا ربكم الاعلى ) ويذكر علم ابن عباس بالتأويل .. وقوة نظم قصيدة ( ويأتيك بالاخبار من لم تزود ) ، وحلاوة طعم ( لا يذهب الصرف بين الله والناس ) كما يذكر حلم الاحنف ، واختلاف الائمة في الفرائض وحديث ذي القرنين .. والتعجب من بناء الهرميين .. وابتداع الخليل بن احمد علم الصروض .. كما يظهر اعجابه بكتاب ( كليله ود منه ) .. ويحيب على النصارى اشراكهم وعلى الثنوية عبادة ( مانى ) كما يذكر خلاعة أغاني ابن شريح ومعبود ، وقوة عزيمة أهل الهند ومراعاة أهل الصين في الصنعة .. وملائمة بيان العرب وقوة عارضتهم ويذكر يوم كربلاء والحررة .. ونوادر أبي المبر .. ولتقان الفرس للسياسة وقوة معرفتهم بالعمارة ويذكر الصنقاء والثنين . ويرى ان سلول وجرحهم وعدى وتيم هي انحف القبائل

العربية ، وان هاشما رؤس قريش ، ودارنا شرقاً تميم .

ثم يذكر بعض الاشخاص واشتهارهم بذاهبهم وكل هذا في معرض تجهيل  
مهجوه ( غايته ان تزعم ان هشام بن عبد الحكم نامعي وان ابا الهذيل العلاف  
نابتي ، وان ابا بكر الاصم شيعي ، وان واصل بن عطاء حشوي وان سليمان الاعمش  
خارجي . . ) وهو دليل على سمة معرفته بال مذاهب الدينية ورجالها المشهورين .

ثم يعود ليستعرض ثقافته في الادب واللغة معرضاً بجهل البديهي فيقول :  
( وان عبد الحميد بن يحيى أصي ، ان رؤبة بن المجاج أعجى ، وان اياس بن  
معاوية أصي ، وان النابغة الذبياني لم يحسن الاعتذار كما ان ابانواس لم يصف الخمر  
ولا الخمار ، كما ان ابا بكر الصنهموي لم ير الانوار والازهار ، وان طفيلة الغنوي ماركب  
كما ان اعشى قيس ما شرب . . ) .

ثم يعود لبيان الصفات التي اشتهرت بها كل أمه . وهو ينحو نحو كلامه السابق  
في التهمك بالبديهي وتجهيله . . فيصفه أنه لو سئل عن العفاف لقال انه هندي  
او السخاء لقال : رومي وان العقل صقلي وان التشيع شامي والنصب كوفي . . وعلى  
نفس طريقته هذه . . يذكر ان التجار اشتهروا بالكذب والملوك بكبر الهمم ، والمحدثين  
بالتخالف والتناقض . وان النقائص اكثرنا سخفا وهجرا .

ومعد تمدد كل هذه الصفات يقول لمهجوه : ( . . وانك من بينهم السذي  
خص بالعلم القديم واخبر النبأ العظيم . . وانك لو سمعت عليا يقول : سلوني قبل ان تفقدو<sup>نسى</sup>  
سألته حتى يقول : دعوني فقد انحصموني ، وانك لو امدت بك الملائكة ما قالت سبحانك  
لا تعلم لنا الا ما علمتنا . . وان اباك آدم لو أعين بك مالمب ابلين به ، ولا انف من  
السجود له وان عمك قابيل لو راك ما أقدم على قتل أخيه هابيل ، وان امك حواء لو

رأته نشرت على أبيك عشقا لك . . . ) ويطول الكلام لو استمرضنا كل تلك الممارف التي  
يوردها الخوارزمي في هذه الرسالة .

ثم يسود بعد سرد جملة من الممارف . فيذكر لنا أمثالا في أقبح الاشياء  
وأهونها وأدامها . . الخ وهو المقطع الذي يلتقي فيه الخوارزمي مع أبي المطهر وسوف  
أقتصر منه على ما فيه كشف أحوال مجتمعه أو ما يدل على سمة معرفته . يقول :

( يا خراجا بلا غلة . . يا أثقل من المكتب على الصبيان ومن كراء الدار على  
السكان . . يا بخلة أبي دلامة وحمار طياب وطيلسان ابن حرب وقدح اللبالب في كشف  
المرض . . يا كيف السجن في الصيف . . ويا شرب الخمر على الحشف . . يا خجل جوار  
الفلطة . . يا كمد المقمور . . يا شام من دم نبى . . يا دخول الطفيلي بيت المروزي . . يا حو  
نكاكين الدباغين ومنهج حوانيت القصابين . . يا كوز الحجام . . يا شخص النائم في عرين  
المظلوم . . يا أثقل من منادمة طفيلي . . يا جواب الحجاب . . ويا بوم البواب . . يا نظير  
الى زنج الام على الريق . . يا شماتة الاعداء وحسد الاقرباء . . وما لازمة الخمر . . وعريسة  
الجلساء . . وخيانة الشركاء . . وغش الاصدقاء . . ومشاتمة السفهاء . . ونصرة الضعفاء . .  
وعداوة الامراء . . وسماع المصنى البارد ) .

ثم ينتهي الى توجيه بعض المطالب له لتمجيذة واظهار جهله وزيادة في التهكم  
والتقريع فيطلبه : املاء النسخة الاولى من كتاب الصين . . مع ان الناس متفقون على ضياعها  
وان يخرج له قراءة أبي بن كعب مع ان الناس مجمعون على ذهابها ويسأله عما  
اختلف الناس فيه وشكوا من خروج المهدي والسفياني والاصفر القحطاني . .

او ان يعالج الكيمياء ليصنع منها للناس ذهبا . . وان يصلح الزنج الاكبر  
الذي هو من مفاخر الروم ومحاسنهم .

ويطلب منه أن يبنى لهم مسجدا يباهى مسجد دمشق الذي يفخر به أهل  
المضرب على أهل المشرق... وان ينتصر للملوكيين ويرد عليهم حقهم المقتضب. ثم  
يختم رسالته هذه التي هي أقرب الى قصيدة جيدة في الهجاء بقوله:

( هذه رحمتك اللطيفة أهديتها لك بل هدى من المرائى جلوتها عليك  
وما صبرها الا فقدك ولا ثمنها الا بحدك ، فاذا وهبتها فقد وفيت المهر ، وأرضيت  
العروس والمهر فسدان من أرائيك ولك مهر مثلي ، وأنت ختن لي ، وعهدي بالناس  
يخطبون الكرائم بالكرم ، ويطلبونها بحسن الاخلاق والقيم ، وأنت خطبت هذه الكريمة  
بلوأم نجوى وصخر قدراك ، وعهدي بهم يحتلون المهور في اموالهم وانت جعلت مهر  
هذه من عرضك الخلق ، وأعجب ما فيها أنك اذا طلقها لم تطلقك ، واذا اطلقتها  
من حبلك لم تطلقك فخذها مباركا لك فيها فيستألف العروس وزوجها شر منها )<sup>(١)</sup>

فهل لي بعد أن استعرضت هذه الرسالة هذا الاستعراض السريع أن أذكر  
القارى بالرجوع الى نص الرسالة فان فيها الامثال والحكم ومختار الشعر وحوادث التاريخ  
واسماء المشاهير في كل علم... وأرى أن ما فيها من غزارة معلومات ومعارف يستحق  
تحقيقا قد يستغرق كتابا فهي أقوى وأغزر في معلوماتها من رسالته الى جماعة الشيعة  
التي نوه بها زكي مبارك<sup>(٢)</sup>.

بقى أن انوه بأن هذه الرسالة تمثل رسائله الصادقة التي تدل على قوة  
اسلمه واقتنائه في تلوينه بالبدع... فالخوارزمي اذا تناول موضوعا ونفصه تضطرم امسا  
حبا أو بغضا يخلق ويوجد ولا نشمر بتكلفه وصنعتة. ومن أهاجيه النثرية هذه القطعة

(١) رسائل الخوارزمي ص ١١٢-١٢١

(٢) انظر النثر الفني ٣٣٦/٢



التي يذم فيها شخصا ذكر له انه لا يستطيع كلامه ويستنكر اعظام الناس له :

( بلخني أن فلانا زعم أن سممه لا يسع لاستماع كلامي ، وأنه يستعظم ما يرى عليه الناس من اعظامي . والذنب للممين المشواء في محبة الظلماء ، وكراهية الضياع ، وفم المريض يستثقل وقع الغذاء ، ويستمر طعم الماء ، والجمل يتخذى على السارقين ويموت من الورد والنسرين ، ومن الرياح والياسمين ومن طلع عين الشمس فقد نطق عن مقداره في الحصى ، ومن حارب جيش العقل ، وخلق ربة العدل ورضى لنفسه بمجانسة الجبل ، فقد كفى خصومه ثؤنة عتايه وعقابه ، وقد آمن زيادة الحنة لتصام ما به . . . ) (١)

ومع أن هذا الذي طعن في أدب الخوارزمي ومنزلته لم يبين لناسب طعنه - أو لعله بينه ولم ينقله لنا الخوارزمي فان الخوارزمي لم يكن موضوعا في رده وقصارى جهده ان يتهمه بقلة الذوق وعدم الفهم . . فلعل الناقد كان على حق كما نلصق في هذه القطعة اعتزاز الخوارزمي بأدبه .

وقال يصف حاكما ظالما :

( ورد علينا فلان ونحن نيام نوم الأمل وسكارى سكر الثروة ، ومثكون على فراش العدل والنصفة ، فما زال يفتح علينا أبواب المظالم ويحتلب فينا ضرعى الدنانير والدراهم ، ويسير في بلادنا سيرة لا يسيرها السنور في الفأر ولا يستخيرها المسلمون في الكفار ، حتى افتقر الأغنياء ، وانكشف الفقراء ، وحتى ترك الدهقان ضيخته وجحده صاحب الفلة غلته وحتى نشف الزرع والضرع ، واهلك الحرث والنسل ، وحتى أخرب البلاد بل أخرب المباد ، وحتى شوق الى الآخرة أهمل الدنيا ، وحب الفقر السلى

أهل الننى ، وحتى لقب بالجراد ، وكفى أبا الفساد ، وحتى صار الدرهم فى أيامه  
أقل من الصدق فى كلامه ، وصار الأمن فى أعماله ، أعز من السداد فى أفعاله . فليتـه  
اذ أوحى الرجال حصل المال ، وليته اذ ضيع المال أرمى الرجال . ولكنه حرم الاثنين  
فأقل من الجهتين . والله ما الذئب فى الخنم بالقياس اليه الأول الحادلين ، ولا يزدجر  
الاثيم فى أهل فارس بالانصاف اليه الأمن النبیین المصدقين ولا فرعون فى بنى اسرائيل  
اذا قابلته به الأمن الملائكة المقربين ، فان كنا به معاقبين فقد تنقضى مدة العقاب  
وتختم صحيفة المذاب وان كان الفلعلط به والزمان خطأ فيه ، فقد يراجع الشايط  
حسه ويحاسب المخطئ ، نفسه فيجبر ما كسره ، ويتلافى ما بدر . ( ١ )

ونرى الخوارزمى فى هذه القطعة يحلق بأسلمه ويأتى بالاستعارات الجيدة  
ويبرشق مهجوه بسهام قاتله ويصوره بصور مربعة موقفة فتاره بصورة فى صورة الواسع  
الفتاك وأخرى فى صورة الدجيم الذى لا تأخذه رعدة فى ضحاياه .

وما حلل هذه الاستعارات وهذه التشبيهات التى تشهد باجادته لهذا  
الفن . . كقوله ( يفتح علينا أبواب المظالم ) أو ( حتى انكشف الفقراء ) . . ( سيرة  
لا يسيرها السور فى الفأر . . ) الخ .

ولاندرى كيف تسنى للخوارزمى ان يواجه هذا الوالى بهذا القول الجانح وهو  
الذى يقول فى رسالة اخرى يشكو فيها عدم اعطائه حرية الرأى .

( وما علمت أنى أعيش حتى أصاد رعى اللسان . . وقد كنت رأيت حاكما يحجر على

(١) يتيم أو محتوه وفره . . ولم أر أميرا يحجر على كاتب في كتابته أو على شاعر في شعره

وما منحه ذلك الحاكم من القول إلا لما يعلم بالأدبه في نفوس الناس من  
أثر .

والرسالة من ناحية أخرى تمطينا صورة عن الولاة الظالمين في زمانه ،  
الذين يتحسفون الناس بمصادرة أموالهم دون وازع من دين ولا مراقبة من حاكم  
عادل .

ونسجل للخوارزمي هنا روحه الجماعية التي تظهر في شكاته هذه ، فـ  
يشكو إلى الحاكم سوء سيرة الوالي في أهل البلاد كلها . . فليس الأمر يحنى  
وحده .

على أن هذه ليست أول صرخه للخوارزمي من هؤلاء الولاة والحكام بل كثيرا  
ما يرفع شكايته إلى الوزراء يطلب اعفاء من تلك الضرائب التي كان أولئك الولاة يتحصلونها  
من الناس كرها .

( ١ ) رسائل الخوارزمي ص ٧

( ٢ ) نفس المصدر ص ٩ ، ١٥ وانظر بقية أمثلة الهجاء الصفحات ٢٨ ، ٤٩ ، ٥٣

## التعليق

وهي من الافراض التي أجاد فيها الخوارزمي لمقدرته على تهدئة النفوس وتذكيرها بما شرعه الله من الرضى بالقضاء والقدر .

کتبیسری رئیس طوس فی شقیقہ :

" كتابى عن سلامة ، وما سلامة من يرى كل يوم ركنها مهدودا ولحداد ملحودا ، وأخا  
مفقودا ، وحوضا من المنية مورودا ، ويحلم أن أيامه مكتوبة ، وأنفاسه محسوبة ، وأن شبابه  
الضال له نصوبة .

أف لهذه الدنيا ، ما أكثر صافيتها ، وأخيب راجيتها ، وأندر أيامها ولياليها ،  
وانقص لذاتها وملاهيها . . . تفرق بين الأحبة والاحباب بالفوات . . . ورد على خبر وفاسة  
فلان فدارت بي الأرض حيرة ، وأظلمت في عيني الدنيا حسرة . . . وتذكرت ما كان يجمع سنين  
وأياه من سكر الشباب والشراب ، فقلت : انه شرب من كأس أنا شارب من شرابها ، ورمى  
بقوس سوف أرضى بها ، فبكيت عليه بكاء لن نصفه ، وحزنت له حزننا لنفسي شطره ، وسألت  
الله تعالى - فانه أكرم مسئول وأعظم مأمول - ان يفيض عليه من رحمته . . . وان يفكر له  
تلك الاخلاق الكريمة ، وتلك المروءة الواسعة العظيمة ، فان الله تعالى يحب السخاء  
في الملحد ، فكيف في الموحدين . . . ثم تذكرت ما نزل من الوحشة لفقدته ، والظمة من بعده ،  
والتحسر على قرينه ببعد ، فخلت الى قلبي وجع ثان انساني المائى . . . حتى استفسر - سرغ  
ذلك ما في صدرى بل ما في صبرى . . .

ثم رجعت الى اديب الله تعالى فقلت : انا لله وانا اليه راجعون . اللهم لاشكائة  
لقضائك ، ولا استياءا لجزائك . . اللهم ارحم الماضي رحمة تحبب اليه مآته وابق الحسى  
بقاء تهنته فيه حياته واطمع على قلبه حتى لا يطمع برأى الزوال ولا يضع غنائه بيد الهلع . .  
ولا يثلم جانبى الاجر والذى خرب بالاثم والوزر ولا يجد عدوه الشيطان سبيلا اليه ، ولا سلطانا

عليه . . . ليصرفني سيدي خبر ما هداه الله اليه من جميل العزاء الذي لم يعدم جميعا  
الجزاء ليكون سكوتي الى ما أعرفه من سلوته اضعاف قلق كان بما ظننته من حرقة ، وان كنت  
أعلم أنه لا يخلو ساحة الحلم والحلم ، ولا يخل بالواجب من التسك بالحزم ولا يحل عفة  
صبره ولا تتداعى أركان صدره ، ولا يعمى عليه الرشد في جميع أمره .

وهي شريطة الكمال ، وسجية الرجال " ( ١ )

ويمكن أن نلاحظ حرارة العاطفة في أول الرسالة حينما يتحدث الكاتب عن أحد سوا  
هذه الدنيا وما تثول اليه . . . وعن قص الموت والمصير المحتوم الذي لا بد منه . . . وكأن  
الخوازمي يرثي بهذا نفسه وليس صدقها بجا ، من هنا . . . وأمر آخر جعله يكتبه في ذلك  
أن الميت يحدث في النفس فراغا يورث صديقه حزنا وجزعا . . .

ولكننا نستدرك على الخوازمي قوله لا أخى الميت : أخبرني كيف تمزيت وما سوت  
عن مفقودك لأفصل ما فعلته لأنى كنت حزينا لحزنك ؟ فهل يسلم له الممزي أنه سلسل  
فقيهه وتمزعه ثم هل هو حزين فقط لحزن الحى أم أنه حزين لفقد الميت ؟

على أننا نجد في هذه الرسالة ما يرفع قيمتها . . . ويشهد على اجادة كاتبها ذلك  
هو الاتجاه الدينى . . .

وحث الميت على أدب الله في مثل هذه المواقف والايمان بقضاء الله وقدره . . . وأن  
يلتزم بالصبر لينال أجر صبره مما يجهلنا نعترف له بإصابة الفرس وصدق القول .

ومن طريف تعازيه تلك التى كتبها عن خوارزم شاه الى الملك يعزبه في ابنه ؟ ( ٢ ) . . .  
وهي رسالة جمع فيها بين التهنئة والتهنئة ولهذا اشتهرت هذه الرسالة . . . لان التعزية  
لا يطامح كل كاتب عن هذين الضمين المتضادين يقول فيها :

" كتبت وأنا مقسم بين فرحة وترحة ، ومردد بين محنة ومنحة أشكو جليسل  
 الرزية واشكر جزيل العطية ، وأسأل الله تعالى للامير الماضي الغفران والرحمة  
 وللامير السيد التأييد والنعمة ، فان المصيبة بالماضي وان كانت تستوجب الصبر ، فسا ن  
 الموهبة في الباقي تستغف الشكر . والحمد لله الذي كسر ثم جبر وسلب ثم وهب وابتلنى ثم  
 أولى ، وأخذ ثم أعطى ، كتب على المشرق خاصة بل على الدنيا كافة أن تطمس آثارها  
 وتناغم أقطارها وتذهب ريح الخراب عليها . . . حتى ذبلت شجرة الملكة ووهن ركن الملة . .  
 ثم استدرك الله تعالى برحمته خلقه فرد الى الامير حقه ، وقرت الدولة في قرارها ، وعادت  
 الرئاسة في موضعها ، فأنا الان بين شكاية الايام وشكرها ، وبين حربا الدهر  
 وسلمه . . أبكى وأناظك وأضحك وأنا بأكى المين ، الا أن الضحت عليّ أغلب والفرح  
 اليّ من الهم أقرب ، لان المصيبة ماضية والنعمة باقية " ( ١ )

وفي هذه القطعة استطاع الخوارزمي أن يبيّن مدى مقدرة واجادة فنّي التصرف والتعبير  
 عن المعنيين المتناقضين وفلفهما وحلّى اسلوبه بهذه الحلية الجميلة والمنعمة المتقنة . .  
 ولكنها تفقد الحافظة ، ولا غرو فهو لا يكتبها يمانيه . . وانما يكتب على لسان غيره . . ومن  
 هنا يمكن أن نقول بأن هذه الرسائل الاخوانية هي شقيقة الرسائل الديوانية فهي لا تخلو  
 من الصفة الرسمية فكما يأخذ الوزير والحاكم شخصا يكتبه الرسائل الرسمية التي تصدر  
 عنه كذلك كان يستعين بكبار الكتاب ل يكتبوا له في هذه الاغراض التي قد لا يستطيع  
 أن يعبر عنها التعبير الجيد ، خاصة اذا كانت هذه الرسالة سوف ترفع الى مقام الملك .

٥٥

### المنصب

هذا الفرع استغرق جل رسائل الخوارزمي وهو غالبا لا يعاتب الا أهـل  
 المناصب الكبيرة من وزراء وولاة وقضاة وأصحاب الجيوش . . ويمكن أن نقول ان أكثر مكاتباته

لهؤلاء هي مكاتبات يقصد بها التوصل الى هدفه وهدهد الخوارزمي ينحصر في أمرين :  
النوال . . والمركز والجاه . . ونلاحظ أنه في رسائله الى هؤلاء الشخصيات المهمة والمعروفة  
يشكو عدم رد هم على مكاتباته . . فرغم منزلته الادبية وشهرته فإنه لا يلقى من هؤلاء تجاوبا . .  
ولعلهم أحسوا من خلال رسائله أغراضه . . فتباطؤوا في الرد عليه . . على أن الدتساب  
انما يحلو ويحذب في مجال النشر ولهذا أجاد فيه الخوارزمي وأكثر . .

كتب الى وزير قابوس بن ووشمكير :

" وكل ولاية لا بد يوما مغيرة الصديق على الصديق

قد كنت أنتظر مصداق هذا البيت من سيدى حتى حقق الله تعالى ظنى ، ولو أكذب به كسان  
أحبالي وأوقع لدي فسيحان من جمال حصتى من وفا ، الأخوان مبخوسة ، وتجارتي فيمسا  
أعلمهم به ويحاملوني موكوسة<sup>(١)</sup> فان كان سيدى عي هذا الجفا ، أخوانه فخلطنى بهم وجملنى  
واحد منهم لقد أخلف ثقتى بانفرادى عن صحبه ، وأخلف ظنى بناحيتى من قلبه ، وكنت  
أحسب انهم يفضّلون المقة كما خصصته من بينهم بفضل الثقة ، وان كان وصلهم  
وقطعنى د ونهم لقد عكس حكم الرجاء وغرس الجفا ، فنبت الوفا ، وأساء الترتيب بسين  
الأصدقاء ، وما أدري له فى واحد من الفضلين عذرا وان كان أحدهما أشل وزرا وأسروا  
برا وأقبح ذكرا ، قد كنت طويت بيد اليأس بساط المتاب وأغلقت باب المراجعة ونجست  
مفتاح الباب ثم استظهرت بهذا الاحرف ، وشرد من سيدى على أن عن المتابصا ، وعين  
عن الوفا ، عميا ، ونفس تهضر الوفا ، كما يضر الناس الاعداء ، وتمشق الجفا ، كما يمشى  
الرجل المرأة الحسناء ويشتهيه كما يشتهى الثمان الماء ، وانتظارى الجواب عنها أكذوبة  
من أكاذيب الامانى ، وأغلوطة من أغاليط زمانى ، ومناقضة لحكم القياس وارجاف مسن  
أراجيف الوسواس ، ولتنبها سخرة من سخر الفراغ تكلفتها ، وحاجة فى نفسى قضيتهم . . .<sup>(٢)</sup>

(١) موكوسة : بمعنى خاسرة .

(٢) رسائل الخوارزمي ص ١١ و ١٢

وهذه الرسائل دليل على ما قلت ذلك أن أغلب رسائله وخاصة في المعاتبة انمسا  
يرى بها لغيري المنفعة . . . والتمريض بنفسه . . . فرسالته لوزير قابوس هذه ليست أخوانيسة  
صرفة كما أنها ليست للصدقة وحدها . . . بل هو يريد أن يتوصل بالوزير للوالى ذلك  
أنه لا يصل للوالى إلا إذا قوى صلته بوزيره . . . وإذا وصل للوالى حصل على ما يريد مسمن  
أعطيات وهدايا . . . إذ هو الأديب المصقع . . . وتاجر النثر والنظم مما . . .

وأمر آخر يدل على اتجاه الخوارزمي هذا . . . هو أنه لا يكتب إلا الرؤساء والوزراء ومن  
في طبقتهم . . . فهل هو لم يصر هؤلاء حتى أصبحوا في هذه المراكز أم أنه لم يكتبهم قبل  
أن يصلوا إلى تلك المركز جريا على عادته أنه لا ينزل بأدبه ولا يمدح إلا خطيرا ؟ ولكن  
الكتاب أكثر ما يوجه للأصدقاء وليس شرطا أن يكون الصديق في مركز عال . . . أو أنه لا تجوز  
معرفته إلا إذا كان في هذا المركز . . .

وإذا لم يستجب له من يكتبه سلط عليه من ظلمه سهاما مسمومة ، فاما أن يجيبه  
على عتابه ويرضى بصداقته أو فليتحمل مثل هذا العتاب المر . . . ويظهر من رسالته هذه  
يأسه من مكاتبة الوزير ولذا لم يظهر حسرته الشديدة عليها خاصة بعد أن كرر رسائله  
إليه فلم يظفر بجواب . . . ومن هنا ظهر آخر ما في جمعته من السهام ليصفه بقلة الوفاء والجفاء

على أن هذه سنة من يتكسب بأدبه وهي سنة اتبع فيها الكتاب طريق الشعراء  
فالخوارزمي اتخذ من الكتابة حرفة للكسب المادي ولعله ليس الوحيد في هذا . . . وأدباء هذا  
القرن لا يجدون في ذلك غضاضة فهو يصيح بطلب النوال في قوله : " انما لسان الشاعر  
روضه لا تسلف الزهر حتى تسلف المطر ، ولا تضحك في وجه السماء إلا بعد أن تستوفى  
حقها من النداء " ( ١ )

ويقول في موضع آخر : " وأحياناً أرف ابكار المعاني الى من يفتقر أبكار



المعالى ، وأن أغرب في الثناء لمن يغرب في السناء ، وأن أزهج الشيخ من صنعة لسانه كرائم لا تجتليها إلا عيناه ولا تطمئنها إلا يداه " (٢)

أ وقوله : " فكتمت هذه الأحرف أصل حبل حبلى بحبله ، وأعز نفسي لفضله وأنسا أخرج إلى الأمير من عمدة هذه السلعة وأشهد أني وسط في هذه الصنعة " (٢) أو - يقول : " كيف يصون الأدب مغرم ولم يؤد عند إلى المؤدب درهم ؟ " (٣)

وهناك نموذج آخر من عتاب الخوارزمي أقرب للمهجة منه للمتاب :

كتب إلي عامل يريد الأهواز : " كنت ظننت بك يا أخي غنا قد به فعلك ، وضعف هجرتك ، ووصلتك . فأنك تعمل فيهما على قياس واجب ولا تبصر منهما على طعام واحد . فلا جرم ، لقد رجعت في ودي لك وما كنت أرجح في هبة ، وندمت على ثقتي بك وعمدي بي لا أند على حسنة وهذا أيدى الله تعالى - رزقي من كل من أصفيه حبي ووضعت في يديه قلبي . فانا أبدا بين صديق أشكوه . . . وقد كنت أشكوه . . . وأعد له وقد كنت أعد له ، وأرتجى قلبي منه كرها ، وقد سلمته إليه طوعا حتى لقد اشتغل قلبي بخوفه لا صدقاء عن خوفه لا أعداء ، واشتغل شعري بالعتاب عن المديح والهجاء ، وحتى لقد صرت أعبد سوء الظن حزما وأرى المساهلة غنا ، وأحسب المكافأة على القبيح عدلا ، ومما شدة النسياس بالفسق عقلا وان كان هذا ليس جميلا فانا فيه تلميذ أصدقائي ، وهم في الحمد عليه شركائي " (٤)

وهي شكاية من الأصدقاء كثيرا ما تتردد في عتاب الخوارزمي . على أني أخشع عليه طريقته هذه في عتاب أهل المناصب والمراكز حتى ولو كانوا أصدقاء . . . فهو وإن أحسن في الانشاء إلا أنه من العتاب متهاك في التقرب إلى هؤلاء . . . ولو كان عتابه ألين وحرصه على مكاتبتهم أخف لكان أجمل وأحرى أن يحظى برؤسهم . فليس بحد هذا العتاب

(٢) نفس المصدر ص ٦٧

(١) المصدر السابق ص ٣٩

(٣) نفس المصدر ص ٧٤ وهكذا في الكتاب " درهم "

(٤) رسائل الخوارزمي ص ٨٦

المر مصافاة الا أن تكون هذه طريقة أهل عصره في التودد الى بعضهم (١) ؟

ومثل هذه الرسائل تعدلينا تفسيراً لكثرة تقلب الخوارزمي . وذمه لروءسا زمانه . .  
وعذره في ذلك . . أنهم هم الذين علموه سوء الظن بالاصدقاء والخوف منهم أكثر من الاعداء .  
. . كما تعلم منهم الفخر في المعاملة والمكافاة على القبيح . .

ومن عتابه اللطيف رسالة بعث بها الى أبي الحسن الحكيم يقول فيها " خرج الشيخ  
منها هنا على حالة ان كان الذنب فيها له فقد غفرت وعذرت ، وان كان لي فقد استغفرت  
واستعذرت ، والدهر يوزع بافساد الاحوال ، وتكدير ما الوصال ، وقطع قرائن الرجس ل  
ثم يعود العاقل منهم لما يرفو به الخرق ويرتقى به الفتن فيقبل الزلة ويراجع النوصلة وينشد :  
اذا نزعنا الحب أورثنا بيننا عتابا تراجمنا وعاد التعاطف (١)  
فأما الجاهل فانه اذا هجر لم يبق في القوس منزعا ولم يترك الصلح موصدا والحمد لله  
الذي وفقني في اثناء هذه الحال حتى كبحت فرس المراماة وغمدت سيف الشكوى واللامة  
وأبقيت الحال في صوانها ، ولم أتعذر منها حكمة زمانها . . هجرت هجر متارك كريسم  
المقاطعة ، ووصلت وصل مراجع حميد المراجعة لتكون الاولى بذرة مغفورة ، والثانية  
كفارة مشكورة ، والمعتبي عروس ليس لها غير الصلح . صهر ، والاعتذار سعى ما لمغير القبول  
أجره وقد كتبت عن عرس الشيخ بنانا حديد المخالب ، وفللت عن جانبته سيفاً موهب  
المضارب ، وانما سلطان الغضب ساعة تورث ندامة الابد ، ويوم يثمر حياء الفد الا من أعين  
بالعصمة وأطاع داعيه العقل والحكمة والسلام " (٢)

وهذه الرسالة فيها الحكمة والمثل كما حلالها الخوارزمي بالاستعارات والشمس  
وهي أخف من رسائله الاولى في بابها ولولا تهديده الشيخ في آخرها لكان هذا هو

(١) في الرسائل السوالمف ولكن الفصل مسند الى ذكر فرد .

(٢) رسائل الخوارزمي ص ١٤ و ١٥

الكتاب الذى يسكن النافر ويصلح النفوس المريضة . ويحسن بنا بعد هذا أن نقرا . .  
فلسفة الكتاب عند الخوارزمي لنقتطع على فهمه له ونعرفه مقامه من وراءه .

” . . على أنى ما أجهل منفعة الكتاب ولا أنكر مراقبه بين الاصحاب ، ولا أشك  
فى أنه يطرى على الود ، ويجلو غيرة العهد ، ويدوى أدواء القلوب ، ويترجم عن جنبات  
الغيب ، وأنه الا نموذج بين الاولياء والاعداء ، والجسرين المدح والهجاء ، والمصلح  
للمشيرة الفاسدة . . ولهذا اشتقت لفظة الصبى - وهى الرجوع الى الرضا - ولكن اذا كان  
مصدره عن شكاية ومنهم عن جنابة ، ووضع عن فترة فى الود عرضت ، أو غلظة فى الانصاف  
حدثت . . جمع الشمل وجدد الوصل وصقل ما صدئ من العشرة وأزال ما وقع من الفترة . . واذا  
كان مصدره عن تجرم كان مفتاحها لباب العريضة ومكذرا لصفو المودة وترجمانا عن لسان  
القطيعة وانما هو دواء اذا لم يصادف داء استحال داء ، واذا صادف كان شفاء ” ( ١ )

وهو تفسير جيد للكتاب ومعرفته من الخوارزمي لخبايا النفوس تدل على خبرة وتجارب  
عديدة . . ولا يمان الخوارزمي بما للكتاب من أهمية لجمع شمل الاصدقاء وصقل ما صدئ  
من النفوس أكثر منه . . ولكنه يخرجهم أحيانا الى النوح الثانى الذى ذكره - وهو ما كان مصدره  
عن تجرم . ( ٢ )

( ١ ) رسائل الخوارزمي ص ١٠٧

( ٢ ) انظر بقية الامثلة من الرسالة ص ٣٤ ، ٢٩ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، وغيرها .

## اللوم والشماتة

ومع أن هذا الضرر لا يحسن بأهل القلوب الكبيرة والاختلاف المالية فإن الولاة ، ،  
احتاجوا إليه ليردوا به خارجا عليهم أو يثبطوا بمعزم عدولهم وقع في شر أعماله ، ليهبطوا  
في نفسه الهمة والعزيمة . . . والغواصين انما يكتب في هذا الباب على لسان الامراء  
أو الطولك والحكام . على أنه اذا جرد قلمه في هذا الضرر عرف كيف يشمن ويوجع ، فوذلك  
انه يكتب في مواقف يحرفها جيدا اما في شخص كان منيحة لاحد الوزراء فكفر النعمة أو ففسى  
وال عزل لسوء ادارته أو لخارج عن الطاعة . . . فالموقف الاول لعلمه مر به هو أو غيبه  
من ادبائه . . . والموقف الثاني يعتبر فرصة له لينال من أولئك الولاة الذين ساروا ففسى  
البلاد سيرة غير منمجة .

كتب الى ابي اسحاق . . بعد أن نكحه الوزير صاحب رسالة طويلة وهو امر  
ان يكون كتبها بطلب من الوفير أو كتبها . . من نفسه ليرضى بها الوزير ويكسب وده . . . .  
.. لا خلصك الله مما أنت فيه من جناب فقيرك عليك حتى يخلصك مما كنت فيه من اساءة نفسك  
اليك . . فان نفسك اعظم خصميك وان كانت اصغرهما لديك . . وقد مثلت ايدى الله بـسـسين  
ان احرق لك كلامى وافوق نحوك سـمـامى . . واقضى بذ لك حـمـمـتـك واخرج من عهد ما يلزمنى  
فى هـدـايتـك . . وبين ان يلين مسـقـولـى لـتـفـتـقـى فى نفسى حاجة من نصيحتك . . فرأيت  
الاولى على اوجب والى الصواب اقرب . . وانا أقول :

أخوه الذي ان اجرضك ملعة من الدهر لم يبرج لها الدهر واجملا (١)

ولا أقول وليس أخوك بماذا وإنما تشعبت عليك أمور ظن يلحاك لا ثمرة لها

أنت أيدك الله تعلم أنت كنت من الذين في مكان يتخطاه الناظر ويدرك الخسوف

(1) الجرس : الفصص : جرس بريقه غنى به فمضى أجرتك : جملة تفص بريقك

من هولها ١٠ انظر اساس البلاغة ص ٩٠ مادة ( جرس )

والحافر، لا شرفك نسب ، ولا يرفعك أدب ، ولا يرفعك صد يقك ولا يخافك عدوك وعن  
يمينك الخمول ، وعن يسارك الذبول . . تصبح في قل وتسمى في ذل . . فأ نصفك الدهر  
الظالم وانتبه لك البخت النائم وأراد الله تعالى أن يرفع من حكمتك ، ويقوم من حدبتك  
فينظر كيف تعملون . . فا اتصلت من ولي نعمتك برجل لواتصل به الا اذ بارلتقدم الاقبال  
ولو خد مه النقص لفضل الكمال . . فما هو الا أن نسبت اليه وحسبت في آثار يديه عتي  
قاتلت الايام بسلاحه وطرت الى المعنى والطالب بجناحه . . حتى زارك قوم لوزرتهم فيما  
قبل لطلال وقوفك بين الدار والباب . . وخدمك أناس ما منهم أحد الا وقد لا حظتـه  
بمعين هائب ، ونقلت اليه قدم راغب أو راهب . . هذا الى استسلامه لك من الردى  
بيد الهدى واخرجه اياك من ظلمة العمى والتقليد الى نور العدل والتوحيد .

فلما جازيت النعمة بالكفران ، ونسيت " هل جزاء الا حسان الا الا حسان " نظرت  
الايام اليك شزرا ويد لتلك باليسر عسرا فأصبحت تلك البوارق وهي صواعق ، واستحالت  
تلك المواهب وهي مصائب وتقاضاك د هرك ما أسلف . . والد هر غريم لا يماطل اذا اقتضى  
وحاكم لا يراجع اذا قضى ، فيها أنت قد ذمك حامدك ورحمك حاسدك فأنت الآن عليل  
د واؤه التوبة وجريح شفاؤه الرجسة والفيئة . . يا ايها الرجل وكلكم ذ لك الرجل كم  
تهتكون حجب الصوارف بيد الكفران وكم تصافحون النعم بالبغي والمد وأن<sup>(١)</sup> وهي  
رسالة طويلة اجتزأت منها . . والخوارزمي أقل شماتة فيها بالرجل . . فهو مرة ينصح  
ومرة يلوم ويشمت ولا أظن هذا المنكوب من صاحب يستفيد من هذه الرسالة سوى  
التبكيك واستشعار الندم . . ولا أظنه بعد هذا كله تحدثه نفسه بالعودة الى صاحب  
والرسالة من الناحية الفنية جيدة . . فقد أصابت غرضها ولا مزيد عليها . . ويظهر أن  
الخوارزمي كتبها في أول عهده بالمصاحب وقبل أن تتغير نفسه عليه . . وفيها دليل على  
طال أولئك الوزراء من د ور في حياة الناس وكيف أنهم يرفعون من رضا عنه حتى يصل المعنى  
ويضمون من غضبوا عليه حتى تزدر به الأعين .



ولا أدري السبب الذي جعل الخوارزمي يسبجهم غشبه ويطنع الرجل هـــــ  
الطعنات المسمومة وهو في حالة المستغيث اللهبان وهو موقف لا ترشاه شيم النبــــ  
ولا تبرره عدوته ان كان عدوا له ، فبالشهادة والمروءة تقضى بأن يغيث الحد وعدوه في مثل  
هذه المواقف . وأظن ان هذا الكاتب أساء السيرة وكانت له مواقف من الخوارزمي غير وديسة  
ولهذا تحين هذه الفرصة لينتقم منه .

ولا ننسى أنه كتب الرسالة ارضاء لركن الدولة الذي عزل حتى يشمره أنه عمل ما هو  
واجب .

والرسالة الجيدة كتبها الخوارزمي ونفسه تغلي كرها وحقدا وشماته فمصرف كـيـسـف  
يكتب ويستثير كوامن النفس ، ويجعل الرجل يتألم من كلامه أكثر مما تألم من عزله . ( ١ )

هــ

### مواصلة المنكوبين

وكما كان الخوارزمي يعرف كيف يكبت ويخرج ويغرق فهو عبقري بحر من الحـسـن  
والكآبة كذلك فان يعرف كيف يواسي ويرجع الى النفس هدوها . بترهيد من يكتب له  
فيما فات وتأمله فيما بقى .

كتب الى وزير خوارزم شاه لما نكب / وكان خريجه :

" أصبحت - أيد الله الشيخ - وأمسيت شهبان من كل بغية ، ريان مـسـن  
كل مراد ومنى ، غير انقشاع هذه الضيابة ، وانجلاء هذه السحابة ، انى - والله ظمـسـان  
الى خبر يد بل فرحو على غنى ، وسهزم بسرورى عساكر هـى ، فما اسخ خبر السوء حتى كأنه  
يخب ، وما أبطل خبر السرور حتى كأنه يد ، وما أوج الد هـر بهدم ركن الفضل ، وثـلـمـ

جانب العقل ٥ وما اسبح الايام الى الكريم فيما يضره والى اللئيم فيما يسره ٥٥ على انى ارجو  
أن يكون فى هذه المحنة من المصالح ما يضمن مسلكه ويخفى مذهبه ٥٥

ومما سرتنى فى الشيخ أن المحنة لم تثلب جوانب جلالاته ٥ وأن طول مدة الذللة  
والقلسة لم يمتصر ما احتمالته وصنفته ٥ وأن الوحدة والوحشة لم تقدها فى لسانه وقلبه ٥  
ولم ينلها أثرهما على صفحات ثباته وعزمه ٥ وأنه لم تصغر - على طول الزمان - نفسه ٥  
ولم يزل على أكف أعدائه ٥٥ حتى انجلت (١) عنه غيرة العواقب والعرض نقى والقلب  
بالله تعالى قوى والفعل " بحمد الله " مرضى ٥ والنفس تلك النفس الا ما نفس من مساله  
وتضعف من حال ٥ والى ملة تلك الجملة لا الرخاء أكسبها بطرا ولا البلاء أورثها غجرا ٥٥٥  
والايام مرآة الرجال والاطوار معيار النفس فيهم والكمال ٥ والمثوة بعمد الدولة تخرج  
خبث الاخلاق ٥ وتكشف عن مقادير الاحوال والاعراض ٥٥٥ " (٢)

ورغم اختصارى للرسالة فإني فى هذا ما يثبت النفس المضطربة ويطمئن القلب المفجوع  
اذ هى رسالة من انسان خبير بحال النفس الحزينة ٥ ومدواة القلوب الجريحة ٥  
ففى مقدمتها شكوى من هذا الزمان الذى يوازر اللثام ويتنكر للكرام ٥٥ ليشره أن مصائب  
الزمان شركة بين ابناءه ٥ وانها لا تصيب الا الفضلاء منهم ٥ وهى شكوى من الخوارزمسى  
تستشف من ورائها عدم رضاه عن الأوضاع السياسية والاجتماعية التى تسود مجتمعه وان لاسم  
يصرح بدم أحد ٥

وكانه يحاول أن يقول لتلميذ مبانه ليس وحده الذى أصيب بهذه المأساة فيشكسو  
جور الدهر عليه بل كلهم ذلت الرجل ٥٥ ثم يهود ليشرحهم ويثبتهم ويقول له إنه لا زال بخير  
ما دام الصبر موصونا ٥٥ وأن الرزية اذا اقتضت على المال وتغير الاحوال فهى هيئة ٥٥ ويستدح  
فيه صبره وجلده وان الحوادث لم تغيره ٥ فلم يخطر فى حال الرخاء كما أنه لم يضعف فى  
حال الشدة والبلاء ٥ ولم يرف فيها الصدق وحرارة الماطفة فهو يكتب لتلميذه ٥٥ ويكتب



الى كاتبه خوارزم شاه :

" ورد كتابك ، ولست أقول : غنى وأصمنى ، بل أقول : أعماني وأصمنى تذكر  
انك امتحنت وأنت برى ، ونكبت وأنت محسن لأمسى ، وأى ذنب أعظم من أن تشكرك  
بالفضل أهل التقى ؟ وأى جرم أشنع من أن تنزل بالفهم يما بين طبقات أهل الجهل ، وما  
للطائر الكبير والقفص الصغير ؟ وما بال الدرة اليتيمة ترعى بالصدفة اللثيمة ؟

وانما الادب جناح فهم طرت بهما الوكر الصغير الى الوكر الكبير ؟ وهلا اذ كلمت  
آلتك انتجمت بها مكانا تكمل فيه حالك ، وما نزلت بك هذه النازلة الا ليقلمك بها السحرة  
من يد النحس . من تلك البقعة الناقصة أهلا ، البنية جهلا ، قابشر ولا تقهر الله تعالى  
فى مصالح خلقه ، ولا تقنط من رزقه فانما يرتاب المبتلون ، ولا يئس من روح الله الا القوم  
الكافرون ، وإياك أن تشل هذه الحادثة غريك أو تكسر حدك أو تضرخ خدك ، أو تثلم ، ركبتك  
أوتسى ، بالله تعالى ظنك ، فانما كانت ساعة أحرقت ثوبك ، وصمت بضعك وسلم الله - ولله  
الحمد - منها روح ، ومكان فيم السانك وقلبك ، ووراءك الدهر الوبيل وخلقك صنع الله  
الجميل ، ووعده بجميل صنعه كفيلا . وقد خرجت الى الدهر من نوبة الصبر فهو غريمك  
الان فى اليسر ، واذا رأيت جلالك على وقع سهامه ، وصلاتك على تصرف أيامه ، جساءك  
معدن را ، وهربا اليك مستترا ، وآسى باليمنى ملجأ باليسرى . فانظر الفج فانه منتظر ،  
واصبر فان الدهر لا يصبر " . ( ١ )

وهذه القطعة أقوى فى بلاغها من سابقتها ، وهذا الكاتب وان لم يكن تلميذا  
الا أنه تجمعه به حرفة الادب التى غار عليها الخوارزمى غيرته على الحريم . وفيها مسن  
التبثيت والتطمين مالا يخفى . فقد وقعت على كبد هذا الكاتب المنكوب . وقوع الحافية  
فى البدن . وهونت عليه مصيبتة ، وقوت عزيمته ، وهو الضرع الذى يسمى اليه الكاتب من  
وراء رسالته " ( ٢ )

( ١ ) رسائل الخوارزمى ص ١٢٣ - ١٢٤

( ٢ ) انظر باقى الامثلة على هذا الضرع ص ١٦ ، ٢٢ . . .

### الفخري

لم يكن الخواص - رغم عادات مجتمعه وثقاليد - خاضعا مستكيناً • لا يشعر بقيمة أدبه ولا يحس بحزة نفسه • فقد كان في مقتبل حياته الادبية لا يرى أن أحدا يساميه مكانة ولا منزلة • ان لم يترجم ذلك بالمقال فحالو واعماله تدلان عليه • ورغم ما تعرض لسه من اهانات وصدامات • وما حفلت به حياته من عداوات • فإنه لم يفقد كل ثقته بنفسه • وان ضمضت منه الحوادث • واحوجته الحياة وحرفة الادب الى تزلف الوزراء والامراء • وهذه نماذج من نشره الذي يرينا فيه ما تتصف به نفسه من عزة وسوء ومافيه من صلابة ورجولة •

كتاب الى أبي علي البلخي لما فارق حضرته في بخارى :

" وفقدت كل شيء • ملكته غير عرضي الذي عهد به الشيخ مصى وصبري الذي عرفه مسني ومن لم يكن على المحنة صبورا لم يوجد للنعمه شكورا • ومن لم يحقر سوء ما يبلى لم يحمد حسن ما يبلى •

أنكر الشيخ عزوف نفسه عن مواقف الهذلة • وصمومة جانبى على من جرنى الى مظنة الهوان والذلة • والادب سلطان ينمى هيئة السلطان ولطول العشرة دالة تقيم الملبوك مقام النظراء والاخوان • • • • • قد علم الشيخ أنى مذكت لم يسم خدى عذار الهوان • ولم يوضع على رقبتى نير التهنيل والامتهان • ولم تطرق الايام حريم عرضي فتتهسكه • ولا نالست ستر صيانتى فتتهسكه • ولا ما وجهى فتسفه • ولقد اخترقت البدو والحضر • ودخلت ديار ربيعة ومصر فما رأيتنى (بحمد الله تعالى) أو خرج عن رتبته • ولا أخلف عن الغايه فى موطنى رغبة أو رهبة • ومضى اذ ذاك سكر الشباب • وذل الاغتراب • والقوم قد باينوني بالنسبة • وفارقوني بالقرية • • • وان عرضا صنته فغير مظنة الصيانة لجدير الا أهينه فى غير موضعه • • • • • الاعانة فقد يتنزل الشاب ويقول : أتميمون اذا شئت ومتهن الخريب ويقول : أتمسز اذا أبت • فما عذر من يحتفل بالذل وقد رجع الى الوطن من القرية • وخرج من حد الشبيبة الى الشبيبة ؟ وهل وراء الغاية منزلة ؟ أم هل بعد الشيب الى الموت مرحلة ؟ (١) (=)

وهذا جزء من رسالة بعث بها الخوارزمي الى أبي علي البلخي بعد أن فارق حضرته  
مفاجئاً وهي رد على طلب من البلخي يستدعيه الى بخارى ومنها يتضح لنا سبب  
خلاف الخوارزمي ليس مع البلخي وحده بل مع جميع حكام وولاة عصره . فلا يكاد يستشير  
عند حاكم حتى يفارقه حتى وصفه المؤرخون بقلة الوفاء وكثرة التقلب . .

وهو هنا كأنه يريد عليهم . . ويبين لهم أن هؤلاء الوزراء والولاة يطلبون من نفسه  
أن يخضع ويذل لهم . . وهو يرفى أن يكون كذلك ذلك أنه أدب . . ولأنه يب منزلته تنسب  
هيبة السلطان وله من الفضل والعلم ما يربأ به عن مواقف الهوان . . فهو في رسالته هذه  
يخيب ظن الوزير البلخي في استجابته لطلبه والعودة لحضرته ضمناً بصره وخفاً على عزة  
نفسه .

كما منحرف من رسالته هذه كثرة أسفاره وأنه عاش في البدو وفي الصحراء وتنقل بينهم  
. . كما تكشف عن اخلاق وزراء زمانه وامتهانهم للادب . . ومما ملتهم معاملته لا تليق  
بهم من نظر اليهم باستعلاء وعدم تقديرهم لهم ومواهبهم . فتمذراً أدبياً . .  
إذا استسلموا أدبهم في شتمهم والتكبر لمن عرفوا منهم وهذه رسالة أخرى تشبه سابقتها  
ولكنها هذه المرة موجهة الى خليفة صاحب بن عباد يقول فيها : " فهمت ما ذكره الشيخ  
أنى لو اقتضت على خدمة الأمير وعلى منادى الوزير لمالت الصروف عن جانبي ناكسة  
وولت الخطوب عن هاربة . . ولو لم انتجع غير نيسابور بلداً ولا غير من بها أحد العشت  
مبهم عيشة رغداً . .

وجواب الشيخ تحت قول الاول :

فبالخير لا بالشر فاطلب مودتي وأفتى ( يعتاد )<sup>(١)</sup> منه الترهيب

مثلى - أيد الله تعالى الشيخ - لا يحمل علواً لخدمة بالتقريع والتشريب . ولا بالتهدد  
والترهيب . ولا تحتلب أخلاف مودته بالاذلال . . . ولا يدرك مصون ما عنده بالاحتان  
والابتذال - وإنما يجب . . . مثلى

( ٢ ) في الرسائل يقتال : بدل يعتاد .

( ١ ) رسائل الخوارزمي ص ١٩

بالرغبة ، ويقيد ، يقيد من الذهب والفضة ، ويرضى منه بالحياة ، والوفاء ، قليلين ، وبالشكر ،  
والتذم ، ضمينين ، وإنما الحر زجاج رقيق ثمين ، إذا رفق به ، واستعمل في موضع مثله  
زين المجال ، وامتج المجالس . . . وإذا خرق به ، انكسر فقير الكاسر ، واتعب الجابر ،  
وفم السامع ، والناظر ، وكان ينبغي لأصحابنا أن يقتنصوني بحباله الاحسان والسهر ،  
ويرتبطوني بحبال الحفاظ والشكر ، ويصلبوني ان البازي المتيق لا يصبر على الاضاعة ،  
ولا يقيم في بيت المجاعة ، ومن اسطنح اليوم شكر غدا " ومن وجد الاحسان قيда تقيدا "

( ١ ) وان مقامى حيث خيمت معنفة \* تدل على فهم الكرام الأجاود  
ان رسالة الخوارزمي هذه تنبهر عن شعوره بعزته واحساسه بمكانته . وقد  
رسم للوزراء والامراء الطريقة التي يمكن ان يستفيدوا بها منه ، ان انه رجل شريف  
عالي الهمة لا يرضى بالهوان ولا يخدم الامراء تحت التقرع والتهديد . . . فاذا كانوا  
يرغبون في أدبه فلا يأمرون فيه بالادلال والامتهان ولكن ليطلبوه بالوفاء والتكريم  
واعطائه ما يستحقه من المعاملة الحسنة ويشعروه انه يستحق الاحرام . وعند ذلك يجد  
الاديب انه ملزم بان يجازى من أحسن اليه فيعطفه الحياء ويغضبه الوفاء أن يرد  
الجميل ويشكر النعمة ، وهل عند الاديب شيء يرد به الجميل سوى قريحته وأبيات  
بيانه . . . يخلع بها على ممدوحه ثيابا قشيه ويمطر ذكره في الملأ .

وهو يفل الاديب بما يقتنيه الوزير من الانية الزجاجية الجميلة الغالية ، ان حافظ  
عليها ووضعها موضعها اللائق بها أسرته وكانت جمالا يزين المحل ويسر الناظر ،  
وان عثت بها وكسرها جرحته وصعب على الجابر اعادتها وساءت كل من نظر اليها  
وهو تمثيل جميل فيه ايحاء وتهديد يترجمه بببيت الشعر الذي تمثل به . فالاديب

أما أن يكرم فيشكر .. وهذا يدل على كرم ونبالة المكرم لو يهان ويهمل ، فيسخط  
وإذا سخط عرف كيف يثلب ويهجو ..

وهذا فهم أبي بكر لرسالة الأديب في عصره .. ولأنخالفه أن الأديب ممن  
يكرم ويشجع ويصرف فضله ولا يجحد .

ولكننا لا نوافق على أن مهمة الأديب تقف عند مدح من يكرمه وثلب من يهينه  
أو لا يكرمه .. فهمممة أكبر من هذا بكثير .

فهو ليس ملكاً لمن يدفع أكثر ولكنه ملك لأمته .. ينتسب لها من أبداعها ويؤذيها  
ويصيح بأسلوه ما يهذب أخلاقها ويلهمها المعاني السامية الرفيعة ويقوم ما أوجب من  
سلوكها ويدافع عن مبادئها .. على أنه يحبنا من أبي بكر الخوارزمي عزة نفسه  
هذه التي يظهرها في رسائله وترفعه عن منازل الدلة والهوان .. في وقت لا يستطيع  
كل أديب أن يتحلى بهذا ، فوزراء ذلك الزمان لا يترفع عن خدمتهم ، أو يأنف من  
مجاورتهم ومداراتهم ، عالم أو أديب . إلا من لزم بيته واستغنى عما في أيديهم .

وما يدل على استقامة خلق الخوارزمي ورفضه للتذلل ومواقف الضعة ما قاله  
لصاحب ديوان الحضرة حينما طوبل بالخراج : ( وما أيسر دواء هذا لوطاً وحتى نفسى  
الخاصية وتباحثنى رجلى الابية فدخلت الديوان ، وصانعت الزمانى وفتحت جـراً  
النفاق والرياء ، وأفلقت باب الحفاظ والوفاء )<sup>(١)</sup> . ومن بالغته في فخره بنفسه قوله  
( على أنى ، حيثما كنت ، تاج على خوارزم معقود ، وشرف لها معدود ، ومشهد فيمـ  
مشهود ومقام من مقاماتها محمود ، وكل من رأى مدح بلدا كنت من أهله وفدا والدا أنا  
من نسله )<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) رسائل الخوارزمي ص ١٠٩

( ٢ ) نفس المصدر ص ١١٠ وانظر بقية الأمثلة ٢٩٦٨ ٢٥٧٦ ٦٠٦١ ٧٥٦١

الوصف : وهو غرض من أغراض الشعر كما نعلم قصده كتاب القرن الرابع الهجري وقد جود فيه الخوارزمي وأفرغ فيه فنه ، كتب يصف قصيدة لأحد تلاميذه .. وهو وصف لا يمكن أن نحمده نقدا .. لأن غرضه في هذا الوصف اطراء القصيدة واطهار فنه البديعي والبياني فيه . يقول : " وصلت القصيدة الفراء الزهراء فكانت أرق من الهوا ، وألذ من الصهبا ، وأسر من اللقاء بين الأحبا ومن هجوم السراء غب الفراء ، وأعذب من مفازلسة النساء ، ومن مجالسة الندم ، ومن مساعدة القضاء ... ومن استماع فوائد الحكماء ، وخطب البلغاء ، وقلائد الشعراء ، ومن أخذ جوائز الأمراء وتحصيل مراتب الخلفاء ، فكانت معانيها أبدع من الوفا ، وأعز من السخا ، وأقرب من النصفة في الأصدقاء ، وألظا من أحسن من البدر في الظلمات وأطيب من وصال الحسناء ... وفتحها عن وشى الوشاة وعن الروضة الفناء . لابل نشرتها عن الزهرة الزهراء ، وعن الفرة الفراء ... ورأيتك نطقت بها وعن يمينك التأيد ، وعن يسارك التسديد ، ومن ورائك الجد / السعيد .. " ( ١ )

وهو كما نرى وصف معنوي ، أظهر لنا فيه الخوارزمي مقدرة على التزام روى واحد لكل سجع هو حرف الهمزة ، مما أضعف روعة الرسالة وأخفى عاطفته فيها .. وفيها كثير من التشبهات الدالة على كثرة تحصيله وسعة ثقافته . وقال يصف مسجدا :

" أحق الأماكن بأن يمان ولا يهان ، وأولاها بأن ينحى عن مدرجة الاختلال ويرفع عن أن تتناول يد الابتدال ، مكان بني ليجمع شمل التعبد ، ويضم نشر التهجد ، وترفع منه الحوائج الى من لا يضجر من السؤل ،

ولا يتبرم بكثرة السؤال ، وهو الكبير المتعال ، فان صيانة هذا المكان صيانة الدين ، بل صيانة الاسلام والمسلمين ، وكبت الكفر والكافرين ، وما ظنك بموضع هو بيت من بيوت الله ، ومنشأة لقراءة وحي الله ، تصف فيه الأقسام بين يدي الله ، يتميز فيه أولياء الله من أعداء الله ، وهو من بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، وهو مسكن من مساكن الأبرار ، ومجلس من مجالس الأخيار ، وحصن من حصون المسلمين على الكفار ، وجسر بين الجنة والنار ، ليعوله عبادة والمقام به سعادة ، والاعتكاف فيه سنة مستحسنة ، لا يخترقه كافر ، ولا يقربه إلا طاهر ، من عمره عمر طريق الآخرة ، ومن بناه بنى له بيت في الجنة <sup>(١)</sup> . . . وهذه القطعة كآتها خطبة منبرية نرى فيها الخوارزمي يحث على بناء المساجد وتعمدها وصيانتها . كما يبين لنا مكانة المسجد عند المسلمين . . . وهو شعور طيب منه في خضم الرغائب الدنيوية التي غرقوا فيها في ذلك الوقت .

ويصف بستانا له فيخلط الجد بالهزل حتى يدعنا نتساءل أهو حقيقة يصف بستانا أم أنه خيال شاعر يتصور الأشياء التي لا وجود لها؟ . يقول الخوارزمي " البستان قد وعدتني ، ياسيدي اقامة وظيفته بالشجر والنور والزهر ، وأنت ياسيدي بالانجاز قمين ، ووفائك به ضمين ، وذلك المكان مرتفع ناظري ومتنفس خاطري ومجال بصري ، ومدار فكري ، ومنهلي اذا شريت وسدثي اذا خلوت ، ومسلاتي اذا غمت ، وشمامتي اذا اشتمت ، وما ظنك بمكان ليست فيه زاوية الا وقد صب على فيها كأس . بل طاس وشرب عليها انسان بل أناس ، ونام في عافاتها وجه صبيح ، وتقلب في أطرافها قد مليح . . وكأني بك قد عرضت هذا الفصل على الناس فظنوا أنني أصف بستان الزاهر ، أودار ابن طاهر ، أو أذكر الجعفرية أو البركة المتوكلية ، أو أعني سغد خراسان ، أو شعب بـوان ، أو أنعت نهر الأبله ، أو منتزة الفوطه ، أو شعب أنطاكية . . ولا يعلمون أنني

انما أذكر بقعة طولها باع وعرضها ذراع ، أعنى باع البقعة وذراع الذرة ، وأقل من " لا " وأصغر من الجزء الذى لا يتجزأ ، لو طارت عليها ذبابة لخطمتها ، أو دخلتها نملة لسدتها ، تسقى بالمسقط صباحا ، وتنكث بالخلال مساء ، أشجارها مائة الا تسعة وتسعين ، وأنهارها خمسون الا تسعة وأربعين .. " (١)

وهو وصف الأديب الذى يحسن بالطبيعة وإن كان الخوارزمى يلجأ الى ذاكرته ليسرد علينا أشهر الأثمار والبقاع الخصبة فى العالم حين لا يستطيع الاستمرار فى الوصف . (٢)

### شكوى الزمان :

من يقرأ رسائل الخوارزمى يشمر بأنة الحزن التى تظهر فى أدبه ، فتارة يشكو سوء حظه وأخرى يشكو سوء سيرة رؤسائه عصره أو يذم أديباء الأدب ، وهذه نماذج قصيرة استنبطتها من خلال بعض رسائله .

" حيث انتهت بي المحنة بعد فراق الشيخ الى غاية لهم بينهم وبين الموت مجاز ، ولا وراءها للبلاء مجاز حتى لقد ركبت غير دابتي وأكلت غير نفقتى ، ونزلت بيتا بكرة ، وأكلت خبزا بشرا ، وليست الصوف فى المصيف والتسوى فى الخريف ، وكوتبت مواجهة ، وخطبت بالكاف مشافهة ، وجلست فى صف النمال أعنى أخريات الرجال ، وناظرنى من كان يدرس علي ، وغالفنى من كان يختلف اليّ ز وحتى لقد نشزت عليّ جاريتى وحرنت عليّ دابتي وتقدمنى فى المسير رفيقى الذى جمعنى وإياه طريقى ، وحتى أنى أخذت الدرهم الجيد

(١) رسائل الخوارزمى ٧ ، ٨ .

(٢) انظر باقى الأمثلة ص ٢٠ ، ٢٣ ، ٧٤ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٥ ، من الرسائل .



فصار في يدي ستوقفا ، وقطعت الثوب المشتري فصار على بدني مسروقا . . . (١)

أويقول في أهل زمانه : ولقد رأيت الاخوان غير شيوخى ، ومودتهم خلق يبيعونه ممن اشتراه ، ويمرضونه على كل من رآه مع أنه في زمان قد مرجحت فيه عهود الاخوان ، وأعطوا وأخذوا أموالهم بالميزان ، ومالوا مع الرجحان على النقصان ، ورضوا من القلب باللسان ومن الغيب بالعيان . . . (٢)

ويقول في أدباء زمانه : " فأما أدباء زماننا فتطرقوا بالأدب الى الجهل فحصدوا النقص من زرع الفضل . . لانعدام في كل زاوية منهم صغيرا يتكبر ، ولا قليلا يتكسر ، لا يفيد ممن دونه بخلا ولا يستفيد ممن فوقه جهلا ، ولو تعلم لحلم جهله ، ولو علم لحفظ عمله . . . " (٣)

وهي نظرات في الحياة والناس والأدباء الأذعيا تلتبس من خلال أدبهم ولا تحتاج الى شرح . . .

### الفرض العلمي ( الطب ) :

وهذا الفرض غريب على فن النشر . ولا ندري عما اذا كان سبق الخوارزمي اليه بجعله من المواضيع التي يمالجها النشر الفني أم أنه أول من ابتدعه ؟ فلمعاصره صاحب بن عباد محاولة في هذا الموضوع (٤) ، ويصعب تحديد الأول منهما لكونهما متعاصرين . وزكى مبارك يرجح أن الخوارزمي هو السابق (٥) .

(٢) نفس المصدر ص ٧٦  
(٤) أنظر اليتيمة ٢٠٥/٣ - ٢٠٦ .

(١) رسائل الخوارزمي ص ١٨  
(٣) نفس المصدر ص ٨٩  
(٥) أنظر النشر الفني ٢ / ٣٠٦ .

والطريف في هذا الغرض هو أنه من الأغراض العلمية البحتة التي استطاع كتاب القرن الرابع أن يطوعوها لنشرهم الأدبي ، وليسوها ثوب الجمال الفني وهذا يصطينا صورة واضحة تدلنا الى أى حد بلغ ولع هؤلاء الكتاب باستعمال أساليبهم الأدبية المصنوعة والمحالاة بالبديع . . قال في وصف الجرب وطريقة علاجه : " الجرب حكة مادتها ييبوسة ، وحرارة ، ووقود ، والتهاب زنداهما الذى يقتبسان منه طعام وشراب ، وفضلة قدفتها الطبيعة الى ظاهر البدن ، ودفع الله تعالى شرها عن الباطن وعسكر من عساكر البلاء تمده القدرة وتمزجه الطهارة ، وتنقص منه البرودة والرطوبة ، كما تزيد فيه اليبوسة والحرارة . ومن داوى ظاهره وترك باطنه ، فانما يبيل حائطا وراء النار الموقدة ، ويرش على سطح بيت فيه الشرر المبتوثة ، ويقعد تحت قول الأول :

خليلي اويتما ظاهرًا \* فمن ذا يداوى جوى باطنًا

وكيف تقطع مادة نار تطفأ عن ظاهر الجسد وهي تتوقد في باطن الكبد ؟ وكيف يزول داء سمه مكيله ، وترياقه موازنه ، وكيف يصح جسم حميته دواؤه وفذاؤه داءه ، وكيف يقوم قليل الترياق بكثير السم أو يفنى صفر البناء بكبير الهدم ؟ وكيف يرجو الشفاء من لا يضبط شهوته ، ولا يملك يده ، ولا يهجر حبيبه ، طعامه وشرابه ، حتى لا يراها الا غلصة ، ولا يدوق منهما الا بلغة . . أرى لسيدى أن يصبر على الجوع مع مرارته ، وعلى العطش مع حرارته ، وأن يقتصر من الطعام على ما يكون في أوسط طبقات الرطوبة ، وفي أعدل موازين البرودة ولا بد من هجر اللحم والفاكهة ، ولا سبيل الى الحرافة ، فأما البقول فيجب ألا ترى ولو في المنام ، ولا تمس ولو بالأوثام ، والسماك وما ناسبه بليقة ، واللبن وما خرج منه ضية حتى اذا أحس في معدته بالخلاء ، ووقف من طبيعته على الصفاء ، ومن اخلاط جسمه بالاعتدال والاستواء ، استخار الله تعالى ، وشرب

شربة قوية تكسب فضول السوداء ، وتخرج خبايا الصفراء ، وتقمع سلطان  
البلفم ، وتصفى كدورة الدم ، فإذا انجلت عنه خمار ضعفها ، وتشمعت غيابة  
سكرها أمد هذا بفصاد يخص به الأكل فانه نهر العروق ، والطريق الذي يفضى منه  
الى كل طريق . . فإذا فرغ منه وخرج بأذن الله سليماً عنه .  
. . يعالج حيثئذ باللطخ الذي يفصل ظاهر الجسم وجلوداً السقم ،  
ولا ينسى الاستكثار من الفسل والغتسال وباشرة الماء على كل حال ، فان  
الجرب في حيز الحرارة ، كما أن الماء في حيز البرودة . . وملاك الأمر الحمية فانه  
لا يكون قوى الحمية الا من كان قوى الحمية ، ومن غليت شهوته على رأيه شهد على  
نفسه بالبهيمية . . فكم من لقمة أتلقت نفس حر ، وكم من أكلة منعت أكالات دهر  
وكم من حلاوة تحتها مرارة الموت . . والعلة كلها وان كان يشملها اسم ، وجميعها  
حكم فهي متباينة الأقدار متميزة المقدار . . فعلة الحبلى دليل على لطيف  
الفريزة والمترجم عن الرقة الروحانية . . وعلة النفرس دليل على أن صاحبها  
مخدوم مكفى . . وعلة الجرب دليل على تضييع واجب النفس من التعهد وعلى  
التفريط في العلاج والتفقد ، تنطق بأن صاحبها ضعيف المنة في التوقي ،  
أسير في يد الحرص والتشهي ، فاش لنفسه قليل البقاء على روحه ، وكيف  
يحفظ أصدقاه من لا يحفظ أعضائه . . . وهذه علة تكسب صاحبها خزية وحياء ،  
وتورثه خجلاً واسترخاء ، ينظر الى الناس بحين المريب ، ويتستر عنهم كتستر  
المعيب ، تنفر عنه الطباع ، وتستقذره النفوس ، وتنبوع مؤاكلته الحيون  
. . . فتتفر منه نفسه وتهرب من فراشه عرسه ، وتباعد عنه أقرب الناس  
منه . . . ثم هي ربع من أرباع الخذلان ، وقسم من أقسام الحرمان . قال الشاعر :

أعاذك الله من أشياء أربحة \* الموت ، والعشق والافلاس والجرب  
ما ظن سيدى بدا سارت به الأمثال ، وقيلت فيه دون سائر الأدواء الأثوال ؟  
. . . وانما ذكرت فيه ما ذكرت لأزيد سيدى في الهرب منه رغبة وفى الصبر عليه

زهادة . . . من الله على سيدنا بالشفاء " (١) .

فالخوارزمي هنا يصف لنا داء الجرب وصفا دقيقا كما يصف لنا علاجه  
هذا الوصف العلمي الأدبي الذي لا ندرى أيوافقه عليه الأطباء أم لا . كما أجاد  
في ذكر أسبابه والتنفير منه ومن مسبباته اجادة قد لا يستطيعها الطبيب . . . ولا  
يعيب مما لجته لهذا المرض الصيغة الفنية التي كساها أسلوبه بل لعله في شرح  
أسبابه والتحذير من مسبباته والتحكم في النفس والتمسك بالحمية . . . أقوى  
بكثير من الأسلوب العلمي المجرد . . لما استعمله من أساليب بلاغية وما تخلل  
كلامه من أمثال وأبيات شعر سائرة . وما أجمل بيانه لأثار هذا المرض النفسية  
على صاحبه ، وكيف أنه يصيبه بعدم الثقة بنفسه ، وهورثه عقدة نقص تخجله  
من الناس لا ستقدارهم إياه ولخوفهم من عدواه وهو وصف بليغ لنفسية من يعاني  
من مرض مسيلر .

( ب ) رسائله التي لم يحوها ديوان رسائله :

على أن هذه النماذج التي سوف أورد ما <sup>يرجع ظننا</sup> في أنه ضاع من  
رسائل الخوارزمي شيء كثير . . وهذه النماذج يقوى فيها أسلوبه عن  
أسلوبه في رسائله المعروفة .

فهو في هذه الرسائل - كما سنرى - أنضج فكرا وأحكم أسلوبا وأصدق  
لهجة . . وهي من اختيار تلميذه الشمالي .

والسؤال الوارد هنا : لماذا كان اختيار الثعالبى من غير رسائل

الخوارزمى التى يحويها الديوان ؟

وهل معنى هذا أن له ديوان رسائل آخر لم يصلنا . . أم أن له رسائل

مبعثرة لم يحوها الديوان ؟ ومنها تلك الرسائل التى دارت بينه وبين بديع

الزمان كما سنرى فى المناظرة .

وهذه بعض تلك الرسائل التى لم نجد ها فى ديوان رسائله :

( ١ ) كتب الى بعض اخوانه جوابا عن كتاب - وقد أورد ها الثعالبى تحت

عنوان : نبذ من لطائف الوزراء ومحاسن ألقاظهم - كتب يقول :

قرأت كتابك العذب العوارى والمصادر ، والحلو الأوثل والآخر ، الذى

نشره غرر ، ونظمه درر ، ونشره مسك وعنبر يقطر منه ماء الكتابة ، وتشتم

منه روائح البلاغة وتهب من ألقاظه رياح الخطابة ، وينطق عنه لسان

الفصاحة .

وقد شكرتني أعزك الله على قضاء حق لم يسمنى الا أن أقضيه وعلى

أداء دين لم يجز الا أن أوفيه ، وزعمت أنى عرفتك من جهلك ، ونبهت

لذكرك من لم يكن انتبه لك .

لا وحق الحق ، فانه الواجب على الخلق ، ما رأيت أحدا لا يعرفك الا من

لا يصرف القمر طالما ، والفجر ساطعا ، والبرق لامعا ، والبحر زاخرا ،

والفلك دائرا ، وهل يخفى على الناس النهار أو هل يستتر علم على رأسه

نار وقد شكرتك على هذا الشكر ، فلاتعد لغيره آخر الدهر " ( ١ ) .

وهذه القطعة تعد نموذجا لنشره الجيد الجميل . . لما بناها عليه من سبك

قوى فى العبارات . . وما تحويه من صور موحية واستعارات بعيدة بديهة

رغم طريقته فى رص العبارات وكثرة المترادفات .

( ٢ ) وله قطعة أخرى يعتد ر فيها من تأخر المكاتبة :

" أتانى مع الركبان <sup>ظن</sup> ظننته \* لففت له رأسى حياء من المجد  
كتابى الى مولاي أطال الله على الزمان بقاءه ، وأدام عزه وعلاؤه ، وأراه  
فى أوليائه ماشاءه ، وجعل الايام الى مطالبه سفراءه ، والصعود لحاجاته  
كفلاءه والاقتران غرماؤه .

وأنا من الحياء عليل ومن الشربة التى سقانيها ثقیل وخمارى منها  
عريض طويل . ذكر سيدى أنى قطعت مكاتبته تناسيا له ، وتماونا به ،  
واعراضا عنه ، وزهدا بما كان فى يدي منه ، وقد صدقت فى الأولى ولم  
أسلم له فى الأخرى . . أما الكتابة فقد انقطعت ، والمودة ما ضيعت  
والعهد بماؤه على صفائه ، لكن الايام فى قطع علائق الحبال وأسباب  
الوصل . . أسباب بعضها من ذنوب الزمان ، وبعضها من ذنوب الانسان ،  
وقد أقررت بالتقصير ، والتزمت تبعمة الذنب بالمعاذير . فان كنت  
أسأت حين قصرت فقد أحسنت حين أقررت ، وان عقلت لما لم أقم بمسودة  
سيدى بعنايتها ، ولم أرعها حق رعايتها ، فقد أجملت لما وفرت عليه  
سهد الفضل ، وخليت له فى السبق الخطل ، وسطت لسانه بالعذل ،  
فوضع قلمه حيث شاء من الملام ، وركبه على ما أراد من حلية الكلام ، ولولا  
أنه وجد بجنايى ترابا لما تمرغ ، ولولا أنى أجررته لسان البلاغة لـ  
أبلغ " ( ١ )



ومعد كل هذا التطواف في ثنايا رسائل الخوارزمي يهمني أن أورد . .  
مقدمة كتابه " الأمثال " ذلك أن أسلوبه فيها يختلف عن أسلوبه في رسائله  
الاخوانية ، كما سنرى يقول في مقدمته : " الحمد لله رب العالمين وصلى  
الله على سيدنا محمد وصحبه أجمعين .

اللهم انا نسألك قولاً بالحق وعمل به ، وطلباً للرشد وانتهاء اليه  
ونعوذ بك من أن يشغلنا الهزل عن الجد أو أن يستحوذ علينا الباطل  
دون الحق أو أن نهرب إلى دعة الجهل وحلاوته عن تكلف العلم ومرارته ،  
وأن يفرنا ثنا الناس علينا عن أنفسنا ، وأن يغلبنا حسن ظنونهم على  
يقيننا ، وأن نقنع من العلم بالتظرف ، ونرضى من الأدب بالاسم ، ومن  
الفهم بالرسم ، فقد كثر المدعون وقل المتحققون وتراضى الناس بأن يقرر  
بعضهم بما هم عارون عنه ، وقنعوا بأن يتسموا بما هم خالون منه ، فصار  
العلم بالمجادلة ، وأصبح الأدب بالشغب ، والمصاحبة وجلس في كل زاوية  
عالم لم يعلم ، وفهم لم يفهم ، يتسلل من العلم لوانا ، ويدخل أهل  
الحقائق بالمخاريق ويسبح في أودية الدعوى بكف الباطل ، فان طوالب  
ببرهان تترس بالمرعدة ، وان سئل عن شئ " حاج (١) وتشاغل  
بالمعارضة ، وما أخوفنى أن أدم الزمان وأنا آتته وأقع في المدلسين  
وأنا منهم ، وأشكو من الزمان وأنا عيبه ، وما أبرئ نفسي ان النفس لا مارة  
بالسو .

ثم ان هذا كتاب صنفناه ندارى به الزمان ، ونجانس بتأليفه الوقت ولكل  
زمان تصنيف يحكيه ، وفي كل وقت علم يقتضيه ، وربما ضاق الوقت عن صرف

(١) في الأصل : حاجر.



الجد ، وجل عن الهزل ، فاحتج الى سلوك طريقة بينهما ، ولكل مقام مقال .

ونحن نخرج من عهد هذا الكتاب ونبرأ الى الناظر فيه من عيبه عنده . . .  
ونكشف له عن صورته ليكون نظره فيه عن بصيرة ، وتركه له عن معرفة . فانه ان طلبه  
غير عارف بفضل له كان مقلدا ، وان رفضه دون اقامة الحجة في رفضه كان متحاما  
متعصبا .

هذا كتاب ألتقط من أفواه الشطار والعيارين ،<sup>(١)</sup> وجمع في مجالس المفسرين  
والمضحكين ، وروى من الهم والزير ،<sup>(٢)</sup> وحصل في أثناء البرابط<sup>(٣)</sup> والمزامير  
وجمع أكثر ما فيه من السؤال والسائلة ، وتلقف من بين كلام الظرفاء والصوفية فان  
طالبتنا في أسانيده باسم الحسن البصري ، وبالرواية عن بكر بن عبد الله المزني  
والسمع عن محمد بن كعب القرظي ، وقتادة بن دعامة السدوسي ، أو حدثنا  
في أبياته برواية الأصمعي وأختيار المفضل الطبري ، وتصحيح أبي عثمان المازني ،  
واجازة محمد بن المستثير النحوي أو ابن عبد الله الأعرابي أو أردت منا في أمثاله  
أن يكون من حكم أكرم بن صيفي أو أمثال بهمس الفزاري ، ونوادير عامر بن المضرب  
المدواني وعمرو بن حمزة الدوسي كنت قد طالبتنا بما نعيها به ، وتحكمت علينا  
بما نمجزعنه وكل من مجلبه يطلب ، وكل متاع في قرارته يطلب ، ونحن نعتذر اليك  
من الحاجة الى جمع هذا الكتاب ما عليه جل أهل الزمان وخدم السلطان من الميل  
الى الأدب الرطب لسهولته والنفور عن الأدب اليابس لوعورته حتى أن أحدهم  
يتطير من شعر أهل الجاهلية ويتبرم بفهم النحو واللغة ، ويضرب " ققانيك "

(١) الشطار : مفرد ها : شاطر وهو من أعيان أهله ، خبثا : والعيارين جمع  
عيار : الذكي كثير التلواف .

(٢) الهم : المود ، أو الوتر الفليظ من أوتار المزهو والزير : هو الدن : التصويت  
والطنين .

(٣) جمع برابط : المود " معرب " ( القاموس المحيط ) .

مثلا لكل مبتذل ، ويجعل " عفت الديار " معيارا لكل متروك مهمل . قال بعضهم :

خلقنا على باب الأمير كأننــــا \* " قفانك من ذكرى حبيب ومــــنزل "

... . وانما الأذنب أرشدك الله لسان ، واللسان آلة والآلة تنفق بطلب الطالب

لها ورفيته فيها ، كما تكسد برفيته عنها وأنزوائه منها ، والمهمل اذا احتج اليه

مستعمل والمستعمل اذا استغنى عنه مهمل .

ولذلك من الشأن ترك الناس ذكر الشيخ والقيصوم ، وأقبلوا على ذكر النرجس

والورد ، وطووا ذكر الأثافي والرماد والوقوف على الاطلال والأوتاد ، الى ذكر

البساتين والأنهار والتعلل بالأنوار والأزهار ، وأغبوا ذكر زينب وشمس وأكثروا ذكر

تحية ونزهة . ان كان هذا أجرى على لسانهم وأشبه بحكم زمانهم ، وقد قال

أمير المؤمنين : الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم ، فبالجملة أن الناس بالزمان

والزمان بالسلطان والسلطان منصرف على حكم حاشيته ومطانته ، وناظر بأعين كتابه

وكفاته ، وجلبهم بل كلمهم ماثل عن موارد الجد الى حلاوة الهزل ، يستبشع

الاعراب هيلعن الأعراب . .

ولما كان الشأن هذا الشأن ، والزمان هذا الزمان ، وضمت هذا الكتاب

وجمعت فيه أمثالا استحدثها مولد والعصر وانشأ الزمان ، وأبناء الدولة

العباسية من أهل بغداد وفيها من العراق ومشرق وفاتها من الحجاز

وهي قريبة الفهم عذبة على اللسان مقبولة في القلب ، لا يجهلها العامة ولا يتكبر

عنها الخاصة وأكثرها مرسله لا يحرف أصحابها لاتيان الزمان على ذلك . ولأن كلام

الحرب لا تقيد الأفهام ولا تشغل بتخليده الأقلام ولا يجرى في الضبط والرواية

مجرى كلام الحرب الذين حفظوا أنسابهم وقيدوا آدابهم وعلموا أن الأمثال حكمتهم

فوعوها وأيقنوا أن الأشعار واهينهم فرووها .<sup>(١)</sup> الى آخر المقدمة .

والخوارزمي في هذه المقدمة يكشف لنا عن أحوال زمانه وأهل وقته فهو يشكو من أولئك المتخذ لقين الذين يتعاملون وينسبون أنفسهم للأدب وهم خالون منه . . . وأن القوم تواضعوا على النفاق والمجاملة بحيث يقر بعضهم لبعض بما هم عارون عنه .

كما يكشف لنا عن تفشى الجدل والمناظرة بين أدباء عصره وهو ما يسميه " بالشغب والمصاحبة " يشكو من أولئك الجهال الذين نصبوا أنفسهم للتعليم وهم لا يعلمون ، فإذا جالس أحد هم أهل العلم أخذ يشاغب ويجادل بالباطل فكان طولب بالحجة راح يعرصد . . وكأنه يشير الى ما جرى بينه وبين بديع الزمان .

كما يشكو من ضعف الحكام واتكا لهم على كتابهم ووكلائهم وحاشيتهم فمما استحسنوه فهو حسن وما رأوه قبيحا استقبحوه . على أن هؤلاء قد تغيرت وقتهم وفضلوا حلاوة الجهل على مرارة الجد ومالوا عن الأدب الجاد الى الأدب السهل البسيط .

يتظرفون به ، فلم يعد يستهويهم القول الرصين ولا الفكرة الحقيقة ، ولذلك كرهوا اللغة الفصيحة . . وتبرموا من شعراء الأعراب . . لابل كرهوهم وكرهوا لفتهم وأدبهم . حتى أنهم أخذوا يستهجنون الأدب الجاهلي . . وهذا التحول أعظم من تحول بعض شعراء القرن الثالث ، فأولئك أبوا أن يقولوا على طريقة أئمة القيس والأعشى من البداءة بالفزول والوقوف على الأطلال . . أما هؤلاء فلم يرفضوا أن يقولوا على طريقتهم فحسب ولكنهم رفضوا حتى أدبهم ، وهو أبعد ما يتصور في البعد عنهم . وكان الخوارزمي يرميهم بالتحصب والشموية .

وان كان يرى أن بعد هم هذا ما هو الا بسبب تحضرهم وليونة عيشهم وقصر همهم . ثم يبين لنا أخيرا ما يحويه كتابه من أمثال ونوعية تلك الأمثال وهو على

طريقته في التواضع يزهد القارىء فيها . . . والحق أنه كتاب ثمين لا ينقصه تواضع كاتبه ولا ما قاله عنه من أنه من أمثال المولدين . . . فالمقدمة تحوى الكثير من الأمثال والقصص القديمة . . . وفي نهاية الكتاب يورد أنصاف أبيات أو أبيات من الرجز . هي أمثال أو حكم من شعر القدماء <sup>في</sup> نحو من أربعين صفحة .

مع أن أمثال المولدين هي بالنسبة لنا أمثال لها قيمتها لا من حيث ما فيها من الحكمة والقول البليغ بل لأنها تكشف لنا عن أحوال العصر . . . وهي مع ذلك أمثال عربية فصيحة فيها الحكمة والبلاغة والايجاز .

ونلاحظ كيف سهل أسلوب الخوارزمي ومال الى الترسل . . . مع أنه لا يخلو من السجع والازدواج ، ولكن ما جاء منه جاء عفوا لخاطر دون أن يطلبه . . . وما جاء به الا تمرس الكاتب في هذه الصنعة البدئية . . . حتى أصبحت تظهر في أسلوبه دون أن يجتلبها ، فقد جعل المعنى هو الأصل ، والالفاظ والتراكيب في خدمته . ولذلك نجد اختلافا في أسلوبه هنا وأسلوبه في رسائله . سوف نشير اليه عند بيان خصائص نشره الفنية .

## ( ١ ) مناظرته للبديع الزمان الهمذاني

عرف العرب المنافرات والمناظرات والمحاورات ، وما جرى مجراها منذ قديم الزمان - كما سبق أن ذكرنا - ولعل نصيبهم من هذا الفن أكثر من نصيب غيرهم من الأمم - لفراغهم وعصبيتهم وعزة أنفسهم ، ولم يقتصر العرب على النشر في هذا المجال وحده . . بل نقلوه الى ميدان الشعر أيضا في فن " النقائض " وهو الفن الذي بلغوا به أقصى غايته . . منذ كانت العدواة بين الأوس والخزرج ، ثم ما كان بين شعراء المسلمين من جهة وشعراء اليهود والكفار من قريش من جهة ثانية وبلغ قمته على يد جرير والفرزدق .

على أن النشر أرحب ميدان للسباق في هذا اللون من الأدب وقد هيأت . . الأحزاب السياسية من أموية وعلوية وخوارج ، والمذاهب الدينية لهذا الفن جوا ملائما نمت فيه وازدهرت .

والمناظرات لون من ألوان الجدل والمحاورات التي بدأت بالأمور السياسية والدينية ، ثم بالعلوم والفنون ، كالنحو واللغة ، وانتهت بالفنون الأدبية ، ولعل المناظرات هي المرحلة الناضجة لتلك المنافرات والمفاخرات التي كانت تدور . . بين بلفاء العرب ولعل أشهر تلك المناظرات الأدبية مناظرة الخوارزمي مع بديع الزمان الهمذاني .

---

( ١ ) المناظرة مأخوذة من النظر : أي الند والكؤلان الذي يناظر يجب أن يكون

كقوله لمن يناظره رساغل البديع ص ٣٣ .

( ٢ ) أنظر النقائض في الشعر العربي ص ٧٤ - ٧٥ .

وهذه المناظرة وإن لم تبحث في صميم الموضوعات الأدبية ولم تمس جوهر الأدب ، ولا قضاياها الهامة ، إلا أنها تكشف عن ثقافة أدباء القرن الرابع واتجاهاتهم الأدبية ، كما أن فيها طرافة وجوانب مسلية ، ولكي نعيـش جو هذه المناظرة المشيرة يحسن بنا أن نلقى الضوء على شخصيتي هذين المتناظرين وعن مكانتهما وظروفهما .

أما الخوارزمي - وقد سبقت ترجمته - فهو شيخ خراسان وأديبها وأستاذ أبنائها ، ضرب بسهم في جميع العلوم من أدب وأنساب ولغة وأخبار . . . شيخ قد حنكته الليالي وفطمته الأيام ، واسع الثقافة كثير الأسفار وكانت له المكانة الأولى بين ولاية المشرق الاسلامي ، مقدما على غيره لفضله وفزارة علمه ، مما كان سببا في حسد بعض وجوه خراسان له . . . وقد أدركه بديع الزمان بعد أن تقدمت بسـه السن وضعف " ( ١ )

وأما بديع الزمان فقد كان فتى ذكيا يتفجر شبايا وحماسة واندفاعا الى . . . الشهرة والمال ، يحب التحدى ويمشق الشجار . وقد أعد نفسه لمثل هذه المواقف . وهو وإن لم يكن - في هذا السن - في مستوى الخوارزمي ، سمعة ثقافة وفزارة علم فانه يمتاز عليه بالحيوية وسرعة البديهة وقوة العارضة وطلاقة اللسان مع حلاوة المنطق مما مكّنه من الاستيلاء على عواطف مستمعيه ، وكسب أصواتهم ، إن أن أقوى سلاح المناظرة ، قوة المجادلة وسرعة العارضة .

كما أنه لم يكن من الشهرة وذيوع الصيت في مستوى خصمه الخوارزمي . . . ولذلك أراد أن يستفيد من شهرة الخوارزمي ومكانته أما بملاحاته وعداوته وأما بمصاحبتـه وصداقته ، فلم تحصل له الثانية ، وحصلت له الأولى ، أولعله أرادها وقصد ها .

( ١ ) قد بلغ من الحمر في ذلك الوقت حوالي ٦٠ سنة في حين كان الهذاني في حد ود ٢٥ سنة .

فقد أقدم على المناظرة وهو ضامن إحدى الحسينيين ، فان غلب فيكفيه فخرا أنه وقف أمام هذا الصملاق ندا ونظيرا ومتحديا ، وهو الذي لم يكن فسي الحسان أن أحدا من الأثبا\* والشعرا\* ينبرى لمباراته ويجترأ على مجاراته\* (١) . وليس بغريب أن يغلب شاب ناشئ\* أمام أديب كبير - حلب الدهر أشطره وملا سمع الدنيا ، وطبق الاقاق ذكره .. فهزيمته أمامه مفضرة وغلطته صغيرة ، ولو كانت كبيرة . وان قدر لهذا الشاب الناشئ\* الفوز على هذا الصملاق فذلك ما كان يبغى وفوق الذي يبغى .

أما الخوارزمي فقد عرض مركزه وسمعته للخطر بمجرد قبوله للمناظرة ، سواء أكانت المناظرة بنا\* على طلبه كما يدعى البديع حيث يقول : " وأفضت الحال به وينا معه الى أن قال : لو أن بهذا البلد رجلا تأخذه أريحية الكرم وتملكه هزة لهم يجمع بيني وبين فلان يعني (٢) . أو كانت بنا\* على الحاج بديع الزمان وتحرشه وثارته للخوارزمي ، لأن فوز الخوارزمي على شاب ناشئ\* لا يزيد فخرا ، وهو من هو شهرة وديوع صيت ، وهفته ولو كانت صغيرة فهي " بلقا\* مشهورة " وان قدر لهذا الشاب الفوز عليه .. فقد هدم مجده وفضح نفسه أمام جمهوره ومريديه وتلاذته .

ولذلك كان البديع يستمجلها ، وتلهف لها حيث يقول : " واتفق أن .. السيد أبا على نشط للجمع بيني وبينه فدعاني فأجبت ثم عرض علي حضور أبي بكر فطلبت ذلك وقلت : هذه عدة كنت استجزها وفرصة لا أزال أنتهزها (٣) ، فالبد يسع أخرى أن يكون هو الطالب ليرد اعتباره لما لحقه من ازدارا\* . وقبل أن ندخل هذه المناظرة لابد أن نستعرض تلك الرسائل التي دارت بين الخصمين قبلها والتي

(٢) رسائل بديع الزمان ص ١١٧ ، ١١٨ .

(١) البيهقي ٤ / ٢٤٠ .

(٣) نفس المرجع ص ٢٠ .

تكشف عن سبب هذه المناظرة وتمدد تمهيدا لها ومن جهة ثانية تكشف لنا عن الحق والى أى جانب هو ..

وقد كانت أول رسالة لبديع الزمان ، وذلك قبل لقائه بالخوارزمي يطلب فيها منه أن يبعث له بخلامه لينفضي اليه بما عنده من لواعج الشوق . وهذه هي الرسالة : " أنا لقرب الأستاذ أطلال الله بقاءه ، كما طرب النشوان مالت به الغمر . ومن الارتياح للقاءه .. كما انتفض الصفرور بالله القطر ... ومن الامتزاج بولائه .. كما التقت الصهبا والبارد الحذب ومن الابتهاج لمزازه " كما اهتز تحت البارج الحصن الرطب ..

فكيف نشاط الأستاذ سيدي لصديق طرأ اليه <sup>(٢)</sup> ما بين قصبتى الصراق وخراسان بل عتبتى نيسابور وجرجان <sup>(٣)</sup> وكيف اهتزازه لضيف <sup>(٤)</sup> ..

رث الشماثل مخلق الأثواب \* بكرت عليه مفيرة الأعراب <sup>(٥)</sup>

وهو أيداه الله ولى انعامه بانفاد غلامه الى مستقرى لأقضى بما عندي ان شـبـاـهـ الله <sup>(٦)</sup> وكان جواب الخوارزمي أن أرسل له واستقدمه ..

ولكن استقبال الخوارزمي للبديع لم يكن بالدرجة التى يصور البديع نفسه

فيها من الظلم والتهميل .. ورسالة البديع كما هو واضح ، فيها من طلب الاستجداء أكثر مما فيها من طلب اللقاء والفرحة له .

(١) فى معجم الأديباء " فكيف ارتياح " ١٨٥/٢ .

(٢) فى معجم الأديباء " طوى اليه " ١٨٥/٢ .

(٣) فى معجم الأديباء " ما بين قصبتى الصراق وخراسان بل عتبتى الجبل ونيسابور

١٨٥/٢ .

(٤) فى معجم الأديباء " فى برودة حمال وجلدة جمال " ١٨٥/٢ .

(٥) فى معجم الأديباء " رقى الشماثل منهج الأثواب .

(٦) انظر زهر الآداب ١/٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ومعجم الأديباء ١٨٥/٢ ، ١٨٦ علما أنها محدودة من رسائل البديع .



فلقاء الخوارزمي لبديع الزمان أشبه ما يكون بلقاء الأستاذ للطالب أو لقاء أديب كبير لصحفي مبتدئ \* طلب مقابلته .

ولذلك لم يحمد البديع هذا اللقاء بل رأى فيه ازداراً واهانة .. فكانت هذه الشرارة الأولى لتلك العداوة ، فقد اتخذ البديع هذا الموقف ذريعة للتحرش بالخوارزمي ..

ولحل من أسباب فتور مقابلة الخوارزمي للبديع أنه قابله في جمع من وجهاء القوم وحضرة الشريف العلوي أبي القاسم .. فلم يرد أن يبالح فسي الترحيب به لثلا يظن الحاضرون - ومنهم أبو القاسم - أنه يرفعه عليهم ، ولمله لـو قابله منفردا لم يحدث ما حدث ، ثم أن الخوارزمي الى ذلك الوقت لا يعرف البديع الا بذكره ، وقد جاء على غير موعد ، فهو كما يقول الخوارزمي : " وكيف استقبل من انقض علينا انقضاء الصقاب الكاسر ووقع بيننا وقوع السهم الجائر .. وسيدى كلف الجاهل علم الخيب مع الاستحالة منه " . ( ١ )

ومعد اللقاء الذي أغاظ بديع الزمان كتب للخوارزمي :

" الأستاذ أبو بكر - والله يطيل بقاءه - أرى بضيغه ان وجده يضرب اليه أبساط القلة في أطمار الضربة ، فأعمل في رتبته أنواع المصارفة وفي الاهتزاز له أنواع المضايقة من ايما بنصف الطرف وإشارة بشرط الكف ودفع في صدر القيام عن التمام وضع الكلام ، وتكلف لرد السلام ، وقد قبلت تربيته صمرا واحتملته وزرا ، واحتضنته نكرا وتأبطته شرا ، ولم آله عذرا ، فان المرء بالمال وشباب الجمال ، ولست مع هذا الحال وفي هذه الأسمال أتقزز صف النمال ، فلو صدقته المتاب ، وناقشته الحساب ( ٢ ) لقلت : ان بوادينا ثاغية صباح ، وراغية رواح ، وناسا يجرون المطارف ولا يمنعون .. المصارف .

( ١ ) انظر معجم الأدباء ١٩٢/٢ .

( ٢ ) في معجم الأدباء " صدقته السطاح " زائد ١٨٧/٢ .

وفيه مقامات حسان وجودهم \* وأندية ينتابها القول والفعل

ولو طوحت بأبي بكر - أيده الله - طوائج الضربة لوجد نال البشر قريبا ومحنط  
الرحل رحيبا ووجه المضيف خصيبا ورأي الأستاذ أبو بكر أيده الله في الوقوف على  
هذا المتأب<sup>(١)</sup> الذي معناه ودّ والمر الذي يتلوه شهد . . موفق ان شاء الله تعالى<sup>(٢)</sup>

فذنّب الخوارزمي اذا عند البديع هو أنه لم يستقبله استقبالا حارا يليق به ،  
ولم يحتف به الاحتفاء الذي يتناسب وفن البديع الشابة ، المقشبة ، الطمـــــوح  
والآمال الواسعة التي يرنو اليها ، وقد رأى أن كل الناس سوف تعينه على تحقيقها ،  
وتقدر له ما يتمتع به من مواهب وقدرات خارقة - ان كانت على ما يدعى البديع - وأظن  
الخوارزمي لو كان يعلم ما يتمتع به هذا البديع من مواهب ومقدرة لاختلفت نظرتة اليه  
ولكان له معه لقاء أحسن من لقاءه .

ولاشك أن هذا الخطاب فاجأ الخوارزمي ، ان لم يكن ينتظر من ضيفه الطالب  
لمساعدته ، أن يهزئ به في وجهه احتجاجا على سوء مقابله ، بل ويتهمه بالتقصير  
في حق ضيفه وازدراء به بل ويفاخره بما وراءه من نعم وأبل ، وقوم سادة كرام ، وكأنه  
يمرض ببخل أبي بكر ويقومه ثم يطلب أبا بكر ، أو يأمره بأن يوليه عنايته الا تزدره  
عينه .

ثم يحترف أن عتابه هذا له ، مرّ ولكنه يحمده في صورة التهديد أن وراء هذا  
المرشهاد . ولو أدرك أبو بكر ما وراء هذا الشاب الذي يتحرش به لأمسك قلمه ،  
ولكان ذلك أسلم له ، واحتفظ لمكانته وسمعته ، ولكنه لم يطق صبرا على هذا الاتهام  
والفخر والتصريح الذي يسيىء الى سمعته .

( ١ ) في معجم الأدباء " ورأي . . في أن يملا من هذا الضيف أجفان عينيه ويوسع

أعطاف ظنه وجيبه بموقع هذا العتاب " ١٨٦/٢ - ١٨٧ .

( ٢ ) رسائل البديع ص ١٥ .

فأحابه بهذه الرسالة :

انك ان كلفتني مالم أطـق \* ساك ماسرك مني من خلـق

فهمت ما تناوله سيدى من حسن خطابه ومؤلفاته وكتابته ، وصرفت ذلك منه الى الضجر الذى لا يخلو منه من نباهه وهرمسه من الايام ضر ، والحمد لله الذى جعلنى موضع أنسه ، ومنظنة مشتكى مافى نفسه ، أما ما شكاه سيدى من مضايقتى اياه رغم فى القيام ، وتكلفى لرد السلام ، فقد وفيته حقه كلاما وسلاما وقياما على قدر ما قدرت عليه ، ووصلت اليه ، ولم أرفع عليه غير السيد أبى القاسم ، وما كنت لأرفع أحدا على من أبوه الرسول وأمه البتول وشاهداه التوراة والانجيل ، وناصره التأويل والتنزيل ، والبشير به جبريل وميكائيل ، وأما عدم الجمال ورثاة الحال فما يضعان عندى قدرا ولا يضران نجرا <sup>(١)</sup> ، وأنا اللباس جلدة ، والبرزى حلية . بل قشرة ، وأنا يشتغل بالجل <sup>(٢)</sup> من لا يعرف قيمة الخيل - ونحن - بحمد الله نمصرف الخيل عارية من جلالها ، ونعرف الرجال بأقوالها وأفعالها لا بالآلاتها وأموالها ، وأما القوم الذين صدر سيدى عنهم وانتمى اليهم ففيهم - لعمري - فوق ما وصف ، حسن عشرة وسداد طريقة ، وجمال تفصيل وجملة ، ولقد جاورتهم فنلت المراد وأحمدت المراد .

فان أك قد فارقت نجدا وأحلىه \* فما عهد نجد عندنا بذيهم  
والله يحلم نيتي للاحرار عامة ولسيدي من بينهم خاصة ، فان أعانى على مرادى  
له ونيتي فيه بحسن العشرة ، يلخت له بعض ما فى المنية وجاوزت مسافة القدرة ،  
وان قطع علي طريق عزمى بالمعارضة وسوء المأخذة صرفت عنانى عن طريق الاختيار  
بيد الاضطرار .

فما النفس الا نطفة بقرارة \* اذا لم تذكر كان صفوا فديرهسا

وعلى هذا فحبد اعتاب سيدى اذا صار ذنبا واستوجب عتبا فأما أن يسلفنا  
المريدة ويستكثر المعتبة والموجدة فتلك حالة نصونه عنها ، ونصون أنفسنا  
عن احتمال مثلها ، فليرجع بنا الى ما هو أشبه به ، وأجمل له ، ولست أسومه أن يقول :  
" استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين " ولكن أسأله أن يقول : " لا تشرب عليكم اليوم  
يفخر الله لكم وهو أرحم الراحمين " (١)

ويعد هذا أو ما كتب الخوارزمي للبديع واذا كانت رسالة البديع تشفع عن نفسه من  
ثائرة ، واندفاع نحو المشادة والمناقشة بما تحمله من اتهامات وتعمير واثارة للشعور  
فان رد الخوارزمي يتسم بالتواضع والهدوء واللين . وفيه من الاعتذار ما يطفى ثائسرة  
البديع حتى لو كانت اتهاماته للخوارزمي صحيحة كلها . وكانت توقع قبل قراءة رده أن يثور لكرامته  
من اتهامات هذا الشاب الذي جاء طالبا العون والقرب فأصبح يريد التشنيع والنيل من  
السمعة . ولكن الخوارزمي بدلا من ذلك نراه يحاول أن يعتذر لمابدع من البديع من  
نسرق ونسبها الى صروف الدهر غير المواتية ، ولبعده عن أهله ووطنه . ثم  
يعتذر له أنه وفاء حقه من السلام والكلام والقيام ، ولم يرفع عليه سوى أبي القاسم ، ذلك أنه  
شريف علوى ، واحترام الخوارزمي له لا يبعد اهانة للبديع خاصة وأنه يعلم مدى حب الشيعة  
لابناء على ، ويعتبر بقصده له ويعمله مشتكى مافى نفسه ، مؤكدا له أنه لا يغتر بالمظاهر  
ولا تهمة ، فلم تكن رثاثة حاله لتتقن من قدره عنده كما أنه يوافق على ما افتخر به من عسرة  
قومه .

ويمكن عن استعداد له لمساعدته . ولكنه يطلب منه الا يفسد ما بينهما بنزقة وكسرة  
لومه وتقريعه ، فهو رجب الصد والمعتا<sup>ب غير</sup> أنه لا يرى ما يستحق عليه كل هذا المتب ومع ذلك

(١) انظر معجم الادباء ٢ / ١٨٨ - ١٦٠ وهي تختلف في بعض الالفاظ عن مافى رسائل  
البديع وفيها زيادات ونقص ولكن أثبت مافى معجم الادباء لانها أكمل . انظر رسائل  
البديع ١٥ ١٦ .

فهو لا يطلب منه أن يجشم نفسه مئة الاعتذار له ، ولكنه يطلب منه أن يخفر له تلك  
الاساءة غير المقصودة ، أو ما ظنها البديع اساءة .

ولكن ماذا كان رد البديع على اعتذار الخوارزمي ؟ .. لنقرأ ماذا يقول :  
« أنا أرد من الأستاذ سيد أطال الله بقاءه سرعة وده وإن لم تصف ، والبس  
خلعة بـره وإن لم تصف ، وقصارات أن أكيله صاعاً من مد ، وإن كنت في الأدب دعي النسب  
ضعيف السبب ، خفي المضطرب ، سيئ المنقلب ، أمت إلى عشرة أهله بنبقة ، وأنز إلى خدمة  
أصحاب بطريقة ، ولكن بقي أن يكون الخياط منصفاً في الوداد ، أن زرت زاره ، وأن عسدت  
عاد وسيدى - أطال الله بقاءه - ناقشت في القبول أولاً ، وصارفتي في الاقبال ثانياً ،  
فأما حديث الاستقبال وأمر الانزال والانزال ، فظان الطمع ضيق عنه وغير متسع لتوقعه منه .

محمد : فكلفة الفضل بينة وفروء الود متعينة وأرض المشرة لينة ، وطوقها هينة  
فلم اختار قصود التماهي مركبا ، وصمود التماهي مذهبا ؟ وهلا زاد الطير عن شجرة  
المشرة وذاق الحلو من ثمرها ، فقد علم الله أن شوقي إليه قد كد الفؤاد برحاً ، إلى بسرح  
ونكاه قرحاً على قرح ، ولكنها مرة مرة ونفس حسرة ، لم تقدر إلا بالاعظام ، ولم تلن إلا بالاجلال  
وإذا استمعاني من محادثته ، وأعفى نفسه من كلف الفضل يتجشمها ، فليس إلا غصص  
الشوق أنجرعها وحلل الصبر أنذرعها ، ولم أعره من نفسي ، فأنا لو أغرت جناح طائر سر  
لما طرت إلا إليه ولا وقعت إلا عليه » ( ١ )

لم يطفئ اعتذار الخوارزمي نائرة البديع ، بل لازا يضرب على نفس الوتر المشدود  
- وإن كان يدعي أنه إنما كتب له هذه الرسالة بحد أن تقل له الناس أنه ينال منه - فهو

( ١ ) رسائل بديع الزمان ص ١٦ ، ١٧ وفي معجم الأدباء زيادات انظر ٢ / ١٠ - ١٩٢

وفي آخرها ورد هذان البيتان :

وإن لا منى فيك الميعبى والفراق قد

أحبك يا ميس النهار وسدر

وليس لأن الصبر عندك يسار

وذالان الفضل عندك باهـ

يتهمه في هذه الرسالة بأنه غير صافي الود .. ولا كريم مفع مع رغبته في وده وكرمه .  
ولا ينس أن يلوح له بالتهديد في صورة الرغبة والاقبال عليه - وقصارى أن أكيله صاعدا  
عن مد " .

ويوحى للخوارزمي بتضلعه في الادب في صورة المتواضع ، ثم يطلب منه أن يعامله  
معاملة الندية ، لا معاملة الاستاذ لتلميذه ، إذ أنه يريد الاخاء والود مناصفة بحيث  
لا يزيد أحدهما على الآخر .

ثم يعود للجرح القديم ينكيه بالحديث عن الاستقبال والانزان .. وما كان عليه  
الخوارزمي من التكبر والاستعلاء والازدراء له . ثم يعود مرة ثانية يطلب وده وصداقته ويظلم سر  
له من الشون ما يجعل الانسان يختار ما بين أول رسالته وآخرها ( ١ ) ؟

فالشوق يدفعه الى مقارنة فضل الخوارزمي وتجذبه الرغبة للزود من علمه ، ولكنه  
يشترط أن يعظم ويكرم ويطلب منه أن يستمر في هذا العتاب والمواخظة ، وكأنه شمس  
أن الخوارزمي ربما زم قلمه ، وقصر خطه عن التمدد في هذه المشادة .

وللخوارزمي أن يتساءل : ماذا يريد هذا الصديق الذي يطلب قبول صداقته  
بل يفرضها عليه ، ثم يطلب منه أن يعظمه ويحمله ، ولمعاد بعد الاعتذار له الى المواخظة  
والتأنيب ؟ وهل هذا الصديق يهدد ويتوعد أم يقترب ويمنى ؟ وهل هو يطلب الفائدة  
والملم كما يدعي أم يتحدى ويباهي ؟ .. وأهم من هذا وذاك .. هل هو صادق فيما يدعيه  
من الحب والرغبة في الود وما يجده نحوه من الشوق والوجد ، أم أنه يستعمل هذه  
الالفاظ غطاءا للهجوم ولما يضره من نوايا ؟ ..

ان رسائل البديع للخوارزمي هذه ، نوع من الكتابة لم يصده الخوارزمي ومسا  
تموده هو أن يتقبل تلميذه الذين يحفظون له الود ويمتدحون له بالفضل ، أو للسخورزا  
والولاة فهو لا يبخس عليهم بحبارات الاعظام والمجاملة .. أما هذا الاديب السدي

طراً عليه وانقض عليه انقض الحقاب الكاسر ووقع عليه وقع السهم المائر " فقد حسيه  
فتارة يجذب به اليه وتارة يدفعه عنه بخطاباته التي تاهرها فيه الرحمة وباطنها فيسسه  
المذاب "

ولا شك أن ما حصل الخوارزمي يستمر في هذه المجازبة والملاحاة هو غرابسة  
أسلوب خصمه وحسن سبكه واختيار عباراته . والخوارزمي أديب يتذوق الادب ويعرف جيداً  
ولهذا كتب له الرد التالي :

" شريعة ودي لسيدى - أدام الله عزه . .

إذا ورد لها عافية ، وشباب برى إذا قبلها عافية ، هذا ما لم يكر الشريعة  
بتمنيتها ، وتمنيتها ، ولم تحترق الشباب بتجنبه وتسحب ، فأما الانصاف والاخاء فهو  
عالتى عند الاصدقاء ، ولا أقول :

وانى لمشتاى الى ظل صاحب يرى ويصفوان كدرت عليه  
فان نائل هذا البيت قاله والزمان زمان ، والاخوان اخوان ، وحسن العشرة سلطان  
ولكنى أقول : وانى لمشتاى الى ظل :

رجل يوازن المودة جاهداً يحطس ويأخذ منك بالمسحور  
فاذا رأى رجحان حبة خسره ل ماله ودته مع الرجحان

وقد كان الناس يقترحون الفضل ، فأصبحنا نقف المدل والى الله المشتكى لا منه .

ذكر الشيخ سيدى - أيداه الله - حديث الاستقبال ، وكيف يستقبل من انقض علينا  
انقض الحقاب الناصر ووقع بيننا وقع السهم المائر ، وتكليف المرء مالا يطيق يجوز على  
مذهب الاشعرى وقد زاد سيد على استاذة الاشعرى فان استاذة كلنا العاجز مالا يطيق  
مع عجزه عنه ، وسيدى كلنا الجاهل علم الشيعى الاستحالة منه ، والمنزل بما فيه قد عرضته  
عليه ولو اطلقت حملته لحملته اليه ، والشوق الذى ذكره سيدى فعندى منه الكثير الكبير  
وعنده منها الصغير اليسير . وأكثرنا شوقاً أقلنا اعتباراً وألينا خطاباً ، ولو أراد سيدى

أن أصدى دعواه في شوقه ليخفى من حجم عتب علي فانما اللفظ زائد ، واللفظ وارد ، فاذا  
رق اللفظ من اللفظ ، وإذا صد الحيفان العتاب والعتب .

وبالخير لا بالشرف فارجع مود تسمى وأي امرئ يعتاد منه الترهيب ؟  
عتاب سيد قبيح ولكنه حسن ، وكذمه لين ولكنه خشن ، أما قبحه فلانه عاتبرنا ونسب  
الى الاساءة ما لم يكن سيئا ، وأما حسنه فاذل لفاظه الضرر ، وممانيه التي هي كالدرة فهي  
كالدنيا ظاهرها يضر وباطنها يضر وكالمرءى يلد من الثرى منظره بهي ومخبره وي . ولو  
شاء سيد ينظم الحسن والاحسان وجمع بين صواب الفعل واللسان . .

يا بد يسمع القول حاشا	لك من هجس بد يسمع
وحسن القول عود	تك من حود الصنيع
لا يجب بمضارب مضربا	كن مليحا في الجميل (١)

ويظهر أن هذه الرسالة هي الرد الأخير من الخوارزمي للبديع ويحتمل في نفس  
الوقت الرد إلى أسفه موضع المداقة الذي يستتر به بديع الزمان .

اذ أنه بالرغم من اخفاء عداوته للخوارزمي وراء هذه الالفاظ البراقة فانه قد حسن  
أمره على أن يتخذ منه موقفا غير موقفا للمداقة والاخاء وقد كشف ذلك الخوارزمي ولنسمع  
ما يقوله البديع وهو يترجم نواياه : " وعدنا لذكرك فسحونا عن صحيفتنا ، ومحونا  
وصرنا إلى اسمه فأخذناه ونهذناه ، وتركتنا خلطته وتبيننا خطته " (٢)

ثم يعود بعد هذا ويكتب له الرسالة السابقة ويدعي فيها الشوق والود . فهو  
يخفي غير ما يظهر ليوهم الخوارزمي أنه لا زال يوده ويرجو صداقته ، ليبقى بين الطامع  
في وده والخائفين شسره .

(١) انظر معجم الادب ١٩٧/١٩٥-١٩٥٠ ولتردد هذه الرسالة ضمن رسائل البديع .

(٢) رسائل البديع ص ١٦



غير أن الخوارزمي قدم للبديع في هذا الرد كشف الحساب ، وقطع عليه السير فأنى  
هذه اللبسة الذكية ، حيث صارحه أن رسائله هذه لا تنم عن حيوود ، وكيف يكثر  
المشوق من المتابو وشن الخطاب لمن يحب ؟ وإذا كان ما يدعيه من الشوق صحيحا  
فليطلبه عن طريق الخير لا عن طريق الشر ، ثم رسلته إليه بأربعة أبيات خفيفة فيها  
المتب والمجب والرجاء ، والاعتراف له بحسن القول والاجادة في الكتابة ، وفيها أيضا  
كشف حقيقة الموقف .

ولما علم البديع أن صاحبه كشف لمحبته لم يحاول الكتابة إليه ، خاصة وأن الموضوع  
استنفد حقه من الأخذ والرد .

أما الخوارزمي فيظهر أنه رضى بسكوت البديع عنه ، وأما البديع فبقى في نفسه  
شئ يريد أن يقوله له . فهو لم يشف غلته منه ولا بد من التفكير في وسيلة أخرى فكانت تلك  
الوسيلة هي المناظرة .

وقبل أن أدخل في هذه المناظرة أحب أن أشير إلى أنني وجدت لها مخطوطة  
في مكتبة عاطف بتركيا (١) ، وعند مقارنتها بالمناظرة المثبتة في رسائل البديع وجدت  
في المخطوطة زيادات أغلبها من شعر البديع في رده على الخوارزمي ولطرافتها ولأن هذا  
المحذوف يطيننا فكرة عما حصل منها من تحريف أثبتتها هنا .

فيرد قول البديع : " وجعلت عواصفه تهبط وهقاربه تدب وهو لا يرعى بالتعريض من  
حتى يصرح ولا يقنع بالنفاق حتى يملن " (٢) ورد في المخطوطة مانعه :  
" وشكا إلى بعض اخواني أني خاطبته مخاطبة مجحفة وانزلته منزلة متحيفة ، وأنى أوسر  
المريدة ، وأسلف الموجدة - يرميني في ذلك برأيه وينسل - فكتبت إليه :

(١) تحت رقم ٢٢٧٢ وهي تقع في ١٩ صفحة تم نسخها عام ١١٤٢ هـ .

(٢) رسائل البديع الزمان ص ١٧

جعلت فداك من فاضل	بلغت المراقى من جـ
وفى الغيب أكثر مما رأى	وأين البلوى الى غـ
اتتني الرواة بما قتلته	بهم يثتو على كـ
وقولك أني طوع الشجر	أشـم ضلوعى على فـ
فقلت تميميها لمن كان قـ	تجاوز منامدى طـ
فيا من بذلت ودادى لـ	فما كنت حوذا على كـ
بود تـلج عن نـ	وقصد تـلج عن نـ
فهى كماليس يخفى عليه	بمدر القيام السـ
وما بيحته بيمسين الرنـ	وفى الجفون على صـ
وقلت لحنظـل أخلا قـ	أيا حـذ الاوى . فى شـ
ولو كان ذلك من غـ	طمست بنجد على غـ
ولا عبته بكعاب الرجـ	فقا برنى بيدى جـ
وكان حديثى لما رجـ	حديث الفتى مع سـ
فلم أد رفيما جفا غـ	ولم سـكن البر من فـ
أ للزمى التى فى حـ	أم الفـك الفت فى دـ
وكاتبته أستمك السـ	كـلتـمـنى الدـ من شـ
فقابل عرفت بمزوجه	وراجـه دـرى بـ
وزار وزرناه فى قـ	بما ليس يخجل فى خـ
فأما الغـلاب فأنـت ابتـ	ود وقتك زند المـنى أـ

فلما وردت عليه الابيات أبهرت بآلافه وحركت سائته واخرجت دقاين صدره ورفعت

أذ يال سره وما فكيه وعيدا ولحييه تهديدا فكتبت اليه :

أعنى يا أبا بكر ..... على نفسى مـــــــــــــــــــــــــــــــــدور  
على ودك مطـــــــــــــــــــــــــــــــــوى ..... وعن عتـــــــــــــــــــــــــبك منشـــــــــــــــــــــــــور  
الى سلمك مشـــــــــــــــــــــــــــــــــى ..... على حربـــــــــــــــــــــــــك مقـــــــــــــــــــــــــور  
ولا تمد الى الظلمـــــــــــــــــــــــــــــــــة ..... من ناحية النـــــــــــــــــــــــــور  
ولا تهوى الى الوهـــــــــــــــــــــــــــــــــد ..... ة من ناحية الســـــــــــــــــــــــــور  
ولا تنهـــــــــــــــــــــــــم الى الانـــــــــــــــــــــــــسا ..... ف الا سبل الخـــــــــــــــــــــــــير  
ولا تحفـــــــــــــــــــــــــر لهم بئـــــــــــــــــــــــــرا ..... تقع فى هـــــــــــــــــــــــــوة البـــــــــــــــــئر  
ولا تفتل الى الفتـــــــــــــــــــــــــــــــــة ..... أسباب المقادـــــــــــــــــير  
فما أكثر ما غـــــــــــــــــــــــــــــــــد ..... ك من شـــــــــــــــــر العقاقـــــــــــــــــير  
ولا تمـــــــــــــــــزق على الاحـــــــــــــــــــــــــوال ..... من هـــــــــــــــــذى الابازـــــــــــــــــير  
فكـــــــــــــــــم أطوى لـــــــــــــــــك الســـــــــــــــــــــــــم ..... على سواد المناكـــــــــــــــــير  
وكـــــــــــــــــم إلقى عليها طـــــــــــــــــــــــــرفـــــــــــــــــى ..... وتذكـــــــــــــــــى بـــــــــــــــــيرى  
وان تعدد الى مـــــــــــــــــــــــــــــــــا ..... التصافى يد تـــــــــــــــــــــــــدى  
تجدد من جهــــــــــــــــــــــــتى واللـــــــــــــــــه ..... محـــــــــــــــــذوف الشوابـــــــــــــــــير  
ولا مروان فى الكوفــــــــــــــــــــــــــــــــة ..... فى غـــــــــــــــــسدة وعاشـــــــــــــــــور  
ولا الكلـــــــــــــــــب أنى الجامـــــــــــــــــــــــــع ..... فى فروة مطـــــــــــــــــــــــــور  
وان أحببت أن تـــــــــــــــــــــــــلم فانهــــــــــــــــى ..... غير مأـــــــــــــــــــــــــمـــــــــــــــــور  
ولا تبطل قدتك النفســـــــــــــــــــــــــى ..... فـــــــــــــــــى ودك تدبـــــــــــــــــى  
ولا تخلف بأخلاقـــــــــــــــــــــــــك فى المشـــــــــــــــــــــــــرة ..... تقديـــــــــــــــــرى

(١) فلما وردت عليه الابيات قال : لو أن بهذا البلد رجلا تأخذه أريحية الكرم<sup>(١)</sup>

(١) مخطوطة المناظرة بمطاف ص ٢٤٤ وفى الرسائل " وافضت الحان به وينا معه  
الى أن قال لو أن بهذا البلد ص ١٧

وكان أول لقاء بين المتناظرين في دار أبي الطيب بناءً على دعوة وجهت لابي بكر  
 ٠٠ يقول البديع : " فلما وردت عليه الرقعة همدت تلامذته وخدمته ، وزم عن الجواب قلمه ،  
 وجشم الا يجاف قدمه ، وطلع مع الفجر علينا طلوعه ، ونظمتنا حاشيتنا دار الامام أبي العباس  
 الطيب . . . " (١) ٠٠ غير ان هذه الجولة ليست سوى تمهيد ومناوشات واستمرار  
 ٠٠٠ ولم يورد البديع فيها من كلام الخوارزمي شيئاً . وكل ما أورده هو من كلامه . وقد  
 وصف خصمه بقوله : " كان خلباً شمناء وآلا وردناه " (٢) ولا نستطيع أن نحكم للبديع  
 بالفوز على منافسه في هذه الجولة الاولى رغم بلغة ما رواه وحسن تشبه في تهديده ، وعيده  
 بتلك الابيات المختارة ، اذ كيف نحكم على خصم لم نسمع دعواه ؟ . وديت البديع في  
 هذه الجولة يشبه حديث المالكين والمصارعين قبل البد ، فالاشتباك من توجيهه  
 الوعيد والتهديد لمحاولة تثبيت الهمم وزعزعة الثقة وهز الاعصاب ٠٠ كقوله :  
 " انا نقتحم الخطب ونتمسك بالحرب فنردّها مفحمين ونصد رها بلفاء . "

والسننا قبل النزال قصصيرة	ولكنها بعد النزال طوال
فارضك أرضك ان تأتينا	نعم نومة ليس فيها حليم
ومن ان سيلاقى الحسرو	ب والا يصاب فقد ظن عجزنا
فانك متى شئت لقيت منا خصماً خماً	ينهمك قضا ويأكلك خضماً . . . " (٣)

أما الجولة الثانية من هذه المناظرة فقد سمى في عقد ها أبو علي حيث نشط  
 للجمع بين الخصمين ٠٠ فكانت الخوارزمي يستدعيه ، فاعتذر وتهاطأ القبول ، وكان  
 يعلم أن القوم يأترون به ، في حين لبى البديع هذه الدعوة جذاً لان فرحاً حسب ما يرويه  
 ويصف البديع مجي الخوارزمي في جماعة من أصحابه ، وتلاميذه بهذا الوصف المقتضد  
 " فجاءنا في طبقة أف وعدة تف ، كل بخير قد ره اصبغ وأنفه خمسة أشبار ٠٠ لا تنال الصين

(٢) نفس المرجع ص ١٨

(١) رسائل البديع ص ١٨

(٣) نفس المرجع ص ١٩

منهم الا جيسا ٠٠٠ ثم رأينا رجالا جوفاء قد حلقوا صفوا ، فأما المعرة ، ولم  
نخس المعرة " (١) .

ويأخذ البديع على الخوارزمي تمثله قبل البد ، بشرط بيت لا تقتضيه الحال ، حيث  
قال قبل البد : " مرانا في الحباله نستبق " (١) .

فتكلم الخوارزمي كثيرا - كما يقول البديع - ولكنه لم يثبت من كلامه شيئا ، فهو يقول  
وتركنا على غلوائه حتى اذا نفس مافي رأسه وغرغ مافي جسميته عطفنا عليه " (٢) .

وفي مقابله اغفال البديع لما قاله الخوارزمي نراه يسهب فيما قاله في مقدمة هــذا  
المقام من كلمات وجمل يحسن سبكها ويختار لفظها ، ولا ندري أهو نفس الكلام السدي  
قاله في أثناء المناظرة أم أنه صاغه بأسلوب جميل في هــو ، حينما كتب هذه المناظرة بعيدا  
عن جو التوتر والقلق ؟ .. فطلب البديع أن يكون موضوع المناقشة .. الحفظ والنظم  
والنشر ، والبدية هي الابواب التي بين فيها الخوارزمي كما يقول البديع : " ولنبدأ  
بالفن الذي ملكت به زمانك وفقت به أقرانك وملكك به عنا نك وأخذت منه مكانك .. وأفحمت  
به الرجال حتى أذعن الصالح وقلد الجاهل " (٣) . وهي شهادة من البديع للخوارزمي  
وان وردت على شكل التهنيت .

فطلب الخوارزمي أن يتسابقا في البديهة .. كما يقول البديع - مع أنه أقسو  
في الابواب الاخرى ، وطلب من أبي الحسن أن يقول بيتا لجيزه .. ولكن البديع لم يوافق  
واقترح ان يأخذ قصيدة للخوارزمي من ديوانه مكونة من ثلاثين بيتا وادعى أنه يستطيع  
أن " يقرن كل بيت بوقفه وينظم كل معنى الى لفظه بحيث يصيب أغراضه ولا يعيد الفاظه  
بشرط ألا يقطع النفس " (٤) ، فان استطاع ناقد ان يميز قول الخوارزمي من قوله أو يرجح

(٢) نفس المرجع ص ٢١

(٤) نفس المصدر ص ٢١

(١) نفس المرجع ص ٢٠

(٣) نفس المرجع ص ٢٠

أحد هما على الآخر فللخوارزمي يد السبق ، فاعتري الخوارزمي محتجا أنه لا يأم أن يكون  
قد أعد هذا النظم من قبل ، ثم اقترح أيضا أن يختار الخوارزمي لقصيدته قوافي غير ما بناها  
عليه . ولكن الخوارزمي رضى هذا أيضا ، ولا أدري ما سر تثبيت البديع بقصيدة الخوارزمي  
تلك لينسج على منوالها ؟

وأخيرا وافق الخصمان على أن يجهزا بيتا لابي الحسين كتابة . فكتب البديع :

هذا الاديب على تحسيف فتكسبه	ومروكه عند القريش ببركسه
تمسرح في كل ما يمتداده	من نظمه متباطي عن تركسه
والشعر أبعد مذهبا ومضاعفدا	من أن يكون مطيعة في فكسه
والنظم بحر والخواطر ممر	فانظر الى بحر القريش وفلكسه
فمتى توانى في القريش مقسره	عزيت اذن الامتحان بمركسه
هذا الشريف على تقدم بيتسه	في المكرمات ورفعة سمكسه
قد رامنى أن أقارن مثلسه	وأنا القريش السوء ان لم أنكسه
واذا نظمت قصبت ظمهر مناطسرى	وحطمت جارية القريش يد كسه
ودبغت منه أديمه وتركسه	نهيح الاديم بدبغة ويد لكسه
أعضوا الى الشعر الذى نظمته	كالدور رصع في مجرة سالكسه
فمتى هجرت عن القريش بديهسه	فدعى الحرام له اراقة سفكسه

( ١ )

وهذه أبيات كما نرى مقسطة الحسن عموما ولكنها جيدة اذا كانت حقيقة مسن  
وحى الموقف وعلى البديعة . . . ويدعى الزمان مصروف بسرعة البديهة وقوة المعارضة ، أما  
الخوارزمي فلم يجرؤ على اظهار ما كتبه رغم محاولة البديع . ولكننا نقترح أن يقولوا مشافهة  
من غير كتابة ، اجازة لقول المتبى :

أرى على أرى ومثلى يـــــــأرى      وجوى يزبد وهـسيرة تترقــــى

فبدأ الخوارزمى فقال :

وإذا ابتد هت بديهة ياســــىدى	فأراك عند بديهتى تطلقــــى
وإذا قرضت الشمر فى ميدانــــه	لاشك أنك يا أخى تشقــــى
انى إذا قلت البديهة قلتــــى	عجلا وطبعك عند طبعى يرفــــى
مالى أراك ولست مثلى عند هــــى	متموها بالترهات تخــــى
انى أجيز على البديهة مثلــــى	تريانه وإذا نطقت أصــــى
لو كنت من سخر أصم لها لــــى	منى البديهة واغدى يتقلــــى
أو كنت ليثا فى البديهة خــــاد را	لرويت يا مسكين منى تشــــى
وبديهة قد قلتها متنفــــى	فمن الذى قد قلت يا ذا الاخــــى (١)

والحقيقة أن أبيات الخوارزمى - ركيكة مهلهلة فقد أكثر فيها من تكرار  
" البديهة " حتى ملت ، كما أتى بقوافى مكرهة ، وأخرى غير جارية على القياس اللغوى  
كقوله " يتقلق " ولكنها على أية حال قيلت ارتجالا فرد بديع الزمان :

مهلا أبا بكر فزندك أغــــى	فاخرى فان أخاك حــــى يــــى
دعنى أعرك إذا سكت سلا مــــى	فالقول ينجد فى ذوبك ويمــــى
ولفاتك فتكات سو فى كــــى	فدح الستور وراءها لا تخــــى
وانظر لا شفح ما أقول وادعــــى	انى الى أعراكم متسلــــى
يا أحمقا وكفاك ذاك خــــى	جريت نار محترق هل تحــــى ؟ (١)

وإذا كان البديع التزم الأمانة فيما قال ، فأبياتهم على قلتها تعلو أبيات الخوارزمى  
وتفوقها حسن سبك ، واتساق معنى ، واختيار الفاظ ولا يعيبها أنيسه صرف " أحقق "





معنى " الكنود " خاصة وأن الكلمة وردت في القرآن الكريم . إلا إذا كان غرضه المناظرة وأقحام خصمه ، ولو كان غرضه النقد الموضوعي لنقد خصمه في تكرار معنى الشطر الأول فسنرى الشطر الثاني من البيت ، وتكرار كلمة " تزال " مرتين . ويحتمل أنه أدرك أنه لا يستطيع مجازاة البديع في هذا المجال فأراد أن يقطعها ويخايقه ويثير أعصابه لئلا يعطيه مجالاً لكشف عجزه . ولهذا وحسب ما يرويه البديع استطاع الخوارزمي أن يغير مجرى الحديث من المناظرة للمنافرة بعد مشادة كلامية فالبديع يقول :

" فنبذ الأدب وراء ظهره وصار إلى السخف يغرف علينا غرفاً ويستقي من جوفه جرفاً ، فقلت يا هذا : إن الأدب يغير سوء الأدب للمناظرة حضرننا للمنافرة " (١) واستمر الخوارزمي ثم يقول البديع " في هذا وهزائه واستدت إلى السند وضعت اليد على اليد " (٢) ليرى الجالسين أنه أملك لأعصابه وأقدر على كبح جماح عواطفه ثم عطف عليه كما يقول . . فقال : " إن تكلفى لنفسه أشد استمراراً من طبعك وغربى في السخف أمتن عسوداً من نبحك وستخرج باب السخف منك ونفترج من ظهر السفه مفترجك فتكلم الآن " (١)

فقال الخوارزمي يفاخره بماله : " أنا قد كسبت بهذا المقلدية أهل همسذان مع قلته فما أقدت أنت بمقلدك مع غزارته " (١)

فرد عليه البديع أنه إنما استفاد هذا المال من الكدية والسؤال " ولأن يقال : يا فاعل يا عانع أحباله من أن يقال : يا شحاذ يا مكدى . . . فأما مالك فمعدننا يهودى يماثلك في غده ويتركك بذهبه ومع ذلك لا يطرفنى إلا بعين الرهبة ولا يمسسني إلى الأبد الرغبة " . (١)

ثم يتحول البديع من الدفاع إلى الهجوم حيث أخذ يكيل لمنافسه الشيخ ، التهميم

الجارح من مثل قوله : " ولكن عرفتى هل كنت فيما سلف من زمانك ونبت من أسنانك  
الا هاربا بذمائك مخرجاً بذمائك مرتبها بقولك ، بين وحنة موشومة وجوارح مشومسة  
ودار مهدومة وخدود ملطومة " (١) وقبل أن يجيب الخوارزمي عن هذه التهم المبتسة  
يطلب البديع من المبنى أن يفنى أبياتا منها :

وشبهنا بنفسج عارضيه بقايا الوشم في الخد الرقيق

فقال الخوارزمي : " أحسن ما في الأمر أني احتفظ هذه القصيدة وهو لا يعرفها ،  
فقلت : يا عافاك الله - أعرفها وإن تشد تكها ساءك مسموعها . . . فقال : انشد . فقلت :  
ولكن روايتي تخالف هذه الرواية ، وأنشدت :

(١) وشبهنا بنفسج عارضيه بقايا الوشم في الوجوه السفيف

" وكان الخوارزمي هجا بعض الملوك فظفر به قوسه في جبهته سطرين فيهما  
سطران بأقبح هجاء ، فكان يشد الحمامة على حاجبيه سترًا عليهما " (٢) فهو يعرف بهذا  
وللدارس أن يتأمل : هذا اختيار البديع هذه القصيدة للمبنى مقصود ومعد ، ليوقس  
الخوارزمي فيما يكره ؟ حيث يصرف أن فيها هذا البيت الذي يفصح ما يستتر عليه ؟

وهذا التساؤل يقودنا الى شك أب . د . من هذا ، يتعلق بالمناظرة ككل ، فكما  
يمكن أن يتفق مع المبنى ليفنى أبياتا تؤذى خصمه ، فلما ذا لا يكون قد اتفق مع حكسار  
المناظرة والوجهاء الذين حضروها مادام بهذا المكر والدهاء ، أم تراه حرف فسي  
البيت واستغل ذلك ليشغل السامعين عن عجزه عن القاء القصيدة التي تحداه الخوارزمي  
أن يرويهما حقاً ؟ وإذا كان الأمر غير معد ، بل هو وليد الصدفة ، وأنه فطن لهذا  
البيت الذي يخجل الخوارزمي أمام القوم بما كشفه من عيبه ، فهو دليل على ذكاء وفطنة  
وقوة عارضة غير عادية .

ولهذا ، وحسب ما يرويه البديع ، بهت الخوارزمي وفقد أعصابه وراح يهدد ..  
 البديع بالضرب بقوله : " والله لأضربنك وإن نهرت " <sup>(١)</sup> فرد عليه البديع .. ساخرا  
 " مهلا فانك بين ثلاثة فصول لم تتخطها من عمرك ، وانت في جميع الثلاثة ظالم في وعيدك  
 متعدد في تهديديك ، لأنك كهمل وانت شاعر ، وكنت شابا وانت قاهر ، وكنت صبيا وانت  
 مؤاجر ، فنتطاي القدرة في الفصول الثلاثة ضيق عن هذا الوعد " <sup>(١)</sup> فقال الخوارزمي :  
 " والله لو دخلت الجنة واتخذت السندس والاستبرق جنة لصفقت " <sup>(٢)</sup>

ورد عليه البديع وزاد - على هذا الخوال - وتمثل بأبيات .. وكانت ههنا  
 المناصرة ختام الـ ولسة الثانية ، والتي حكم فيها البديع لنفسه بالخيلة ووضع منافسه  
 بقوله : " فقمنا عن الليل وهو يحسره ، مائل الذقن إلى ما ولى ، وظنى أن هذا الفاضل  
 يأكل يده ندما ، ويبكى على ما جرى دمعا ودما فانه إذا سمع بحديث هذان ، قال :  
 الهاء : هم ، والميم : موت والذال : ذل ، والالف : آفة ، والنون : ندامة ..  
 وانه إذا نام هاله مناطيف وإذا انتبه راعه مناسيف .. وأخذ الناس يترازمون بما جرى  
 ويتغامزون " <sup>(٢)</sup> وراح الخوارزمي يدافع عن مركزه وسمعته التي اهتزت في أذهان الناس  
 ويؤكد أنه هو الغالب .. وقبل أن نسمع رأي الحكماء في المناظرة يسمي وجوه من القديسون  
 بالصلح بين الخصمين ويتم الصلح في دار أبي بكر الخوارزمي ، بعد أن اعتذر له البديع عما  
 بدر منه .. وقد أقام البديع في ضيافته ذلك اليوم .. مع أن الخوارزمي كان متناقلا في السمع  
 للمصالحة كما اعتذر البديع عن مشاركة الخوارزمي في الزاد والصلح - إلا أن المصالحة  
 تمت وبقيت حزازات النفوس كما هي .. كما يقول الشاعر :

وقد تبت الخضراء في دمن الشـسرى      وتبقى حزازات النفوس كما هيـسرى

( ١ ) رسائل البديع ص ٢٦

( ٢ ) نفس المصدر ص ٢٧

وهناك رسالة بحث بها البديع الخوارزمي في فترة الصلح أورد لها يا قوت فسي  
مجمعه . . يعتذر للخوارزمي عن غيابه عن مجلسه يقول فيها :

" أنا وإن كنت مقصرا في موجبات الفضل من حضور مجلس الاستاذ سيدى فمسا  
أقرى الا جلدى ولا أبرى الا قدسى ، ولا أبخى الا حظى وإن يكن ذلك جرما فلقى هذا  
عقابا . ومع ذلك فما أعمر أوقاتي الا بمدحه ولا أطرز ساعاتى الا بذكره ، ولا أركن الا فى  
حلبة وصفه - حرس الله فضله - نعم . . وقد رددت كتابا لأراى للصولى ، وتطاولت لكتاب  
البيان والتبيين المجاحظ ، وللاستاذ سيدى فى الفضل والتفضل به رأيه " (١)

وهذا يدلنا على أن الخوارزمي كان له مجلس يؤمه أهل العلم والفضل وإن كان  
مكتبة كبيرة يستمير منها أصدقاؤه وتلاميذه . . ويدل على حاجة البديع له واعتراقه  
بفضله .

ولم يدع ذلك الصلح طويلا ذلك أنه صلح غير مكتمل فلم يغسل ما فى نفسيهما ، فاشتعلت  
الفتنة بينهما من جديد . . بسبب ما يرويه السماع لابي بكر من افتخار البديع واشاعته بين  
الناس أنه هزمه وقد انتشر حديث هذه المناظرة بين الناس . ولعل البديع أخذ يفاخر  
فملا وتباهى بفوز على الخوارزمي فضايق الخوارزمي من هذا التباهى فأراد أن يعيدهما  
ينزلا ليؤكد للناس أنه فارس الحلبة وزعيم الادب . فى حين أن البديع يدعى أن نفسه  
صفت للخوارزمي وأنه قد رضى عنه وصار لا يتحلى الا بمدحه ولا ينتقل الا بذكره ولا يعتد  
الا بوجه وقد ملا البلد شكرا والاسماع نشر . (٢)

ولكن الخوارزمي يرسل للبديع ، يقول : " قد تواترت الاخبار وتلاهرت الاثار  
فى أنك قهرت وأنى قهرت ، ولا أشك أن ذلك التواتر عنك صدرت أوائل والخبراف

(١) معجم الادباء ٢/ ١٩٥ - ١٩٦

(٢) انظر رسائل البديع ص ٢٨



إذا سار غيري في التشيع برجلين طرت بجناحين ، وإذا مت غيري في مولاة أهل البيت بلحمة دالة ، توسلت بفرقة لا ثمة . . . ثم إن لي في آل الرسول صلى الله عليه وسلم قصائد قد نظمت حاشيتي البر والبحر . . . وللآخرة قلتها لا للحاضرة وللدن يا دخرتها لا للدنيا فقال أنشدني بعضها ؟ (١) فأنشده قصيدة طويلة في مدح آل البيت .

" فلما أنشدت ما أنشدت وسرت ما سرت انحلت العقدة وصار سلما يوسعنا حلما (٢) وليس السيد أبو الحسين وحده الذي استطاع البديع حل عقده بأظهر التشيع بل يظهر أنه حل عقد الكثير من حضر هذا المجلس ، فالقوم شيعة والبيئة كلمها شيعية ولا شك أن كلام البديع قد أرضا هم . . خاصة وأن كل هذا حصل قبل مجيئ الحوارزمي .

وقبل حضور الخوارزمي أخذ الحاضرون يختبرون سرعة بديهته بأقـسـتـراج القوافي وما شاكلها فاقترحوا عليه أن يمينوا القوافي والمحاني والبحر . . فان استطاع أن يقول شهادته بالاحسان وأنه لا فتى الا هو . . . ويقول البديع : " وما خرجت من عهد هذا التكليف حتى أرتفعت الاصوات بالهيللة من جانب والحوقة من آخر وتمجبوا إذ أرتهم الايام ما لم ترهم الا هلام وجاد هم العيان بما بخل به السماع ، وأنجزهم لفهم ما أخلفهم الوهم (١) " . ولم يحضر الخوارزمي الا بعد أن استولى البديع على اعجاب الحاضرين وبهرهم بفنه واستمالهم الى جانبه .

ولما دخل قصد صدر المجلس ليدل على أنه من وجوه القوم ، ولما أخذ مجلسه طلب منه البديع أن يتزحزح منه ، ليقابله فرد عليه الخوارزمي بقوله : " لست برب الدار فتأمر على الزوار (٢) فقال البديع : " حضرت لتناظرني والمناظرة اشتقت اما من النظر

( ١ ) انظر نفس المرجع ص ٣٠

( ٢ ) نفس المرجع ص ٣١

( ٣ ) نفس المرجع ص ٣٢

أو من النظر ، فإن كان اشتقاقها من النظر فمن حسن النظر أن يكون مقعدنا واحدا حتى يتبين الفاضل من المفضول . . . فقضت الجماعة بما قضيت (١) .

وواضح أن هذه أول اهانة للخوارزمي سدد بها خصمه له بعد أن هيا النفوس لمناصرته وأرضاها بحسن بيانه وحلاوة منطقته وحدة ذكائه وجرى بالخوارزمي أن تشور أعصابه وأن يرتبك لسانه بعد أن استطاع خصمه اجباره بالحجة على القيام من مجلسه . . .

فطلب منه البديع أن يختار أى علم ليتناظرا فيه ، فأوصأ الخوارزمي الى النحو ، فاعترض البديع بحجة أن النهار قد انقطع والنحو ميدان واسع والناس الحاضرون يريدون أن يخرجوا بفائدة . . . ومرة أخرى ينال البديع تأييد الحضور . . . ولو قبل البديع التناظر فى النحو لظهر علم الخوارزمي لتبحره فيه ولأن النحو علم وليس أدباً يحسنه البديع بحسن أسلوبه وحلاوة منطقته . . . ولكنه تخلص من هذا المأزق بذلك .

ومن الاساليب الملتوية أن يطلب من الخوارزمي اذا كان يريد أن يناظره فى النحو أن يسلم له الحفظ والبديهة والترسل . . . وكان الاجدر بالخوارزمي أن يقول للبديع : سلم لى بالنحو حتى نفرغ لما تريد من هذه الابواب . ولكنه بقي مصمرا ألا يناظر الا فى النحو . . . غير أن أحد الحاضرين قال للخوارزمي : " ان تشاقلك عن هذه الابواب التى عدها هذا الشاب بما يتهم ويوهم ، فاضطره اما للمنازلة أو النزول عنها " ثم سلم الخوارزمي لخصمه الحفظ كما يروى البديع - مع أنه ممن

أعلامه ومن يضرب به المثل فيه فقال له البديع " خفف الله عنك كما خففت عنا فسي  
الحفظ . . . فلو تفضلت وسلمت البديهة أيضا مع الترسل حتى تفرغ للنحو الذى  
أنت عليه كبير واللغة التى أنت بها أعرف والعروض الذى أنت عليه أجراً ولا مثال  
التى لك فيها السبق والقدم ، ولا شمار التى أنت فيها تقدم (١) . " فيخضب  
هذا الكلام الخوارزمي فيتراجع عن تنازله عن الحفظ " ويستفيد البديع من تراجع  
الخوارزمي عن الحفظ ويقلبه عن تنازله ليتناظرا فيه بدلا من النحو . فطلب منه  
البديع أن ينشده خمسين بيتا من قبله مرتين وأن ينشده هو عشرين بيتا من قبله عشرين  
مرة (٢) " فيحجر الخوارزمي من ذلك وهو أمر غريب . . . اذ كيف يحجز عن حفظ  
خمسين بيتا وهو الذى قال لحاجب الصاحب وقد أخبره أن مولاه اشترط ألا يدخل  
عليه الا من يحفظ عشرين ألف بيت من الشعر - أيريدها من شعر الرجال أم من  
شعر النساء ؟ (٣) على أن طلب البديع غامض ، فلا يدري أيريد من خصمه أن يقول  
الخمسين بيتا من محفوظاته أم ارتجالا ويرددها مرتين . . . وكيف يطلب منه أن  
يرددها مرتين وهو يرددها عشرين مرة . . . على أنه اذا رددها مرتين سهل  
عليه أن يرددها . . . أكثر .

ثم عادا للبديهة . . . فاقترح أحد الحاضرين أن يقولوا على مثل قول أبي  
الشمس :

أبقى الزمان به ندوب عضاض      ورعى سواد قرونه ببياض  
فارتجل أبو بكر هذه الأبيات :

( ١ ) نفس المرجع ص ٣٣

( ٢ ) نفس المرجع ص ٣٤

( ٣ ) . وفيات الاعيان ٤٠٢ / ٤ ،



يا قاضيا ما مثله من قاض

أنا بالذى تقضى علينا راضى

فلقد لبست ضفية ملمومة

من نسج ذاك البارق الفضفاض

لا تخضين اذا نظمت تنفسا

ان الضافى مثل ذاك تفاضى

فلقد بليت بشاعر متقادر

ولقد بليت بناب ذئب غاضى

فلا غلبن بدية بديمتى

ولا أرمين سواده ببياضى (١)

فاخذ البديع ينتقد أبيات الخوارزمي فسأله عن معنى : " ضفية ملمومة " وماذا أراد

" البارق الفضفاض ؟ " فأنكر أن يكون قالها ١.١. ولكن الجالسين شهدوا عليه

أنه قالها . ثم سأله عن معنى " ذئب غاضى " فقال الخوارزمي هو الذى يأكل الفضا (٢)

فقال البديع : استعنى الجمل وصار الذئب جملا يأكل الفضا . وسأله عن معنى

" ان الضافى فى مثل ذاك تفاضى " فان الضفا ليس بمعنى الاغضاء ؟ فأنكر الخوارزمي

مرة ثانية أن يكون قال " الفضا " بل أنكر البيت جملة . . وهذا أمر مضحك . ان ،

كيف ينكر بيحين من ستة أبيات وهو الاديب الوقور الذى يحترم نفسه أمام مجلس فيه

وجوه السقوم من أدباء ورؤساء . . الا أن يكون الموقف افقده توازنه ثم كيف

يغيب عن علم الخوارزمي أن الذئب من الحيوانات آكلة اللحم وليس جملا يأكل الفضا ؟

الا اذا كان لا يعرف معنى كلمة " الفضا " وكيف وهو اللغوى المشهور الذى اعتمد

عليه الشعالى فى تأليف كتابه " فقه اللغة (٢) " ؟ وهو تلميذ ابن خالجه اللغوى

المعروف ؟ !!

ثم سأله عن معنى " قراض " فهو ليس مصدرا قياسيا لقرضت الشعر " وقال له البديع :

" ملا قلت كما قلت وسقت الحشا الى القافية كما سقته فقال الخوارزمي هذه طريقة

( ١ ) رسائل البديع ص ٣٣

( ٢ ) انظر فقه اللغة ص ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٨ . . . على سبيل المثال

لم تسلكها العرب فلا أسلكها (٣) " ولا أدري ماذا قصد البديع بقوله " هلا قلت كما قلت " وهل أراد به قصيدته الأولى أو التي سوف تأتي ؟ !

وللبديع الحق في أن ينتقد قصيدة الخوارزمي ، ونقده موضوعي وصحيح غير أن الأمر الذي يحتاج للنقد هو اجابات الخوارزمي على نقد البديع . ولعل هذا أكبر مدغم في أمانة البديع العلمية فلا يمكن لا ديب أن يصدق أن هذه هي اجابات الخوارزمي العالم الاديب المشهور ، كما لا يمكن اعتبار ذلك استهزاء منه ، إذ أن للموقف لا يحتمل ذلك . فلم يبق الا أن البديع حرف اجابات خصمه ليظهره جاهلا أحق لا يحسن التفكير ، وأنه هو العالم وحده ! ولأجل هذه المغالطات ولانكار طلب أحد الحاضرين أن يكتب ما يقولان لئلا يتسنى لهما الانكار . فقال البديع (١) :

برز الربيع لنا برونق مائه	فانظر لروعة مائه وسمائيه
فالترب بين ممسك ومعنبر	من نوره بل مائه وروائيه
والما بين مصندل ومكفر	في حسن كدرته ولون صفائه
والطير مثل المحصنات صواح	مثل المغنى شاديا بغنائيه
والورد ليس بمسك ريساه	يهدى لنا نفحاته من مائه
ومن الربيع جلبت أزكى متجير	وجلوت للرائين خير جلائيه
فكانه هذا الرئيسى اذا بدا	في خلقه وصفائه وعطائيه
بحمى أعز محجروندى أغر	محجل في خلقه ووفائيه
يمشوا اليه المجتوى والمجتدى	والمجتوى هو هاربا بمائه (٢)
ما البحر في تزخاره والغيث في	امطاره والجوفى أنوائيه
بأجل منه مواها ورغائيه	لا زال هذا المجد حلف فنائيه
والسادة الباقون سادة عصرهم	متدحون بمدحه وثنائيه

( ١ ) رسائل البديع ص ٣٥

( ٢ ) المجتوى : المنخفض

فاتهمه الخوارزمي أنه انتحلها غير أنها غابت عن حفظه !! ثم أخذ ينتقد ها . فقال : " جمعت فيها بين اقوا وأكفا وأخطا وأبطا " (١) واستمر في نقده حتى قال البديع : " انه رد عليه عشرين ردا ونقد عليه فيها كذا نقدا " (٢) ولكن البديع لم يرو لنا ذلك النقد وتلك الردود !! سوى أن الخوارزمي قال له : " لا يقال نظرت لكدا ، وإنما يقال : نظرت اليه " (٣) .

ويقول البديع ان الجماعة كفته اجابته . كما انتقد عليه تشبيه الطير بالمحصنات وليس بينهما شبه ، وكيف شبهها بالمحصنات ثم شبهها بالمفنى ؟ فرد عليه البديع بقوله : " يارقيع اذا جاء الربيع كانت شواذى الاطيار تحت ورق الاشجار ، فيكن كأنهن المخدرات تحت الأستار .. فهن فى الخدر .. كالمحصنات وكالمفنى فى ترجيع الأصوات " (٢) . والحق أن تشبيه الطير بالمفنى وارد ، أما تشبيهها بالمحصنات فيحيد .

ثم قال له : لو قلت بدل أزكى متجر " أريج متجر " لكان أحسن ، فرد البديع : ان الربيع ليس بتاجر يجلب البضائع المريحة . ثم انتقد عليه قوله " الفيث فى امطاره اذا أن الفيث هو المطر ؟

فقال البديع : " لاسقى الله الفيث أدبيا لا يعرف الفيث . ان .. الفيث هو المطر ، وهو السحاب ، كما أن السماء هو المطر وهو السحاب (٢) ثم فرغا للترسل فادعا البديع أنه يجيد أربع مائة صنف من الترسل ! منها : أن يكتب كتابا يعرف منه جوابه أو يكتب فى المعنى الذى يقع له كتابا يقرأ من آخره الى أوله أو يكتب كتابا اذا قرئ من أوله كان كتابا واذا عكست سطوره كان جوابا

(١) نفس المرجع ص ٣٤٠

(٢) نفس المرجع ص ٣٦٠

... فقال الخوارزمي هذه الابواب شعبة (١) فقال له البديع : وهذا القول  
طريفة ! ! والحقيقة أن هذه الابواب من التوسل أشبه ما تكون بالألفاز وإذا كان  
ما يقوله البديع صحيحا من أنه يجيد كل هذه الأنواع فهي للتسلية والمفالبة  
.. وليست من الكتابة الفنية التي يتبارى فيها الكتاب لتظهر فيها قدرتهم  
الفنية ، وقد تكون تلك الفنون التي عدد ما البديع ، من الكتابة شائعة في  
زمانه ورائجة ولها عشاقها وروادها .. يقضون بها أوقات فراغهم ويشغلون بها  
في سمرهم .

ولما اعتذر الخوارزمي عن هذه الحذقة والتلاعب بالأساليب ، قال له البديع :  
فما الأنواع التي تجيدها ؟ حتى أباحثك على مكنونها وأكثرك بمخزونها ، واشبر  
فيها قلمك ، واسبر فيها لسانك وفمك ؟ فقال الخوارزمي : " الكتابة التي يتعاطاها  
أهل الزمان المتعارفة بين الناس "

فقال له البديع : " أليس لا تحسن من الكتابة إلا هذه الطريقة الساذجة ؟  
وهذا النوع الواحد المتداول بكل قلم ، المتناول بكل يد وفم ؟ " (٢) .

فقال الخوارزمي : نعم . ثم قال البديع : هات الآن حتى أطاولك  
بهذا الحبل وأنا ضلك بهذا النبل ثم تقاس ألفاظي بألفاظك ومعارض انشائي  
بانشاءك (٣) .. واقترح " كتابا يكتب في النقود وفسادها والتجارات ووقوفها  
والصناعات وانقطاعها والأشعار وفلائها " (٤) ولا أدري كيف وافق الخوارزمي على  
اقتراح البديع فلهذه قد أعد كتابة هذا الموضوع .

ولعل إيراد البديع لتلك الأنواع من الكتابة بهتته وشغلته عن معارضته  
في اقتراحه ، أو لعل ثقة الخوارزمي باجادة الكتابة جعلته لا يحسب حسابا لخصمه  
في هذا النوع من الحساب ، ولو كان قد أعدّه من قبل .

(١) الشعبة : خفة اليد وأخذ كالسحر ( أساس البلاغة ) .

(٢) أنظر أسس البديع ص ٣٧ - ٣٨ .

فكتب الخوارزمي كما يروى البديع :

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرهم والدينار ثمن الدنيا والآخرة ، بهما يتوصل الى جنات النعيم  
 ويهلك في نار الجحيم . قال الله تبارك وتعالى : " خذ من أموالهم صدقة  
 تطهرهم وتزكّيهم بها وصل عليهم " وقد بلغنا من فساد النقود ما أكبرناه أشد  
 الاكبار وأنكرناه أعظم الانكار ، لما نراه من الصلاح للعباد ونهيه من الخير للبلاد  
 وتعرفنا في ذلك ما يربح للناس في السزوع والضرع ويعود اليه أمر الضر والتفزع  
 الى كلمات لم تعلق بحفظنا <sup>(١)</sup> ويظهر أن رسالة الخوارزمي لم تعلق بحفظ  
 البديع كلها . . فليست هذه كتابة الخوارزمي التي نعرفها وليس هذا الأسلوب  
 الركيك والمعنى المضطرب هو أسلوب أبي بكر إلا أن يكون حاله الموقف حتى أضعف  
 أسلوبه الى هذه الدرجة . .

فقال البديع : " ان الاكبار والانكار والعباد والبلاد وجنات النعيم ونار  
 الجحيم والزرع والضرع . . أسجاع ثبتت في المهد . . ولم تزل في اليد " <sup>(١)</sup> . .  
 ولا نستطيع الاعتراض على نقد البديع لأسجاع الخوارزمي مع أن السجع هو حليسة  
 الكتابة في عصره لأن سجع الخوارزمي في هذه القطعة جاء باردا .

ثم ناول البديع الخوارزمي رسالته التي كتبها وهو نوع من أنواع الأساليب  
 التي اقترحها وادعى أنه يجيدها . ان هي تقرأ من آخرها الى أولها . . وهي :

( ١ ) أنظر نفس المرجع ص ٣٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم

" الله شاء أن المحاضر صدور بها وتلأ المنابر ظهور لها وتفرع الدفاتر  
وجوه بها وتمشق المحابر بطون لها .. ترشق آثارا كانت فيمنه آمالنا مقتضى ..  
أيادى على تأييد الله أدام الأمير جرى فاذا المسلمين ظهور عن الثقل هذا ويرفع  
الدين أهل عن الكل هذا يحط أن في إليه نتضرع ونحن واقفة والتجارات زائفة  
النقود وصيارفة . أجمع الناس صار كريما نظرا لينظر شيمه مصاب وانتجعنا كرمه  
بارقة وشمنا همه على آمالنا رقاب وعلقنا أحوالنا وجوه له وكشفنا آمالنا وفود إليه  
بعثنا فقد نظره بجميل يتداركنا أن ونعماءه تأييده أدام وبقائه الله أطال الجليل  
الأمير رأى ان .. " (١) وهي بهذا الشكل لا معنى لها ولكن البديع قرأها  
عليهم وترجمتها كالآتى :

" ان رأى الأمير الجليل أطال الله بقاءه وأدام تأييده ونعماءه أن يتداركنا بجميل  
نظره ، فقد بعثنا إليه وفود آمالنا وكشفنا له وجوه أحوالنا وعلقنا رقاب آمالنا  
على همه وشمنا بارقة كرمه وانتجعنا مصاب شيمه لينظر نظرا كريما ، فقد صار  
الناس أجمع صيارفة والنقود زائفة والتجارات واقفة ، ونحن نتضرع إليه في أن يحط  
هذا الكل عن أهل الدين ، ويرفع هذا الثقل عن ظهور المسلمين فاذا جرى  
الأمير أدام الله تأييده على أياديه مقتضى آمالنا فيه كانت آثارا ترشق لها بطون المحابر  
وتمشق وجوه الدفاتر وتفرع لها ظهور المنابر وتلأ بها صدور المحاضر ان شاء الله  
.. ولا أشك أن الخوارزمي قد دهن عند قراءتها ، وكذلك دهن الحاضرون ذلك  
أنها تختلف عن الكتابة المتعارفة بين الناس - وكذلك لم ينتقد ها الخوارزمي  
وكيف ينتقد ها وهو لا يعرف كيف يقرأها ؟

وقد أعجب الحاضرون ببراعة البديع فلا أظن أنهم يتقبلون بعد هذا أى نقد للخوارزمي فيها . . والرسالة على العموم حتى بعد ترجمتها جيدة ولا ينقصها سجعها وازدواجها جمالا . . ثم مالوا الى اللغة فقال البديع : " يا أبا بكر . . هذه اللغة التي هددتنا بها وحدثتنا عنها وهذه كتبها وتلك مؤلفاتهم — فخذ : " غريب المصنف " ان شئت " واصلاح المنطق " ان أردت و " ألفاظ ابن السكيت " ان نشئت و " مجمل اللغة " ان اخترت ، فهو ألف ورقة و أدب . . الكاتب " ان أردت واقترح علي أى باب ان شئت من هذه الكتب حتى أجمله لك نقدا وأسرده عليك سردا " فقال : اقرأ من غريب المصنف " رجل ماس خفيف على مثال مال وما أسماه " ، فاندفعت في الباب حتى قرأته فلم أتردد فيه ، وأتييت على الباب الذي يليه ثم قلت اقترح . فقالوا : كفى ذلك (١) .

ولا أدري كيف جملوا الحفظ في علم اللغة هو المقياس لا جادتها ، وانما المقياس فهم قواعد ما وأصولها وفريبها ودخيلها . . . الخ . ثم طلب البديع من الخوارزمي أن يسرد عليه باب المصادر غيبا من " أخبار فصيح ثعلب " فصجز عن ذلك وسلم اللغة كما يقول البديع . ثم عرج على المروزي وسرد خمسة أبحر بألقابها وأبياتها وعلمها وزخافاتهما " كما يقول . . وعجز . . الخوارزمي عن إعادة ما سرد البديع فضجر الناس وقاموا عن المجلس . . على أن عجز الخوارزمي عن حفظ العروض واللغة اذا صح لا يقدر في علمه وأدبه فاللغة والمروزي لا تحفظ كما يحفظ الشعر . . ويصور لنا البديع انفضاض المجلس تصويرا يرفعه فوق النجوم وينزل بالخوارزمي تحت التراب فهو يقول : " وقاموا عن المجلس يفدونني بالأشهاد والأب ويشيرونه باللعن والسب " (١) ثم يصور لنا وقع الهزيمة

وأثرها على الخوارزمي تصوير الشامت . فيقول : " وقام الخوارزمي مفشـمـا  
عليه <sup>(١)</sup> ثم يصور نفسه في صورة الفتى الشهم الذي يسعف عدوه بعد أن أشغنه  
بالجراح وقد قهره وقلبه على أمره فيقول : " فقامت إليه فقلت :

" يمز علي في الميدان أنــــى \* قتلت منافسى جلدا وقهــــرا  
ولكن رمت شيئا لم يرمــــه \* سواك فلم أطق يا ليت صبرا  
وقبلته في عينه ومسحت وجهه وقلت : أشهد أن الغلبة له ، فهلا جئتنا يا أبا بكر  
من باب الخلطة وفي باب المشورة ؟ " <sup>(١)</sup> .

وهو مشهد يدعو للدهشة والحزن في آن واحد . . . الدهشة من هذا  
الصراع العنيف الذي أنتهى بهذه النهاية القريبة من إصابة المغلوب بالاغما  
أمام الجمهور المتفرج وهو أكبر دليل على هزيمته وقيام الغالب بأسعاف مغلوبه  
ليؤكد شهرته وأن خصمه في حالة يشفق عليه حتى خصمه . . . وهو نوع من الشماته  
به .

والحزن لهذا الشيخ المجوز الذي ملأ الدنيا بذكوره وقضى عمره في خدمة  
اللغة والأدب وتعليم الناشئين وتخريجهم وتكون نهايته أن يهزئه هذا الشاب  
الناشئ \* ويفضحه أمام الملاء حتى أفقده ذلك شعوره وأصابه بالاغما . . . وفي ذلك  
يقول على الجندى : " ما ذكرت تلك المصاولة قط الاغام الحزن على عيني ، وملا  
الأسى شفاف قلبي وشمرت للبديع بمقت شديد يكاد يعقل لسانى عن الترحم  
عليه " <sup>(٢)</sup> ، ومحمد أن أفاق الخوارزمي أحضر الطعام فأراد البديع أن يجهز  
عليه ، ان قال له : " لم غشي عليك ؟

(١) أنظر نفس المرجع ص ٣٩٠ .

(٢) مجلة الرسالة سنة ١٩٣٩ م عدد ٣٣٧ ص ٢٠٣٢ .



فقال الخوارزمي : " لحمى الطبع وحى القرو " <sup>(١)</sup> فقال البديع : : " أين

أنت عن السجع ؟ هلا قلت : حى الطبع وحى الصفح " <sup>(١)</sup> .

فقاطعهم أحد الحاضرين قائلا للبديع : " أيها السيد أنت مع الجد والمهزل

تغلبه " <sup>(١)</sup> فرد البديع : " لا تظلموه ولا تطعموه طعاما يصير فى بطنه مفصلا

وفى عينه رمضا وفى جلده برضا وفى حلقه فصما " فقال أبو بكر : " هذه أسجاع

كنت حفظتها ، فقل كما أقوله ! يصير فى عينك قذى وفى حلقك أذى وفى صدرك

شجى " ، ثم رد عليه البديع بأقبح وأسفه من هذا ، فقال الخوارزمي

" والله لا تركك بين الميمات " بين مهزوم ومهذوم ومهشوم ومحموم ومرجوم <sup>(١)</sup> .

فرد عليه البديع مجاريا : " وأتركك بين الميمات أيضا بين الهيام والصدام ..

والجدام والحمام والزكام والسلام والبرسام والهام والسقام ، وبين السينات

.. وبين الغافات .. وبين الباءات .. وان شئنا كلنا بهذا الصاع وطاولنا بهذا

الذراع وعرضنا عليك من هذا المتاع ، وكأثرناك بهذه الأنواع " <sup>(٢)</sup> . وأخذ

يمدد من هذا السجع البديع حتى استفد طاقته .

ويختم هذه المناظرة بتصوير نهاية انتصاره وغد لان خصمه واستتاره من الناس

خجلا بفولسه : " ثم خرجت واحتجر .. ولما خرجت لم يلقونى الا بالشسفاه

تقبيلًا ولا أقواه تبجيلا وانتظروا خروجه الى أن غابت الشمس ولم يظهر .. ههـتى

حضره الليل بجنوده وخلع عليه الظلام فروقه " <sup>(٢)</sup> .

ويعد : فهذه المناظرة المشهورة التى دارت بين فحلين من أدباء القرن

الرابع كما رواها أحد الخصمين - وهو بديع الزمان الهمذاني .. وذلك أمر يتطلب

( ١ ) أنظر رسائل البديع ص ٤٠ .

( ٢ ) نفس المرجع ص ٤١ .

منا الوقوف والتحرز أمام ما أصدره البديع من أحكام وتهم ضد خصمه . وكما رأينا فان هذه المناظرة رغم طولها اقتضرت على الحفظ ، والبديهة . . . وقد ظهر فيها البديع فارس الحلبة الذى لا يشمق له غبار . . فلم تفته شاردة ولا واردة ، يضرب من بحر بحيث لم يمجزه سؤال ولم يقف أمام تحد ، يشترط على نفسه فوق ما يتحداه به خصمه ويأتى بالمطلوب وزيد عليه . . فقد أفحم الحاضرين قبل أن يفحم منافسه . حتى أنه وبالأمهات والآباء وقبلوه بالشفاه ، وهتفوا له بالألسن بمد أن بهرهم بفنه وشدة ذكائه وتصرفه فى شتى فروع العلم .

أما الخوارزمي فقد أظهره البديع شيخا جاهلا ، بل عييا لا يفهم فى الشعر ولا فى النثر ، ولا يدري ما اللفة ولا الصروض ، لم يصب فى جواب واحد ، ولا استطاع أن يدافع عن نفسه دفاعا منطقيا ولمرة واحدة . . أو ينتقد منافسه انتقادا صحيحا .

ومن هنا يجوز لى أن أشك فى أمانة بديع الزمان الحليمية وأن هذا التصوير يخالف الواقع وأنه لم ينصف خصمه . . وأكد أجزم أنه صاغ هذه المناظرة صياغة فنية بعد مضي زمن طویل على حدوثها وبعد موت منافسه ، فأثبت ما أصاب فيه وحذف أخطائه ، وأثبت أخطاء خصمه وأعطاه حجما أكبر من حجمها . . . وقد يكون حرف الكثير ما نقل عنه واحتفظ بهيكل المناظرة فقط وأنا أشك ولا أجزم ، لأن هذه المناظرة لم ترد الا عن طريق البديع ، وحتى من اقتطف منها لا ينقل الا عنه . . ولو ورد لها نص غير ما أورده البديع لوضح الحق ولصدقنا البديع أوكد بناءه بأدلة قاطعة . . غير أن اظهار الخوارزمي بهذا . . المظهر المضحك المحزن هو أكبر مطمئن فى هذه المناظرة لما عرف عنه من باع طويل فى الآداب ، وعلم واسع فى شتى علوم اللغة بشهادة مؤرخي الآداب وكتاب التراجم .

من مثل قول الثعالبي \* لم يزل بحسن حال من روا \* وشرة واستظهم —  
 يقيم للأدب سوقا ومعيدة غضا ريقا ، ويدرر صملى ، ويشمر وروى ، ويقسم  
 أيامه بين مجالس الدرس ومجالس الأئس (١) ، وهذا الرجل الذى يتحدث  
 عنه البديع لا يمكن أن تنطبق عليه هذه الصفات التى ذكرها الثعالبي وغيره . .

وان قيل : لو أن البديع حرف هذه المناظرة وغيرها لم يسكت عنه أدباء  
 عصره . . قلت : أولا أن أدباء عصره وخاصة فى بيئته كانوا حاسدين له غيرا منه  
 لا استحواذه على اعجاب الوزراء والسلاة وتقديهم له عليهم كما سبق أن ذكرنا .  
 ثم أن وجوه القوم كانوا مستوحشين منه لا نفتسه واعتزازه بحلمه وأدبهم  
 واستعلائه عليهم ، وهذا مصداق قول الثعالبي \* وأعان البديع عليه قوم ممن  
 الوجوه كانوا مستوحشين منه جدا . (٢)

ولذلك فقد ابتهجوا بفوز البديع عليه واستبشروا بذلك وقد فرح الصاحب  
 ابن عباد المهين على هذه النواحي بموته . (٣)

والبديع إنما كتب هذه المناظرة بناء على طلب أحد الوجها ، وقد  
 يكون الصاحب حيث يقول البديع : \* سأل السيد أن أملى جوامع ماجرى بيننا وبين  
 أبى بكر الخوارزمى من مناظرة ومنافرة أخرى (٤) . وطبعى ألا يكتب البديع  
 للصاحب إلا ما يرضيه ويشفى غليله من الخوارزمى ولا نتوقع من أحد من الموالين  
 للخوارزمى أن يقوم بنقض هذه المناظرة فى حياة الصاحب ، وهو يعرف موقفه من  
 الخوارزمى .

( ١ ) أنظر اليتيمة ٢٠٧/٤

( ٢ ) نفس المرجع ٢٠٩/٤

( ٣ ) أنظر هذه الرسالة ص ٦٠

( ٤ ) رسائل البديع ص ١٤

ولا نعلم متى أضيفت هذه المناظرة لديوان رسائل البديع . . فلعلها تأخرت حتى انقضى جيل الخوارزمي . . فأصبحت من المسلمات .  
وأنا لا أشك أن البديع استطاع أن يحوز على اعجاب الحاضرين ففى مناظرته مع الخوارزمي بحسن منطقته وجماسته وقوة عارضته . . وأعانه على ذلك كما سبق أن ذكرنا أعداء الخوارزمي ومنافسوه وكبر سنه ولكن . . لم تكن الغلبة ففى صميم العلم والأدب وجوهرهما ، بل هي ففى ظواهرهما كما رأينا وهي فذلـكـة ومنافرة أكثر منها مناقشة علمية فى الأصول والقضايا الأساسية . . ولم تكن الهزيمة بالصورة التى رسمها لنا بديع الزمان . وعلى افتراض أن ما ذكره البديع صحيح ، وأن ما ادعاه من اجادة لتلك الأنواع من النشر كلها حقيقة ، وأنه على ما صور نفسه فيه من قوة العارضة والحفظ الخارق للمادة ، فهو بهـذا رجـل غير عادى بل هو عبقرى ، لا يأنف أو ينجزل من غلبه لأنه لا أحـد يستطيع هزيمته .

ولست بدفاعى هذا عن الخوارزمي أغض من منزلة البديع . . فلاشك أنه خدم الأدب وأثره أكثر مما خدمه الخوارزمي ، فقد فاقه كثرة نتاج وجوده ولا ننسى له جهده فى فن المقامات . . الا أن ذلك كله لا ينسينا فضل الخوارزمي ومنزلته ولا يجعلنا نصدق ونقبل كل ما أورده وقاله ضد الخوارزمي . .

وحتى لو كان كل ما قاله البديع فى هذه المناظرة صحيحا . . لما أنسانا فضل الخوارزمي وعلمه وجهوده فى الأدب العربى .

وعلى أى حال فهذه المناظرة أضرت بالخوارزمي وبسماعته الأدبية . . . ويكفى أنه مات على اثرها قهرا وكما . . وقد رأى تحامل القوم وتمصيبهم ضده وتجاهلهم لكل صفاته الحمودة والحكم عليه بالهزيمة فى أمور لا تمحـد جوهرية ففى العلم والأدب ، وقد عم صداها أقطار العالم الاسلامى ليس لغرابتها وندرة . .

موضوعاتها التي عالجتها ، فقد رأينا أن المصروعصر مناظرات ، وإنما لشهرة الخوارزمي . . ونهايته المفجعة وانتهزامه أمام خصم لم يكن في الحساب أنه يستطيع الوقوف أمامه .

ولهذا فقد هزت هذه المناظرة صورة الخوارزمي الأدبية في عيون مريديه والمعجبين به وأسماع إلى سمعته العلمية سواء في جيله أو في الأجيال التي تلتها .

ولعل لهذا أثر في ضياع بعض نتاجه الأدبي ، لأن الناس زهدوا فيه بعد أن صوروه البديع في تلك الصورة التي لا تليق بحالم أو أدیب فلا يستحق من كانت هذه صورته ، وهذه أفكاره ومنطقه أن يقرى أدبه . . .

( هـ ) خصائص نشره ومد رسته التي ينتمي اليها :

أكثر من كتب عن أسلوب الخوارزمي من الكتاب والنقاد ، يجمعونه في الدرجة العليا من البلاغة والبيان ، ويصفونه بأنه من السحر الحلال . وقليل هم الذين عابوه ، وانتقصوه ، ولعل أسبق من نقده ، خصمه بديع الزمان الهمداني . الذي قال فيه : " وسأنتي بعمون الله تعالى على القوائد التي أدعاها وأعرفك من أين سرق مسروقها . . الى أن يقول : " ثم نفرغ لرسائله فأعرفك ما يردد من أسجاعه ويكرر من ألفاظه فهو لا يعتمدى فرقتين ، ولا يتخطى طبقتين ، وتلك الاسجاع هي التي يطرز بها كلامه ، ويقرر نظامه ، ويطرف محاضراته ويوسط محاوراته ، فإذا . . . خلت منها كتبه ، وقصائده كان ما يبقى منها غفلا عطلا ، لا يحلو ولا يحلى " ( ١ )

والحق أن البديع عرف من أين يطمئن رسائل الخوارزمي رغم أنه خصم له ود ورغم أن هذه طريقة كتاب القرن الرابع كلهم تقريبا ومنهم البديع نفسه . . ولو وفي البديع بوعده وتناول رسائل الخوارزمي بالنقد لكان لنا منه حصيلة جيدة ، . . . ولد لنا على موالين الضعف فيها ، رغم أننا لا ننتظر منه أن يسجل له ولو حسنة واحدة لأنه يكتب كما قلت بقلم حاق قد يتتبع الأخطاء ويتناسى الحسنات .

ولنعد الى خصائص نشر الخوارزمي فنقول : ان من أبرزها ما ذكره بديع الزمان من :

( ١ ) التزامه بالسجع ، فرسائله تعد معرضا فنيا لهذا النوع من البديع ومشاركه فيه كل أدباء العصر تقريبا ، الا أن هذه الطريقة وهذا الكلف بالسجع تظهر جلية في كتابة الخوارزمي والصابي وابن الحميد والصاحب والبديع على اختلاف بسيط بينهما . وهذا السجع هو الذي يلهمي القارى عن المحنى كما الهى الكاتب عن العناية به أيضا .

فجاء أولوهم متكلفا لما أغرقوه به من أنواع البديع وخاصة السجع ، مما حدا بأحمد أمين أن يقول : " أنه كتابة هؤلاء الكتاب ولا يستطيع المضى في قراءتها . ( ٢ )

( ١ ) رسائل ومقامات البديع " مخطوط ز . ورقة ١٠٠

( ٢ ) ظهير الاسلام ٢ / ٢٦ - ٢٧ .

ولكننا لا نستطيع الحكم على القوم بذوق عصرنا ، فنحن نعترف أن هؤلاء الذين اتبعوا مدرسة ابن العميد وهم من لا ينفك السجع عن كتابتهم يعدون أمرا\* النشر في القرن الرابع الهجرى . وكان القوم قد تواضعوا على هذه الطريقة واستجادوها وأصبحوا يتسابقون فيها ، وهم الذين بلغوا بها هذا المستوى الذى يعد فى زمانهم الأسلوب المثالى الذى لا يجيده الا فحول الكتاب .

والحق أنهم لم يقتصروا على السجع وحده بل استخدموا كل أنواع البديع من جناس ولباق وطعموه بأساليب البلاغة البيانية من استعارة وكناية وتشبيه ، ونحن وإن كنا لا نستسيغ أسلوبهم ذاك فإننا نعترف باجادتهم فى هذه الصنعة واستخدامها ، فهي طريقة تحتاج لدربة وممارسة ومعرفة كاملة لفنون البلاغة والبديع . وليست القضية قضية سجع فقط .

وقد وضع نقاد ذلك العصر قواعد لذلك وشروطا . . . ومع أن أبا هلال العسكري لا يلتزم بالسجع دائما فانه يضع له قواعد تضبطه ، انه يقول : " ويشترط فى السجع البليغ أن تكون :

( ١ ) ألفاظه حلوة حادة رنانة لافتة ولا باردة .

( ٢ ) وأن تتخالف السجمتان فى المعنى وأفضل السجع ، القصير الفقرات المتساوى الفصول . ( ١ )

وعيب استخدام السجع عند الخوارزمى هو الاكثار منه على روى واحد . خاصة اذا ضعف أسلوبه وأصبح همه اصطياح السجع من ذلك قوله : " وأطوف بكتابه فى اخوانه ، واخوانى ، وأباهم به مباهاة الاخ بأخيه الذى مساعيه مساعيه ومساويه مساويه وكل شئ\* من فضيلة وزيلة فهو شريكه فيه . ( ٢ )

( ١ ) الصنائع ص ٢٠٠

( ٢ ) رسائل الخوارزمى ص ١١٠ .

أوقوله : " انى أصدرتها فى حضرة من اذا رأى سيئة ستر وففر وعذر  
وأعذر ، وان رأى حسنة نشر وأظهر وقرر وكرر وفكر وصور وجعل الخمسة عشرة  
والعشرة خمسة عشر . (١) على أن رأى الخوارزمى فى السجع يخالف ذوق  
عصرنا فهو يمتدح من يستخدمه وجيده يقول : " قرأت الفصل المسجع فشغلنى  
الاقتباس منه عن الجواب عنه ، ولقد عند السيد الى كل سجمة مختبئة فى زاوية  
ملقاة فى ناحية ، فالجمها بلجام ، وقادها بزمام وفبر بها فى وجه سجعى  
الملزق وكلامى الملق . (٢)

الخاصة الثانية وهي ملاحظة بوضوح فى أسلوب الخوارزمى هي :  
(٢) الترادف والتكرار ، وهي ما أشار اليها البديع فى نقده لرسائل الخوارزمى  
بقوله : " وردت القصيدة الغراء بل الدرة الحذراء بل الهدية العظيمة  
بل فريدة الدر بل غرة شمس الكرام ، وغريبة الايام ، بل الخطاب الجزل  
والمنطق الفصل بل الحسن والاحسان ، بل التبيين والبيان . بل واحدة  
القصائد ، وخاتمة القلائد وآبدة الأوابد ، بل أميرة النظم والنثر ، بل  
ملكة الرجز والشعر ، بل حسنة الألسن ، ونزهة القلوب والاعين ، بل  
بستان الأفكار وجلاء الأبصار ، بل روح المعانى والمبانى ، وهيكل  
الأوزان والقوافى ، بل عقيلة الدهر ونادرة المصر ، وشرة المصر ، وميض  
العقر ، وترياق القلب ، بل ملبس تاج الفخر ، ومورث كنز الذخير ،  
لا بل ليلة القدر ، فانها خير من ألف شهر وهذه خير من ألف بيت شعر . (٣)

فلا شك أن القارى لهذه القطعة قد تنفس الصعداء بعد الفراغ من  
قراءتها لأنه ظل يكرر " بل " حتى ظننا أنه لن يفلتها . . وهذه المعانى  
المترادفة فى وصف هذه القصيدة هي التى جعلت أحمد أمين يقول :

(١) نفس المصدر ص ٢١ وانظر بقية الأمثلة ص ٣٨ . (٢) نفس المصدر ص ٢١ .  
(٣) رسائل الخوارزمى ص ٧٣ .



" وهكذا أقرأ هذه الرسائل كلها فينقبض صدرى ولا ينطق لسانى ، وأصرف نفسى الرسالة ساعة أو ساعتين ثم لا أخرج منها بشىء فى اليدين " . ( ١ )

ويمكن أن نحتذر عن الخوارزمى وغيره من يهاجمهم أحمد أمين أن هؤلاء وأخص منهم الخوارزمى لا يكتبون فى شرح فكرة مصيئة أو يدافعون عن مبدأ أو رأى فى رسائلهم تلك . . بل هم يكتبونها من أجل الفن . . والخوارزمى كان معلماً أبناً الجيل . . فهو يحاول بطريقته هذه أن يجمع لهم جميع صور التعبير التى يمكن استخدامها فى فكرة من الأفكار وكأنه يحسب أن مهمته ليست هي أن يعبر عن محان بل أن يعبر عن أساليب يحفظها الطلاب . ( ٢ )

ثم أن طبيعة الرسائل الاخوانية ليست كطبيعة الكتب الأخرى التى تحتاج الى التركيز على الأفكار ومبادئها . . وقد سبق أن ذكرنا أن هذه الرسائل الاخوانية يمكن أن نعتبرها جنساً أدبياً من أجناس النثر العربى اخترعه كتاب القرن الرابع الهجرى أو طوروه ، وجعلوا غرضهم فيه إبراز مقدرتهم على التعبير الجميل المزخرف والتقليد بأفانين البديع وأساليب البلاغة المتعددة ، كما كانت المقامات فناً جديداً فى هذا العصر لها طابعها وطريقتها ،

لذا لا ننكر على كتاب تلك الطريقة لأنها هي التى تميزها عن غيرها من الأجناس الأدبية ، فمن أراد أن يقرأ هذه الرسائل ليرى ما فيها من أفكار ومعان فقد أخطأ الطريق . . ومن قرأها ليستمتع بما فيها من ذخيرة لغوية ومقدرة بلاغية وتعبير جميل منق بحيث يعجب كيف استطاع هذا الكاتب أن يوشي هذه الرسائل بكل هذه الأفانين ، فذلك هو ما أراد كتابها أن يظهره وان بالقوا فيه الى درجة التطرف .

( ١ ) ظهر الاسلام ٩٨/٢ .

( ٢ ) الفن ومذاهبه فى النثر ص ٢٣٦-٢٣٧ .

المبالغة والتفهويل ؛ كما رأينا في المثال السابق ، فقد بالغ فى مدح قصيدة تلميذه تلك الى درجة لا تحتمل ، فبالرغم من أن المبالغة تعتبر من فنون البديع التى يحلّى بها الكلام فإن الخوارزمى يبلغ بها أحيانا حد التفهويل ، مثل قوله : " فلان قد أبطأ علي فليت شمعى الريح اقتلعت أم الأرض ابتلعت ، أم الأفاعي نهشته أم السباع افترسته ، أم الفصول أغوته ، أم الشياطين استهوت ، أم أصابته بائقة ، أم أحرقتة صاعقة أم أنهار عليه جرف شخير أم جفت يداه ، أم أقعدت رجلاه ، أم ضربته الجذام ، أم أصابه البرسام ، أم جمش غلاما فقتله الفلام ، أم تاه فى البر ، أم فرق فى البحر ، أم مات من الحر ، أم سال به سيل راعب ، أم وقع فيه سهم من سهام الأجل صائب ، أم عمل عمل آل لوط فأرسلت عليه حجارة من طين منضود ، مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد " ( ١ ) .

كل هذه التفهيلات والترادف والرص الصجيب ليقول لنا ان فلانا تأخر علي .. وأظن أن فلانا أنهى مهمته ورجع قبل أن ينهى الخوارزمى عباراته المترادفة تلك .. وانظر الى ( أم ) كم مرة يكررها ؟ على أن هذه خاصية دقيقة عند الخوارزمى : اذا أمسك " بأم " أو " بمل " لم يكد يفلتها ، فما أشبهه فى ذلك بأبى عثمان الجاحظ .

وهذا نموذج آخر لمبالغاته وتفهيولاته . يقول فى إحدى رسائله : " ولئن أصبحت كل أيام الزمان صائما وكل لياليه قائما شكرا لله على سلامته ثم تصدقت بعد ذلك بعدد نخيل البصرة وأجر الكوفة بل بعدد رسل الدهناء ، ونجوم السماء ، بل بعدد المالمين ، وعدد نبات الأرضيين ...

لم أكن وفيت النخبة على مهرها ولا قدرتها حق قدرها . (١) ولا تظننه  
اكفى من التكرار بما أثبتته من نضه هذا . . . وإنما اختصرته خوفاً الاطالة . . . فهو  
يريد أن يعبر عن فرحته بشفا\* صديقه ، وكانت تكفيه الجملة الاولى أو الجملتان .

أما أن يسرد لنا صفحة كاملة يردف الجملة بالثانية فى التعبير عن معنى  
واحد ، فهذا أمر عجيب . . . ولهذا اتهمه شوقى ضيف بأنه أدخل الى فنه ضرورياً  
من التصنع تتسرب الى صناعته وهي صناعة كانت تقوم على التصنيع ولكنها أخذت . . .  
تظهر فيها بعض سمات التصنع . . . وهو مذ هب يقوم على التحقيد فى الأسلوب والأدب\* (٢)  
غير أن هذا الحكم لا ينجر على كل رسائل الخوارزمى فله رسائل تعد من أبلغ رسائل  
عصره الاخوانية - وقد مرت أمثلتها - وذلك حين يكون صادقا يكتب بروحه  
وحاطفته .

( ٤ ) الاكثار من الاشارات التاريخية والأدبية والعلمية . . . فهو يحاول أن يجعل  
من رسائله عنواناً يشير الى اتساع ثقافته ومحفوظه وحاطته بشتى العلوم ،  
وكأنه أراد أن تكون هذه الرسائل مرجعاً لطلاب العلم الذين كانوا يتوافدون  
عليه ، ويعجبون بعلمه وسعة ثقافته . . . وأكبر مثال على ذلك رسالته الى  
البيهقى (٣) ورسالته الى جماعة الشيعة (٤) وانظر الى قوله : " ولو  
كنت أحمد بن يوسف فى البلاغة وعبد الحميد بن يحيى فى اتساع الكتابة ،  
وجعفر بن يحيى فى الاختصار ، وأبا الربيع فى التوسع والاكثار وأبا العينا\*  
فى العارضة ، وأبا الحاتمية فى البديهة ، وابن المعتز فى التشبيهات  
وأبا نواس فى الخمريات والطرديات ، والمصابى فى المعاتبات ، والناطقة

( ١ ) نفس المرجع ص ٢٠ ، ٢١ وانظر بقية الأمثلة ص ٢٣ ، ٢٨ ، ٤٣ ، ٥٨ ، ٦٣ .  
( ٢ ) أنظر الفن ومذاقه فى النشر ص ٢٣٨ . ( ٣ ) انظر رسائل الخوارزمى ص ١١٣ - ١٢٣ .  
( ٤ ) نفس المرجع ص ٧٦ - ٨٣ .

فى الاعتذارات ، وصريح الفوانى فى الاستمارات ، والفرزدق فى الفخریات  
وجرير فى المهاجاة ، وعلبت فى المخاطبة صمصمة بن صوحان ، وقمعت فى  
الفصاحة خالد بن صفوان ، ونطقت بيثيمة ابن المقفع مرتجلا وأثيت بمجوز آل رقية  
مبتدعا ، ومعدرا آل خارجة مقتضبا وضرب بى المثل فى المقامات لاسحبان  
وائل .

وحفظت حفظ الشعبى ، وحاضرت محاضرة ابن القرية النمرى ، وأبدعت  
ابداع أبى تمام الطائى . . وصنفت تصنيف الجاحظ فى الجد والهزل ، ومهرجت  
الأصمصى رواية ، وزيفت أبا عبيدة حفظا ورواية ، وأخذ عنى بطليموس علم الهيئة  
وآرسطو طاليس علم الفلسفة ، وبنياس باب الطلسم والحيلة ، واختلفت الى الهند  
فى تعليم الحساب ، ودرس على أبو عثمان المازنى علم التصريف والاعراب ، واقتبس  
منى الخليل عروض الشعر . . وضرب على قالب خطى خط ابن مقلة ، وتوارث . .  
الكتابة أهل بيتى كما توارثها بنو ثوبة ، وأملت على ابن الكلبى شجرة النسب  
وعلى أبى عمرو بن العلاء أيام العرب ، ثم حملت بعد هذا كله على أن يمضى بسى  
فى عتاب الاخوان لسانى . . لقصر عن ذلك عنانى . (١) فهو واضح أنه يستعرض  
ثقافته ، ونراه ملما حتى بعلم اليونان من فلسفة وهيئة . . وغيرهما .

(٥) كثرة ضرب الأمثال فى رسائله : فهو من أقدر الكتاب فى عصره على ذلك  
حتى أن الشعالى جمع الأمثال الواردة فى رسائله فى فصل مستقل (٢) ، ولا  
أظنه أحاط بكل ما ورد منها فى رسائله ، ولعل توسعه فى هذه الخاصة  
يرجع الى سعة علمه واطلاعه ، وكثرة حفظه وتأليفه فى هذا الفن .

(١) أنظر رسائل الخوارزمى ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٢) أنظر المقتصة ١٩٤/٤ - ١٩٨ وأنظر أيضا كتاب سحر البلافة ١٩١ - ١٩٥ .



فمازلت أسرق من هذا كلمة وأطرم من ذا فقرة ، وأستمير من هناك نادرة  
 وثيقة ، أغضب الأحياء على بيانهم ، وأنبش الموتى من أكتافهم . (١) ، وهذا  
 دليل على احتفاله لتلك الرسائل والجهد الذي يبذله فيها ، والخوارزمي يعد  
 من أقدر الكتاب على الوصف . . . وذلك لكثرة حفظه الذي أثر في أدبه ، فقوى  
 أسلمه ، وتلون خياله ، (٢) وله مقدرة على الكشف عن بواطن النفوس ومعالجتها  
 فان أراد أن يسكنها فعل ، وان أراد أن يفزعها كان له ذلك .

كما نجد في رسائله أنة الحزن والاشمى . . . ذلك أنه صارع الأيام فانتصرت  
 عليه في مواطن كثيرة ، وكانت آماله أكبر مما نال في دنياه . . . ولذلك نجده دائم  
 الشكوى والتذمر يهاجم رؤساء عصره ، وينتقد ويذم أوضاع زمانه .

وهذه المعاناة لأعباء الحياة ومكابدة مصائبها أملت عليه الحكمة ، وما ضرب  
 الأمثال في رسائله إلا نتاج ذلك . . . ولعل في تعاسة الأديب أكبر فائدة للأدب  
 لما تجر به على لسانه من الحكم والمواعظ . . . فالأديب كالشمعة تحرق نفسها  
 لتضيئ للآخرين .

ومن خصائصه . . . الجد في القول ، وقلم يطرق باب الهزل ، ولذلك  
 عاب على أهل زمانه اشتغالهم به عن الجد . . . ويمكن ملاحظة هزله في وصفه  
 لبستان (٣) ودخوله بعض المدن على حصار (٤) على أنه ضحك أشبه بالبكاء .  
 ومن خصائصه ، اقتصار رسائله على مآربه الخاصة ، من سفارة بينه وبين

وجهاً عصره ، أو طلب نوال ، أو عتاب أو تمزية .

(٢) أنظر النشر الفنى ٢/٣٢٤ .

(١) رسائل الخوارزمي ص ٢٢

(٣) أنظر رسائل الخوارزمي ص ٧-٨

(٤) أنظر نفس المصدر ص ٦٣ .

وهذا كما يقول زكى مبارك : أخطر مقتل فى تلك الرسائل التى تعد من ذخائر الأدب العربى ، ان أنه لم يهب شطرا من منشوره للدفاع عن فكرة فلسفية ، أو نزعة وجدانية ، ولم يرفع الأدب الى أفق من آفاق الحب والمجد والاخلاص ، ولم يسم به الى سماء الفن الخالص الذى ينسبنا أوضار المادة ، وينقلنا الى عالم الأرواح ، وكل مانجح فيه أنه أشمرنا بوجوده . (١)

وشفع للخوارزمى فى ذلك أن هذا هو طابع الرسائل الإخوانية كما سبق أن ذكرت . . وهو حين يخرج عن هذا الطابع ، يخرج عن هذه الدائرة الضيقة كما رأينا فى مقدمته للأمثال .

كما نجده يهتم بالمعنى ، ويدافع بالحجة ويعتمد على الفكرة فى رسائله المتبادلة مع بديع الزمان الهمذانى .

---

انظر النشر الفنى ٢/٣٣٥ .

---

=====  
\*\*\*

### الفصل الثالث

#### الشعر

حظى الشعر العربى فى القرن الرابع الهجرى بأعلام الفحول من أمثال  
أبى الطيب المتنبى ، وأبى فراس الحمدانى ، والشريف الرضى وأبى العلاء المعرى  
غير أن الملاحظ أن البيئة الفارسية ، التى قضى فيها الخوارزمى معظم أيام عمره  
لم يشتهر فيها شاعر يصل الى مستوى من ذكرنا . . فأغلب الشعراء المشهورين انما  
كانوا من بيئات أخرى كالشام والعراق . . وغيرها .

ولعل هذا عائد الى سيطرة الروح الفارسى على الاقاليم الشرقية من العالم  
الاسلامى . . فأغلب سكانها من الفرس وحكامها أيضا كانوا فرسا . . وان كانوا  
يحكمونها باسم الخلافة العباسية . . كما أن أغلب من ظهر فيها من الشعراء  
والادباء هم من أصل فارسى ، وان كانت ثقافتهم عربية ولكنهم كانوا يتكلمون لغتهم  
فى أحاديثهم الخاصة .

فطغى بهذا الروح الفارسى وأخذ الادباء يراعون فى أدبهم الذوق والعرف ،  
العجيب ، لانحساب الذوق العربى . . .

وان كنا نحفظ لهؤلاء الحكام الفرس بويهيين وغيرهم ، عدم تعصبهم لآداب ،  
آبائهم فقد بقيت الآداب واللغة فى هذه البيئات عربية رغم أن اللسان العامى فارسى  
ولعل الذى منعهم من التعصب ضد اللغة العربية وآدابها أنهم كانوا يحكمون شعبا  
مسلميا يحب العرب ولغتهم وآدابهم لأنها آداب الاسلام ولغة القرآن .

مع ملاحظة أن الأدب الفارسى كان يمارس دوره فى هذه البلاد الى جانب

الادب العربى (١)



يدل على ذلك قول صاحب " مدحت بمائة ألف قصيدة عربية وفارسية ( ١ ) " .  
وقد ظهر في بلاط السامانيين شعراء ينظمون باللغة الفارسية الى جانب الشعراء  
الذين ينظمون بالعربية . . أمثال الرودكي والذبيقي ( ٢ ) . ومن هنا كان  
لأدب هذه البيئات ( نثره وشعره ) طابع خاص

يمثل ذوق سكانها من المعجم ويبتعد عن الذوق والروح العربي الخالص.  
الأدب  
فمال الى الليونة والصنعة والزخرف المبهرج ، حتى كأن الأدب وهو ينشئ قصيدة  
أو رسالة إنما ينسج بقلمه قطعة سجاد مزركشة ، أو يرسم به أشكالاً ورسومات على  
قطعة خزفية — وهي الصناعة التي عرف بها سكان هذه الأقاليم ( ٣ ) — ومن ناحية  
أخرى . . خضع الأدباء لحكامهم حتى في فكرهم ونتاجهم لاستعلائهم وحاجة  
الأدباء اليهم . . وكأنهم لا زالوا يؤمنون بما كان يؤمن به حكام الأكاسرة من أن فيهم  
جزءاً إلهياً ، ولهذا يجب أن تتنار الرعية اليهم — بما فيهم الأدباء — بـعـمـيـن  
التقديس والخضوع . ومن هنا وجدنا الخوارزمي يصطدم بهم في بدء حياته حينما كان ،  
يحاول التمرد على هذا العرف . . وأحياناً نجده يخضع لهذه العادة فيتمسك  
ويقول لمدوحه ما يرضيه — كما مر معنا في بعض رسائله .

فالأدب أمام هؤلاء الحكام من الفرس ليس له شخصية مستقلة ، وبالتالي ليس  
أله فكر حر أو رأى مستقل فكان أغلب أدبهم أدب زخرف وصنعة ، وليس أدب فكسرة  
وفلسفة ، وليس أدب مبدأ أو قضية فانصب اهتمامهم على الناحية الشكلية فأجادوا  
فيها كما أجادوا في أساليب البلاغة وافتنوا في استخدام الألفاظ والتلاعب بها ، حتى

( ١ ) الوعاة ١ / ٤٥٠ وانظر معجم الأدباء ٦ / ٢٦٣

( ٢ ) انظر الدويلات الإسلامية في المشرق ص ١٩٦ ، ١٩٧

( ٣ ) انظر تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص ١٣٥ وما بعدها .

أدى بهم الأمر إلى اختراع المقامات التي تعتبر صورة لا جاد تهم للناحية الشكلية الفنية في الكتابة والشعر .

والخوارزمي أحد أدباء هذه البيئة ، فرغم أنه طاف ببلدان كثيرة وعاش مدة من عمره في بلاط سيف الدولة بالشام فإنه بقي مرتبطا ببيئته التي نشأ وتعلم فيها ، وقضى حياته بين ربوعها . فكان أدبه يمثل هذه البيئة . . . ، وكان من أكبر شعرائها ان لم يكن أكبرهم — لانخفاض مستوى الشعر في هذه البيئة عن غيرها كما ذكرنا —

ومن هنا استحق أن يدعى شعره ويهتم به باعتباره أحد شعراء المشرق الاسلامي المشهورين . . .

وقد أجمع لدى منه ما يمكن أن يكون ديوانا ، ان أن ديوانه لا يزال مفقودا أو في حكم المفقود . وسوف أفرد لشعره دراسة خاصة — اذا قدر لي ذلك — ، وسأثبت منه ههنا بعض المقطوعات التي تعد نموذجا لأغراض شعره . . . وهي المقطوعات المتناثرة التي عثرت عليها في أمهات الكتب . وهذا احصاء تقريبي لما وجدت من شعره في الأغراض الآتية :

١ —	في المدح	=	٢٤٠	بيتا
٢ —	في الهجاء	=	١١٣	بيتا
٣ —	في الرثاء	=	٨٥	بيتا
٤ —	في الوصف	=	٧٥	بيتا
٥ —	في الغزل	=	٩٥	بيتا
٦ —	في الفخر	=	١٦	بيتا
٧ —	في النصائح والحكم	=	٣٠	بيتا عدا ما ورد من شعره في الأغراض الأخرى .

المدح : استولى هذا الغرض على أكثر شعر الخوارزمي الموجود بين أيدينا . .  
 ذلك أنه كغيره من الشعراء انتجع بأدبه الامراء والوزراء والحكام لينال  
 أعطياتهم وتقديرهم فكان طبيعيا أن يكثر منه ، ومن ذلك قوله  
 في أبي نصر الميكالي ( ١ ) :

تلك الديار فريسة الاحقــــــــــــــــاب	صنعت بعيني صنع ساكنها بــــــــــــــــس
والى الامير ابن الامير تواهقت	روح الركاب براح الــــــــركاب ( ٢ )
لبسوا الدجى لبس الغراب لويشبه	وغدو لحاجتهم غد وغــــــــراب
والفجر يطرف فى الظلام كأنــــــــــــــــه	فضلات عتب فى خلال عتــــــــــــــــاب
طلبوا امراً أفعاله محسوبةــــــــــــــــة	ونواله فوضى بغير حــــــــــــــــاب
غدت المدايح وهى أسماء لــــــــــــــــه	ولغيره أصبحن كالا لــــــــــــــــاب
والمكرمات كثيرة الخطــــــــــــــــاب ال	لا أنها تأبى على الخطــــــــــــــــاب
متبسم الحجاب مكتتب الجــــــــــــــــدى	مشرى النديم مجازف الحــــــــــــــــاب
شيم أرق من الهوى وألذ مــــــــــــــــن	خطأ العدو رددت بــــــــــــــــواب
وعزائم لو كن يوما أسهــــــــــــــــما	لنفذن فى الايام غير نــــــــــــــــواب
مائة الحركات الا أنــــــــــــــــها	نارية الاقدام والالهــــــــــــــــاب
يخطرن بين سياسة ورئــــــــــــــــاسة	ويتمن بين مثوبة وعقــــــــــــــــاب
قد أصبحت الفاظه صور النــــــــــــــــهى	وقوالب الاسماع والالهــــــــــــــــاب
واذا حللت له جنابا واحــــــــــــــــدا	حل المؤمل منك ألف جنــــــــــــــــاب

( ١ ) كتاب اليمينى المعروف بكتاب العتبي مخطوط ورقة ١٥٤ - ١٥٦

( ٢ ) تواهقت الركاب : مدت أعناقها فى السير وتبارت فيه أساس البلاغه مادة "وهق"

روح الركاب : أى الركاب التى انهكها التعب

والخوارزمى يجرى فى مدحه هذا لاي نصر مجرى فحول الشعراء القدامى  
فقد بدأها بذكر الديار وتذكر سكانها . . ثم أن نسجها واختيار الفاظها  
وعمق معانيها وحسن استعاراتها يجعلنا نمترف له بالاجادة ، فمن لا يعجبه  
تصويره ليوادر الصباح فى الظلماء ، ببقايا المتب والمؤاخذه فى ثنايا رسالة أو ،  
قصيدة عتاب ؟ وهو تصوير من خبر النفوس وعرف أسرارها . . أو تصويره لشميم  
مدوحه بافحام الخصم لخصمه حين يرده عن خطئه بالحجة . . وهو تصوير من  
واقع البيئة التى كانت تعج بالمناظرات ، والمحاورات . . والانتصار فى هذه  
المعارك الكلامية لا يقل عند القوم عن الانتصار فى ميادين الحرب . . والأبيات  
كلها كناية واستعارات وتشبيهات لطيفة . .

ويقول فيه من قصيدة أخرى ( ١ ) :-

زف المنام الّى طيف خياله	لو أن طيفا كان من إيد اله
لو أن هذا الدهر يشكر لم يمدح	شكر الأمير وقد عذا من آله .
لا ينسف الاحاح نائله ولا	سؤل أمرى ينهاه عن إسقاله
الوفر عند نواله والنيل عند	سؤاله والموت عند صياله

.....

تتجمع الآمال فى أمواله	تتفرق الأموال فى آماله
------------------------	------------------------

.....

وله علوم لو قسمن على الورى	ما زاد عاقله على جهاله
وخلائق لو أنهن كواكب	أضغى السها فى الضوء مثل هلاله

وفصول قول هن أعذب مسمعا	من راحة المشغول من اشغاله
سمح البديهة ليس يمساك لفظه	فكأنما الفاظه من ماله
وكأنما عزما ته وسيوفه	من حد هن خلقن من اقباله
متبسم فى الخطب تحسب أنه	من حسنه مثلثم بفعاله

.....

ونلاحظ أن مطلع قصيدته هذه غير لائق بالمدح إذ أن الطيف طيف المشيق (١) إلا إذا كان القوم قد تواضعوا على مثل هذه المعانى والاساليب (٢) . . . ومع ذلك فالقصيدة جيدة فى بابها قوية فى سبكها وقد مدح الخوارزمى بالصفات المحموده التى لا تتوفر الا فى رجل حاز الفضائل كالميكالى .

وله فى المدح مقطوعات قصيرة عدت مضرب المثل كقوله (٣) :

واذا طلبت الى كريم حاجة	فلقاؤه يكفيك والتسليم
واذا رآك مسلما عرف الذى	حطته فكأنه ملزم

(١) انظر طيف الخيال ص ١٤ وما بعدها .

(٢) كقوله فى الصاحب يشبب كما يقول صاحب كتاب مصارع العشاق ٩٠/١

يفل غدا جيش النوى عسكر اللقا	فرأيك فى سح الدموع موفقا
ولما رأيت الالف يعزم للنوى	عزمت على الاجفان أن تتسرققا
وخذ حجتى فى ترك جسمى سالما	وقلبنى ومن حقيهما أن يخرقا
يدى ضعفت عن أن تخرق جيبيها	وما كان قلبنى حاضرا فيمزقا

وانظر اليه ٢١٠/٤ وانظر له مثالا أوضح من هذا : أعيان الشيعة ٢٦٢/٤٥

(٣) الوساطه بين المتبى وخصومه ص ٣٧٧ والتبيان ١٩٨/١

أو قوله ( ٤ ) :

رأيتك إن أيسرت خيمت عندنا      لزاما وإن أعسرت زرت لما ما  
فما أنت إلا البدر إن قل ضوءه      أغب وإن زاد الضياء أقام

وقوله — ويعد من حسن التخلص ( ١ ) :

لم يبق في الأرض من شيء إلا غاب له  
فكم هاب انكسار الجفن ذى السقم  
أستغفر الله من قولى غلطت بلى  
أغاب شمس المعالي أمة الامم

ويقول من أخرى ( ٢ ) :

لغير محبك رأى السديد      وغير فؤاده القلب الجليل  
وفى الثوبين منه مستهام      هواك على لوحه قبيح  
رمى بعزبه عن قوس وجد      وباع فؤاده فيمن يزيه

ورأى بديع الزمان أنه سارق لمعناها وقد استغرق في نقدها وبيان مصادرها أكثر  
من ثلاث صفحات .

( ٤ ) زهر الآداب ١/ ٣٩٩ ، امرأة الجنان ٢/ ٤١٦ ، الوافي ٣/ ١٩٣ ، التشيل  
والمحاضرة ص ٢٣٢ وأسرار البلاغة ص ١٢٤ وفيه " أراك اذا أيسرت " ويعلق  
البرجاني على البيتين بقوله : إن المعنى لطيف وإن كانت العبارة لم تساعد  
لان الاغراب أن يتخلل وقتي الحضور وقت يخلو منه . . وليس كذلك القصر  
ان أنه يطالع كل ليلة .

( ١ ) معاهد التصيبي ١/ ٢٢٧ ، وانوار الربيع ٤/ ٣٧٠

( ٢ ) رسائل بديع الزمان ومقاماته " مخطوط " ورقة ١٠٢ — ١٠٤

وقوله (١) :

وكنيت اذا تهدت لغزو قوم      وأوجبت السياسة أن يبيدوا  
تبرأت الحياة اليك منهم —      وجاء اليك يعتذر الحدييد  
وطلقت الجماجم كل قحف      وأنكر صحيفة العنق الوريد (٢)

الهجا :

وهو من الافراخ التي قصر فيها باع الخوارزمي ، وقد يبدو عجيبا ألا يوجد في هذا الفن تجويده في فن المديح . . . اذ كنا نتوقع أن ذلك مجاله الذي يصل فيه ويجول ذلك أنه كان محاطا بالاعداء من كل جانب . . . لم يسلم من مصادقة الوزراء . . . وقد دخل السجن بسببهم مرارا . . . فكان الاخرى أن تشير هذه الحوادث شاعريته بالهجا ليرد على اعدائه ويدافع عن نفسه غير أن ما وصلنا من شعره فيه لا يعتمد مقطوعات قليلة أشبه بالدعابة . . . وقد يكون في ديوانه غير ما وجدنا . وهذه المقطوعات سهلة بسيطة فيها بعض الاقذاع والمجون . ولعل هذه الاهاجي المقذعة والمؤذية للذوق مستلحة في زمانه اذ أننا نجد لها في معظم شعر أدباء تلك الفترة ومن أهاجيه قوله في ابن عباد (٣)

لا تحمدن ابن عباد وان هطلت      كفاء بالجوذ سحا يخجل الديما  
فانها خطرات من وساوسه      يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما (٤)  
وهو تعليل ذكي لتشويه ككرة نوال الصاحب بن عباد وقال فيه (٥) :

(١) شرح الواحدي ص ٥٤٥

(٢) القحف : الجمجمة . . . أساس البلاغة مادة " قحف "

(٣) مرآة الجنان ٢/٤١٧ ، وفيات الاعيان ٤/٤٠٢ ، معجم الادباء ٦/٥٦

أنوار الربيع ٢/١٦٠ ، نزهة الالباء ص ٣٢٦

(٤) يذكر صاحب وفيات (الاعيان أن الخوارزمي نقل هذا المعنى من قول : أبي

القاسم معاوية بن سفيان الاعشى  
لا تحمدن حسنا بالجود ان هطلت  
فليس يمنع ابقاء على نشيب  
لكنها خطرات من وساوسه  
كفاء غزرا ولا تدمعه ان زرما  
ولا يجود بفضل الحمد مغتصبا  
يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما ٣/٤

(٥) اليتيمة ٣/٢٨٢





به البعض من عدم رعاية الاخاء والاستقرار على المودة ، وقد يصدق قولهم هذا  
على علاقاته بالوزراء والولاة . ولكنه لا يصدق على من تربطه به رابطة أخوية  
وصداقة مخلصه .

وله بعض المرائى تتجلى فيها حرارة العاطفة ، والصدق ، والمعاملة ،  
اذ أن هذا الغرض من الموضوعات التى يصدق فيها الشاعر ، لأن واقعه اليه هو  
الوفاء للميت وما يشعر به لفقدان الحزن والاسى .  
ومن مراثيه لركن الدولة ( ١ ) :

أست ترى السيف كيف انثلم	وركن الخلافة كيف انهدم ؟
طوى الحسن بن بويه السردى	أيدرى الردى أى جيش هزم ؟

ومنها

طويل القناة قصير العدات	ذميم العداة حميد الشيم
فصيح اللسان بديع البيان	رفيع السنان سريع القلب
يكيل الرجال بأقدارها	ويرعى البيوتات رعى الحر
جواد عليهم بخيل بهم	إذا ساء خص وان سرعهم
فياد هر سحقا ولا تحشم	فقد ذهب الرجل المحتشم
أحين جرى ملكه فى الملوك	ورد به الله ملك العجم
وخط البنان على قبره	بخط البلى هتان السقم
إذا تم أمر دنائقصه	توقع زوالا اذا قيل تم .

وتظهر مقدرة الخوارزمى فى اظهار المحاسن التى يجب توفرها فى الحاكم الصالح . .  
كما نجد ه يظهر امتنان العجم واغتباطهم بعد أن رجعوا لحكم بلادهم . . ونسراه

( ١ ) نفس المرجع ٢٢٦/٤ وتكملة تاريخ الطبرى ٢٢٩/١ على اختلاف فى ترتيب  
الابيات وعددها

يستخدم فيها أنواع البديع ، يحلى بها أبياته ، وقد أحسن فى اختيار القافية  
التي تناسب النغم الحزين .

وقال فى رثاء أبى سعيد الشيبى ( ١ ) وهى من أشجى وأبلغ مراثيه ان لم تكن  
أشجارها وأبلغها . . فقد نحا فيها نحوا جديدا جمع فيه بين التهنئة والتعزية  
وهذا النحو قلما ترى له نظيرا فى الأدب العربى عبر العصور فقد كان أبو سعيد  
هجاه وأساء اليه ( ٢ ) ، ولكنه يحترمه لعلمه وفضله فلما توفى أتاه من يهنئه بموته  
فكانت هذه القصيدة الجيدة نتاج هذه النفس التي تتأزعا عاطفان . . فهو  
فى هذا الموقف أكرم من معاصره بديع الزمان الذى اظهر شماتته فى رثائه له .

وهذه قصيدة الخوارزمي ( ٣ )

أيدرى السيف أى فتى يبيد ؟	وأية غاية أضحى يريــــــــــــد ؟
لقد صادت يد الايام طيرا	تضيق به حباله من يصيــــــــــــد
وأصبح فى الصعيد أبو سعيد	ألا ان التراب به سميــــــــــــد
وقد كانت تضيق الأرض عنه	فلم وسعت لجثته اللحــــــــــــود ؟
بلى من الثرى قلبا رهيبا	فأعدى الترب فاتسع الصمــــــــــــيد
فلا أدرى أأضحك أم أبكى	وتهدمنى المنية أم تشيــــــــــــد ؟
صديق قد فقدناه قد يــــــــــــم	وشكل قد وجدناه جديــــــــــــد
مصاب وهو عند الناس نــــــــــــمى	وتحبس وهو عند الناس عيــــــــــــد
تهنئني الأنام به ولكــــــــــــن	تعزىنى المواتن والعشــــــــــــود
وسيف قد ضربت به مــــــــــــرار	فمن ضرباته بى لى شهــــــــــــود
فلما أن تفلت ظلت أبكى	وعندى بعد منه دم جــــــــــــيد ( ٤ )

( ١ ) انظر ترجمته فى البيئمة ٢٤٢/٤ وقد وصفه الثعالبي بأنه صاحب الجيشين  
وشيوخ الدولتين ( السامانية واليوينية )

( ٢ ) فقد هجاه بقوله : أبوبكره أدب وفضل ولكن لا يدوم على الاخاء  
مودته اذا دامت لخل فمن وقت الصباح الى المساء ( البيئمة ٢٤/٤ )

وصاحب كتاب نوار الطح " ينسب البيئتين للمصاحب ( بدائع الطح ورقه ١٦ )

( ٣ ) البيئمة ٢٢٨/٤ - ٢٢٩ ( ٤ )

( ٤ ) د. محمد باقر

ومن عجب الليالى أن خصمى	يبعدو أن حزنى لا يباعد
وأن النصف من ميمى جمود	وأن النصف من قلبى جليد
إذا سفحت عليه دموع عيىنى	نهاها الهجر منه والصود
وأثار له عندى قبـاح	يجمش بينها الرأس الحديد ( ١ )
فنصف من مدايمها سخين	ونصف من مدايمها سرد
فمن هذا رأى فى الناس مثلسى	أريد من المنى مالا أريد
ومن نكد المنية فقد حـر	تخالف فيه اخوانى الشهود
فذا هنا وقال : مفضى عدو	وذا عزى وقال : مضى وديد

.....

شهدت بأن دهرنا عشت فيميه	ومت عقيدا فردا مباعد
وقالوا البحر جزر ثم مـد	فما لك قد جزرت ولا تمود
بكيت عليك بالعين التى لم	تزل من سوء فعلك بى تجود
فقد أبكيتنى حيا وميتا	فقل لى أيّ فعليك الرشيد ؟

.....

لقد غادرتنى فى كل حال	أذم الدهر فيك وأستزيد
فلا يوم تموت به مجيد	ولا يوم تعيش به حميد
وما أصبحت الا مثل ضرس	تأكل فهو موجود فقيـد
ففى تركى له داء دوى	وفى قلعى له ألم شديد
فلا تبعد اقامة رسم حـق	وانك أنت للشـىء البعيد
وانك أنت للسيف الحديد	وانك أنت للعلم السديد
وانك أنت للدنيا جـميد	ولكن ليس للدنيا خلـود .

فانظر كيف سما خلق الخوارزمي عن أن يشمت برجل قد مات وان كان خصمه ،  
وهذه سمة الأحرار من الرجال فمهما كان المتوفى عدوا للحي فإنه من سوء النية  
وخبث الطوية أن يظهر فرحه بموته لأنه قد مات وأنتهى ، وبموته ينتهى الحقد  
والكراهية ، ويحل محلها الحزن والألم فلا يبقى فى نفس الخصم من صفات خصمه  
الميت سوى صفاته الجميلة ، وقد حل به ما حل .

وله فى رثاء ابن العميد ( ١ ) :

يا دهر إناك بالرجال بصير	فلطالما تجتاحهم وتبـ
يا دهر غيرى من خدعت بياطل	وابن العميد مفـ
الآن نادتنا التجارب طلقوا	دنياكم ان السرور غـ
يا دهر ظل لمخيليك فرب سة	رجل لعمرى لو علمت كـ
رجل لو ان الكفر يحسن بعده	هـجى القضا وأنـ
أشكو اليك النفس وهى كثيـ	وأذم فيك الدمع وهو غـ
وأقول للممين القزير بكأوها	خطب لعمرى لو عـ
قدمت بعدك ميتة مستـورة	قد ساقها لى موتـ
ودفنت فى قبر الهموم وضمـنى	كفنان ضيق الصدر والتـ
ضحكت اليك الحور ضحكـ	وأناك ضيف أو أـ
وضفت عليك ذيول رحمة ربنا	والله بر بالجواد غـ
وسقى ضريحك مستهل عـ	شهر ، وعمر النبت منه شـ
جود ككفاك أو كمينى أودم	أجراه سيفك فى العدى شـ
أهوى القيامة لا لشيء غير أن	ألقاك فيها والأناـ
وأحب فيك الموت علما أننى	بعد المات الى اللقـ

وهي من مراثيه الجيدة . . . واضحة المعاني . . . لا تحتاج الى شرح .  
 تعبر عن نفس مـرارة تـبكي عزيزاً عليها اخترمه الموت من موقع تعلم أنها اليه صائرة ،  
 فحافظت هنا لا شك صادقة . . . ولم يضعفها سوى البيت الأخير ، فعبارة . .  
 علما أنتنى . . . تعبير على لا شاعري ، وأظن أن صحتها " علما أننا " ومع ذلك  
 فكلمة " علما " غير شاعرية .

وله قصيدة في رثاء ( أبي الحسن المحتسبي ) لا تقل جودة عن رثائه  
 في ابن العميد يمكن مطالعتها في يتيمة الدهر ( ١ ) :

الوصف :  
 — وقد أجاد الخوارزمي في هذا الغرض . فوصف لنا ما وقعت عليه عينه  
 من مظاهر الطبيعة وان كان وصفه يميل الى التظرف والسهولة كوصفه لانواع الاكل  
 أو بعض الكائنات الغريبة كالسلحفاة والضفدع . . .

ويمكن أن نسجل له أنه تعدى في هذا الغرض ، وصف الطبيعة الصامتة  
 الى الطبيعة المتحركة ، وان كنا نتفق فيما وصلنا من شعره النفس الطويل  
 الذي نجده عند البحترى أو ابن الرومى أو ابن خفاجة أو الصنوبرى ، فكل ما  
 هنالك لا يعتمد على البيات أو المقطوعات

قال يصف ضفدع ( ٢ ) :

أرقنى والديك لما ينطق	والليل في سربال دجن مطبق ( ٣ )
لم يدم كشعاه بصبح الفلق	صوت غريق شفه لم يفـرق
غصان بالما ولما يشـرق	وجاهظ العين ولما يشـرق

( ١ ) انظر اليتيمة ٢٢٩/٤  
 ( ٢ ) محاضرات الادباء ٢/٥٠٥ وبدائع الملح ورقة ٨ على اختلاف في الترتيب وعدد ٧١  
 ( ٣ ) الدجنة : الظلمة . . . أساس البلاغة مادة " دجن "

وساهر الليل ولما يعيشق      هو الغراب فى الخطى والمنطق .  
جلد سلحفاة ووشب عقمق      وصوت مخنوق ونفخ أشقـرق  
يد ملج الماء د ملج الحنق      كجيدف ملاح غدا فى زورق

وقد استقصى صفات الضفدع فشبّه صوته تارة بصوت غريق يستجد وهو بعد لم يفارق الحياة وتارة بصوت مخنوق ، وأخرى بصوت الغراب كما شبه مشيته بمشيته ولعله أول من أكتشف التشابه بين صوت الغراب وصوت الضفدع كما يشبه جلده بجلد السلحفاة ، وتجديفه فى الماء بتجديف الملاح فى زورقه . . ولكنه استوفى وصفه هذا فى كثير من الابيات كما ترى .

ويقول فى وصف السلحفاة ( ١ ) :

بنت قفربدت لنا من بعيد      مثلما قد طوى البخارى سفره  
رأسها رأس حية وقـسـراها      ظهر ترس وجلدها جلد صخرة ( ٢ )  
مثل فهير العطار دق به المـطـ      رفعلت طرائق الطيب ظهـره ( ٣ )  
أو كما قد قلبت جفنه شـرب      نقشوها بحمرة ويصفـرة .  
يقطع الخوف رأسها فاذا ما      أمنت قـر رأسها مستقـسـره .

وما أجمل تصويره ادخال السلحفاة رأسها حين تسمع صوتا أو ترى أحدا ، بقطع الرأس . . فصور هذه الحركة من السلحفاة تصويرا متحركا جميلا .

ويقول فى وصف قثاء مرتجزا ( ٤ ) :

يارب قثاء برود المـورـد      در الحشا زمرد المـجـرـد  
قدا التوى فوق الشرى الرطب الندى      كما تلوى أسود بأسود

( ١ ) الوا فى الوفيات ١٩٤ / ٣

( ٢ ) قراها : ظهرها . الترسم يتوقى به من ضجرات السلاح

( ٣ ) الفهر : حجر يدق به . ( ٤ ) محاضرات الادباء ٣٤٤ / ٢

ذى زغب وفيه لين الا جرد      كالغد بين الملتحي والأمرد  
كأنه فى اللون والتأود      صوالج ركين من زهر جرد  
يكاد للين وللتعقود      تجنيه الحاظ الفتى قبل اليد  
ما\* كطعم السكر الطـــــرزدى ،

ويقول فى وصف الطيب ( ١ ) :

بخور مثل أنفاس الحبيب      وطيب قد أخل بكل طيب  
يظل الذيل يستره ولكن      تتم عليه أضرار الجيسوب  
إذا ما شم أنف حن قلب      كأن أنف جاسوس القلبوب  
وما أحسن تصويره لتأثير الطيب فى النفس الآتى عن طريق حاسة الشم بجمل  
الأنف جاسوسا للقلب .

ويقول فى وصف الهريسة ( ٢ ) :

هل تشطون لتتورية خنقـــــت      من أول الليل حتى قلبها يجف .  
كأنها وهى فوق الجام قد غرقت      فى دهنها قمر بالشمس ملتحف  
أو درهم فوقه الديار منطبق      أو لوح عاج على الزدياب مكتشف  
وهو كما ترى من الوصف المتحرك . . . فقد شبه تغطية القدر بالخنق ،  
وحركة غطاءه بخفقان القلب . . .

ومن أجمل وصفه ، وصفه للحمى الذى ينحو فيه نحواً لمتبى فى قوله :

وزائرتى كأن بها حياء      فليس تزور الا فى الظلام

( ١ ) نفس المرجع السابق ٢١٢ ، حليلة الكميث ص ١٥٢ اليتيمة ٢٣٩/٤ مع اختلاف الترتيب

( ٢ ) محاضرات الأدباء ٣٧٩/١

( ٣ ) اليتيمة ٢١٧/٤

يقول الخوارزمي من قصيدة كتبها للصاحب ( ١ ) :

ولو أبصرت في أرجان نفسي	عليها من أبي يحيى ذمام ( ٢ )
ولي من " أم ملام " لكن يوم	ضجيع لا يلذ له من ذمام ( ٣ )
مقبلة وليس لها ثنايا	معانقة وليس لها التزام ( ٤ )
كأن لها ضرائر من غذائي	فيفضيها شرابي والطعام
إذا ما صافحت صفحات وجهي	غدا " ألفا " وأمس وهو " لام "
إذا لرأيت عبدك والمنايا	تصبح به " تنبه كم تتذام ؟ "
وما استبكاك من بعدى أسير	يرض عظامه الحق العظام
ولا ترجيع كلّي خلف نمش	" أمحمول على النمش المذام ( ٥ )
ولا ترد يد صب وهو بأك	سقيت الغيث أيتها الخيام
ولولا فقد وجهك لم أعبس	على ضيف يقال له الحمّام
فما البعس لولا أنت طيب	ولا في الموت لولا أنت ذام ( ٦ )

فقد صور الحمى با مرأة تضاجعه ليلا ولكن لا يلذ له معها ذمام .. وصور  
عدم شهيتة للأكل والشرب أو للآلام التي تضيق به بعدهما .. وكأنها ضرائر لظك  
المعشوقه ،

الغزل :

ما وجدت من شعر للخوارزمي في هذا الغرض لا تجعله من المحبين المتيهين  
مع أن له فيه قطعا جيدة .. ولا ندري هل جرب الخوارزمي الحب واكتوى بنارة

( ١ ) البيت ٤ / ٧ : يطلق على الموت ، وذمام عهد ملزم : أساس البلاغة مادة " ذم "

( ٣ ) أم ملام : هي التحية .

( ٤ ) في البلاغة : التزنه : أي عانقه . أساس البلاغة مادة " لزم "

( ٥ ) التضمين للنايفة

( ٦ ) ذام : من الذم



وقال شعره فيه عن تجربة ، أم أنه قاله مقلدا فحسب ، ولئلا يقال أنه قصر في هذا

الغرض ؟

وان كان لا يسلم من الحب أديب مرهف الحس راقى الذوق يعجبه الجمال ويستهو به  
ومن شعره فيه ( ١ ) :

وشمس ما بد بيتي لا أرْتبَا \_\_\_\_\_  
بأن الشمس مطالعها فضول \_\_\_\_\_  
تزيد على السنين ضيا وحسنا \_\_\_\_\_  
كما رقت على العتق الشمول \_\_\_\_\_

وليس له تجديد في هذين البيتين سوى ما ذكره من أن هذه الجملة تزداد حسنا  
مع الأيام والمعروف أن المرأة كلما كبرت نقص جمالها .

ويقول من أخرى وهو وصف حسبي . . . يصور لنا فيه صورة رائعة من الجمال  
الفاتن ( ٢ ) :

جل من صور من ما مهين \_\_\_\_\_  
صورا تسبى قلوب العالمين \_\_\_\_\_  
وأرانا قضا في كثر \_\_\_\_\_  
تخجل الاغصان في قدوليين \_\_\_\_\_  
وشفاها كحقاق أطبق \_\_\_\_\_  
من يواقيت على درثمين \_\_\_\_\_  
بأبي من جدت بالنفس له \_\_\_\_\_  
وهو باللطيف على ضعفى ضمنين \_\_\_\_\_  
ذكره عندى مقيم راهمين \_\_\_\_\_  
وفؤادى عنده ثاورهين \_\_\_\_\_  
ناعم ، بالوهم يد من خده \_\_\_\_\_  
غير أن القلب صخر لا يلين \_\_\_\_\_

ومثل قوله ( ٣ ) :

جلنا رأم شقي \_\_\_\_\_  
وجنتاه أم عقي \_\_\_\_\_  
وسيوف أم جف \_\_\_\_\_  
تلك أم خمر عتي \_\_\_\_\_

( ١ ) اليتمية ٢٠٩/٤ وخمس رسائل

( ٢ ) بدائع الطبع " مخطوط " ورقه ٤٤

( ٣ ) نفس المصدر السابق ورقه ٦٨

برد في الفم أم شفـر  
وريق أم رحيـق  
رشأ كلفنى فى حبـه ما لا أطيق  
فكأنى وهـواه  
دقة الخصر الدقيـق

( ١ ) وقوله

وكم ليلة لا أعلم الدهر طيبها  
سهاد ولكن دونه كل رقـدة  
مخافة أن يقتص منى لها الدهـر  
وليل ولكن دون اشراقه الفجـر  
وسكر الهوى لو كان يحكيه لـذة  
من الخمر سكر ، لم يكن حرم السكر  
ولما أدارت مقلـة جاهليـة  
هلاك امرئ فى ضمن ثوبى لها نذر  
ومالت كأن قد سقيت خمر خـداها  
وكيف يميل الخمر من ريقه خمـر  
حسدت عليها ناظرى ان تحله  
كما تحسد الافلاك نعل " فناخسرو ( ٢ )

وأغلب شعره فى الغزل ، من هذا القبيل الذى لا تشمر فيه بالعفاف والنصون ، بل نراه يهتم بالصفات الحسية للمرأة ويصورها فى صورة المتعة والجمال المحسوس ، وكأنه يصف بنات عصره اللاتي كن يحضرن مجالس اللهو والبهجة ، ولا يميل إلى العفاف الا حين يقلد الجاهليين فى غزلهم اسمعه يقول ( ٣ ) :

أغرك يوم البين منى تبسـم  
فشيحت سهما فى فؤادى بأسهم  
رويدك عهد القلب بالصبر بعدكم  
وحقك عهد النار بالبرد فافهم  
عذيرى من ضحك غدا سبب البكا ومن جنة قد أوقعت فى جهـنم  
زعمت بأنى قد سلوت وهـذه  
على ذا ، فدومى اجرى وتجرمى  
وبكى وأبكى وأظلمى وتظلمـى

( ١ ) اليتيمة ٢١١ / ٤

( ٢ ) فناخسرو : هو عضد الدولة ، انظر اليتيمة ٢١٦ / ٢

( ٣ ) المضمون به على غير أهله ص ٢٦٥ - ٢٦٩ ونوادى الملح ورقة ٧٧

فأنك لا تروين بيتا لشاعر — سوى بيت " من لم يظلم الناس يظلم"  
تعلمت فعل الدهر ثم سبقته — فأنساني التمييز فعل المعلوم

وواضح أنه يقلد بقصيدته هذه قصيدة امرئ القيس التي مطلعها  
أفاطم مهلا بعض هذا التداخل \* وان كنت قد أزمجت صرفي فأجملني  
ببيتته الأول مأخوذ من قول امرئ القيس :

أغرك مني أن حباك قاطس — وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل  
ولا يفوتنا ما في هذه القصيدة من قوة السبك والالفاظ الجزلة وسمو المعنى  
.. وهكذا نجد الخوارزمي إذا قال على طريقة القدماء من الشعراء "يجيد ويبرز  
لكثرة حفظه لأشعارهم ومطالعة لدواوينهم . كما نلاحظ عفته وخضوعه لمحبيبته  
والخوارزمي يعد عفيفا في غزله إذا ما قيس بمعاصريه من الشعراء ، وإذا ما عرفنا أن  
عصره عصر مجون ولهو وفزل شان . ومن لطائفه قوله ( ١ ) وأستلحه أهو هلال وقال  
أظنه ما سبق إليه :

وقالوا أفق من سكرة اللهو والصبا — فقد لاح صبح في دجاءك عجيب  
فقلت لهم كفوا الملام وأقصروا — فان الكرى عند الصباح يطيب

الفخر :

في حياة الخوارزمي جوانب تشبه بعض جوانب حياة المتنبى ، فرغم أن البيئة  
التي عاش فيها وهي البيئة الفارسية — تضمحل فيها شخصية الاديب أمام مدوه  
فان الخوارزمي حاول الخروج على هذا العرف ، ففخر بنفسه وفعاله .. وقد رأينا  
أمثلة ذلك في نشره وسنرى أمثلة من شعره في هذا الفرع .. ولعل هذا من  
الاسباب التي جعلت كثيرا من وزراء عصره يناوئونه العدواة ، من ذلك قوله ( ٢ ) :

( ١ ) ديوان المعاني ١٥٦/٢ ، ١٥٧

( ٢ ) حماسة الظرفاء ٥٣/١

وان أبصرتونى فوق طــــرف      وفى يدى المهند تعرفونــــى  
تروا شيخا حرونا جاهليــــا      يلين جانب القرن الحــــرون ( ١ )  
ويقول ( ٢ )

زائرکم يشكو — وقد جاءكم — غلظة بوابكم الخــــاد م  
أنكرنو، عنكم — على زعمه — فياله من عجب دائــــم ( ٣ )  
لأننى بين بنى آدم      مذ خلقوا أشهر من آدم  
ويقول من أخرى ( ٤ )

على الكف دين للأسنة واجب      وللکأس طرق غيرها ومذاهــــب  
عجبت لموتو ريبيت على القذى      وفى الارض مركوب وسيف وصاــــب

#### النصائح والحكم :

عاش الخوارزمى عيشة قاسية وقلما ساعدته الظروف وقرت به الاحوال  
فقد قضى حياته متقلبا فى البلاد ، وقد أجبرته ظروفه المادية والمعاثية أن يتكسب  
بأدبه رغم عزة نفسه ، فمرة يلقى الاكرام والمطايا ، وأخرى يهان ويلقى به فى  
السجون . . وأحيانا تصادر أمواله . . ومرة يكون غنيا ثم لا يلبث أن يعمود  
فقيرا . . كل هذا جملة كثير التجارب خبيرا بأحوال زمانه . . يعرف خبايا  
النفوس لكثرة مخالطته لطبقات الناس وقد جرب خيرهم وشرهم ، وذاق مر الحياة  
وحلوها . فكان لهذه التجارب فى أدبه أثر تمثل فى تلك الحكم البليغة والنصائح  
الفالاية ، منها ( ٥ )

( ١ ) الحرون : الثابت فى القتال ( أساس البلاغة مادة ( حرن )

( ٢ ) مجلة الازهر مجلد ٣ ص ٣٣٨

( ٣ ) فى المصدر أنكركم عنى . . ولا يتعشى مع معنى البيت التالى

( ٤ ) بدائع الطبع ورقه ٨٢

( ٥ ) كتاب الآداب "مخطوط" ورقه ٦١ تحفة الوزراء ص ١٧ ، ١٨ البيضة ٢٤٠ / ٤ التشيل

والمحاضرة ص ١٢٤ على اختلاف بينها فى التقديم والتأخير أو النقص أو التغيير فى

بعض الفاظها

ما أصعب الدهر على من ركبـه      حدثني عنه لسان التجربـه  
لا تشكر الدهر لخير سببه      فانه لم يعتمدك بالهـبـه  
وانما أخطأ فيك مذهبـه      كالسيل ان يسقى مكانا خربـه  
والصم يستشفى به من شربـه      وزا مفضل ، علا في المرتبـه  
ما أهون الشوكة قبل الرطبـه      وأسهل الكد على من أكسبـه

وما أجمل حكمتـه في قوله ( ١ ) :

لا تغرطن في حدة أعلتـها      فيكل ذاك الحد منك ويفشـلا  
أو ما ترى الصمصام والسكين ان      زادا على حد الصقال تفـلا  
وله ( ٢ ) :

لا تصحب الكسلان في حاجاته      كم صالح بفساد آخر يفسـد  
عدوى البليد الى الجليد سريعة      والجمري يوضع في الرماد فيخمـد  
ونلاحظ أن الخوارزمي يطيل تعبيره عن الممنى الذي يريد حتى في شعره ،  
فهو يريد أن يقول : لا تصحب الكسلان لانه يمد يد بكسله ، ولو كنت نشيطا .  
والممنى جيد ، ولكنه أطلال ولم يكن ذلك لعدم ثقة بالسامع أو القارىء ليكرر الممنى  
ويوضحه ، ولكن ليزيده قوة ورسوخا في الذهن خاصة وأن مهنته هى التعليم وحال  
المعلم مع تلاميذه الشرح والايضاح .

ويقول ( ٣ ) :

سأقضى قضاء في المروءة عادلا      يساربه في حكمة الشعر والادب  
ألا خير سمار الطواك ذوو النهى      وخير ندامى الكأس أريمة تحب

( ١ ) البيتة ٢٤١ / ٤

( ٢ ) نفس المصدر ٢٤٠ / ٤ وأعيان الشيعة ٢٦١ / ٤ والتعشيل والمحاضرة عن ١٢٤

( ٣ ) برد الاكباد ١٣٤

وليه ( ١ )

بقدر ما احتمل البختى قيمته      ما ميسم الحرالا كثرة المـسـون ( ٢ )  
ولليالى الى أبنائها رسل      من التجارب فى طرق من المحن

وليه ( ٣ )

ومتى شمت الدهر تشتم صابرا      تبكى ويضحك ذلك المشتـمـوم

ويقول ( ٤ )

لا تفتتر بالحليم تغضبه      فربما أحرق الشرى الشـبـر

ويقول ( ٥ )

فندل الرجال كندل النبـا      تلا للشارولا للحطـب

ويقول ( ٦ )

من أسخط الدرهم أرضى الله      ومن أذل المال صان الجاهـا

وقوله ( ٧ )

الدهر يستخدم من يخدم      حتى يذيق الهون من يكـرم  
كألا رضى لا تطعم من فوقها      الا لكى تطعم من تعطـم

( ١ ) بدائع الطبع ورقة ٨٢

( ٢ ) البختى مفرد بخت وهى الجمال الخراسانية ( القاموس المحيط مادة ( بخت )

( ٣ ) اليتيمه ٢٣٤/٤

( ٤ ) نفس المرجع ٢٤١/٤

( ٥ ) المنتحل ١٣٦

( ٦ ) أعيان الشيمه ٢٦١/٤٥

( ٧ ) اللطائف والظرائف ص ٢٤

ويقول ( ١ ) :

عليك باظهار التجلد للمدى      ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا  
ألسنت ترى الريحان يشتم ناضرا      ويطرح في الميضا اذا ما تغيرا .

---

( ١ ) خاص الخاص ص ١٩٠ وانظر المرقصات والمطربات ص ٥٩

الشكوى :

وهي من الأغراض التي تعطينا فكرة عن نفسية الخوارزمي وتكشف لنا عن أخلاق  
أهل زمانه ، وما عاناه من أوضاع مجتمعه وتقلبات عصره ،

يقول ( ١ ) :

لم لا أبادل انسانا بانسان ؟	لم لا أجانس دهرى فى تقلبه ؟
ما اليوم أول توديمى ولا الثانى ؟	لم لا أهاكى حبيبيا فى مقالته
وصلا بوصل وهجرانا بهجران	لم لا أقارض ما قد قاله حسن

فهو يبحث نفسه على التقلب ، ويتساءل لماذا لا يجارى الناس فى نفاقهم وبنائهم  
الصدقات على المنافع وكأن نفسه تعصاه أن تعمل مثل هذا .

ويقول ( ٢ ) :

يفيد غنى الا يداخله كبر	كفى حزنا أن لا صديق ولا أخت ؟
وتلك التى جلت فما عندها صبر	والا التوى ، أوطن أنك دونه
صديق ولا أوفى على عسره اليسر	فلا نال فوق القوت مثقال ذرة
والا حذارا أن يميل به الدهر	وما ذاك الا رغبة فى وصاله

وهو هنا يشكو من ظاهرة قد تكون فى المجتمعات الفارسية أظهر منها فى  
المجتمعات العربية ، تلك هى ظاهرة الكبر ، فمتى ما أفقتى الانسان شمع بأنفه  
وظن أنه أعلى من غيره ، وتلك حالة لا يطبقها الخوارزمي لذلك دعا على أصدقائه  
واخوانه ألا يصلهم من المال الا ما يكفى قوتهم ، ليس حسداً لهم ولكن خوفاً من أن ،  
يصيبهم داء الكبر فيحول بينه وبينهم .

( ١ ) تمام المتن ص ٢٥٤

( ٢ ) رسائل الخوارزمي ص ٢٩ ، ريحانة الالباء ٢ / ٣٦٦



ويقول ( ١ ) :

خبث نار الملا بعد اشتعال      وصاح الخير على السزوال  
 عد منا الجود الا فى الامانى      والا فى الصعاف والا مالىسى  
 فياليت الدفاتر كن قوما      فأثرى الخلق من كرم الفمـال  
 ولو أنى جعلت أمير جيس      لما حاربت الا بالسـؤال  
 لأن الناس ينهزمون منه      وقد ثبتوا الا طراف العوالـس  
 وهى شكوى مصدرها بخل الاغنياء بأموالهم . . على أن ظاهرة السؤال  
 فى ذلك الزمن واعتبارها أمرا لا غضاضة فيه تعد ظاهرة تكشف ما تعانيه الامـة  
 أو بعض فئاتها من الضيق وقلة ما فى اليد .

ويقول ( ٢ ) :

تولى العيش وانقطع النظام      وعاش اللوم ان عاش اللئـام  
 وخلفنى الزمان على أناس      اذا حكوا الكلاب فهم كـرام  
 يكاد الدهر يشتمنى صراحا      لو أن الدهر كان له كـلام  
 قلولا أن أنازع حكم ريسى      لقلت فديت موتى والسـلام

وهى صرخة مرة ، وشكوى حزينة ، من الدهر وأبناء مجتمعه ، وما أكثر ما يشكو  
 الخوارزمى من الدهر — ولا ندري لماذا كل هذه الشكوى الضيق صدره وتبرسه  
 من الحياة لأوهن الأسباب أم لضياع الاخلاق فى أهل زمانه ؟ أم هى ظروفه القاسية  
 التى عاشها من قهر وفقر ؟

( ١ ) نشر النظم ص ٧٣ ، وبدائع الطبع ورقه ٨٢ ولم يشهد صاحب بدائع الطبع سوى البيتين  
 الاخيرين وكذلك التوضيح فى شرح المقامات ص ١٥٦ لم يشهد سوى البيتين الاخيرين

( ٢ ) نشر النظم ص ٧٣

( ٣ ) اليتيمة ٢٣٦ / ٤ ، وأعيان الشيعة ٢٦١ / ٤٥

## المثاب :

لم يصلنا من عتابة الا النثر اليسير ، بعكس ما رأيناه فى نشره . . ولكنه  
من الاغراض التى أجاد فيها وتجلت فيها شاعريته الحققة ، من ذلك قوله لأحمد  
تلاميذه :

هذا أبو بكر صقلت حسامه	فغدا به صلتا علي وأقدما
أسمى يجهلنى بما علمته	ويريش من ريشى لرمى أسهما
يا منهضاً قوساً بكفى أحكمت	ومسدداً رمحاً بكفى قوماً
أرقيت بى فى سلم حتى اذا	نلت الذى تنفى كسرت السلماً

ومن أرق مما تبتاه — والظن أنها موجهة للصاحب بن عباد ( ١ ) :

ألا من مبلغ الاستاذ أنسى	أنا الصمصام أغداه الحيساء
أنجدب وال صباح لـديك مرعى ؟	ونظماً والسراب لـديك ماء ؟
يطرقنا الزمان وكل يوم	لنا خطب حواشيها البكاء
وكنـت وعدتـنا نظراً فأبطلنى	وقد تتبلغ الـبل البطـاء
فان عز القضاء لـديك يوماً	فموجود لـدينا الـا قـضاء
ويرضى بالرجاء سوى قوم	وما عندى لحكمهم ارتضاء
فان أخوا الرجاء على يقين	من البلوى وفى الفرج استرا
وشر المرتجين أخو مطال	يمصر فى جوانبه الرجاء
اذا أضحى فموعد مساء	وان أسمى فموعد ضحـاء
وهذا المثب واسطة ولكن	لها طرفان مدح أو هجاء
وبين النجح والتمويق حد	وقنطرة يقال لها السخاء

( ١ ) نشر النظم ص ٤٠ ومعنى أبياتها فى محاضرات الأدباء ٢٥١ / ١

فلا تشك القضاء فليس يشكو  
 أطال الله أعمار المعالين  
 مسمى نفسه أنت القضاء  
 وذلك أن يطول لك البقاء  
 بضاعتها ثناء أو دعاء  
 ولا زالت تمد اليك كف  
 فداء عنك فهي لك الفداء  
 وإن رضى الزمان بمثل روحى

#### الاعتذار :

حينما ترك الخوارزمى حضرة أبى نصر الميكالى وقصد طاهر بن محمد  
 بسجستان وحصلت بينهما جفوة أخذ طاهر على أثرها زوج به فى غياهب السجن ( ١ )  
 كما مر معنا فشمع بالندم لترك حضرة الميكالى . . ولعله فارقه من غير اذنه  
 أو وهو غير راض عنه . . وهذا ما توحى به هذه القصيدة الجيدة . . ونلاحظ  
 أن شمعه الذى وجهه الى أبى نصر الميكالى ، كله قوى سواء فى المدح أو الاعتذار .  
 يقول الخوارزمى ( ٢ ) :

كتابى أبا نصر اليك وحالتي  
 أرق من الشكوى وأدجى من النوى  
 كحال فريس فى مخالب ضعيفهم  
 غدت وأخا جوع ولست بمائهم  
 وأضعف من قلب المحب المتيمم  
 وقعت بفخ الخوف فى يد طاهر  
 ورحلت أخا عري ولست بمحرم  
 وقوع سليك فى حبال خشم ( ٣ )  
 فمن أم أوفى دمنة لم تكلهم  
 فيها أنا تحت الدهر أخلق من قفا
 يقينا وراض بعده بالتوهم  
 وما كنت فى تركيك الا كتارك  
 ويخرج من أرض الحطيم وزمزم  
 وقاطن أرض الشرك يطلب توبة  
 بها وهو جار للمسيح ابن مريم  
 ونى علة يأتى عليلا ليشفى

( ١ ) أنظر اليتيمة ٢٠٥/٤ - ٢٠٦

( ٢ ) نفس المرجع السابق ٢٠٥/٤ - ٢٠٦

( ٣ ) يعنى سليك بن سلكه السعدي حين أسره أنس بن مالك الخشمي

وراوى كلام مقتضا اثر ( باقل )  
 جناب تجنبناه ليس بمجند ب  
 وما زلال قد تركنا وزوده  
 ليست ثياب الصبر حتى تمزقت  
 أظل اذا عاتبت نفسى منشدا  
 وأنشد فى ذكرى لدارك باكيا  
 ولم أر مثلى من يحارب بختة  
 ولا أحد يعوى مفاتيح جنبة  
 وقد كان رأسا للتدابير " بلعم "   
 وقد عاش بعد الخلد فى الارض آدم  
 فباليتنى أمسيت دهرى راقدا  
 لفيرك د ردي الوصال وثيب الـ  
 وأنت الذى صورت لى صورة المنى  
 وصيرت عندي أنعم الدهر أسعدا  
 وصفرت قدر الناس عندي وطالما  
 ويترك قسا خائبا وابن أهتم  
 ويحرق تخطيناه ليس بمزرم ( ١ )  
 زلا لا ويعناه بشرية علقم  
 جوانبها بين الجوى والتقدم  
 " فهلا تلاها ميم قبل التقدم " ( ٢ )  
 " ألا انعم صباحا أيها الربيع واسلم "   
 ويشكو الى اليوسى افتقاد التتم  
 ويقرع بالتطفيل باب جهنم  
 وقد صرت فى الدنيا خليفة بلعم ( ٣ )  
 فان شئت فاعذرنى فانى ابن آدم  
 فانى متى أرقد بذكرك أحلم  
 مقال ومزوج المودة فاعلم  
 وأركبتنى ظهر الزمان المذمم  
 وكذبت عندي قول كل منجم  
 لحظت صغيرا عن حماليق معظم .

#### معارضات الخوارزمي :

يقول الشعالي " حدثنى الخوارزمي قال :  
 حضرت مع الشيخ أبى الحسن النعمى دعوة . . ففنى القولون بهذه الابيات :

- ( ١ ) رزم الماء : اذا انقطع .  
 ( ٢ ) الشطر الاخير لقاظم طلحة رضى الله عنه يوم الجمل وصدره :  
 يذكرنى حاميم والرحم شاجر .  
 ( ٣ ) يعنى بلعم بن باعورا . . لأنه كفر بالله بعد تعلمه الاسم الاعظم وجهد  
 نعم الله عليه .

قم يا غلام الى المـــــــدام	قم دواني منها بجـــــــام
قم فاسقني برق الثقـــــــو	رفقد مضى برق الغمـــــــام
بادر الى صرف الحميـــــــا	سابقا صرف الحمـــــــام
وتغنم الفلتات مـــــــن	دعرجور على الكـــــــرام

فاستلمها أبو الحسن وسألني عن قائلها فأخبرته أنها لأبي الفرج الوأواء، فأقترح علي معارضتها فارتجلت أبياتا :

لما بدت روح الضيـــــــا	تدب في جسم الظـــــــلام
وغدت نجوم الليل وهـــــــي	تغر من حدق الانام
والديك يطلو داءـــــــا	هجوا لنيام على القيـــــــام

.....

لما رأيت الهم يطرق مـــــــن	أتاه بلا ســـــــلام
ضميف يزور فليس يـــــــأ	كل غير لحمى أو عظـــــــام
والدهر قد حمل الســـــــلا	ح على الكرام عن اللئـــــــام

داويت بالراح ان الـــــــراح تريق الكـــــــرام (١)

وفي مناظيرته للبديع معارضة له ولكنها لا ترقى الى الشعر الجيد (٢)  
وأهم معارضاته معارضة للرستمي في وصف دار الصاحب ، ومطلع قصيدة الرستمي :

نصبن لحيات القلوب حياءــــلا	عشية حل الحاجبات حياءــــلا
------------------------------	-----------------------------

ومنها : هي الدار أبناء الندى من حبيجها

نوازل في ساحاتها وقوافــــلا

(١) انظر اليتيمة ٢٩٦/١ - ٢٩٧

(٢) انظر رسائل البديع ص ٣٤

وقصيدة الرستمى هي أجود القصائد " الداريات " كما سماها الشعالى وقد بلغ ما أورده الشعالى منها ٤٦ بيتا . ( ١ )

يقول الخوارزمى فى معارضته : ( ٢ )

أكل بناء أنت بانيه مجز	بنيت المعالى أم بنيت المنازلا ؟
فلا الانس تبنى مثلهن معالما	ولا الجن تبنى مثلهن معاقلا
كنائس أضحت للغمام هائما	علوا ، وأمست فى الظلام قتادلا
رحاب كأن قد شالكت صدر ربها	وبعض كأن قد نازعت الشمائلا
ويهو تباهى الارض منه سماها	بأوسع منها آخرا وأواثلا
وصحن يسير الطرف فيه ولم يكن	ليقطعه بالسير الا مراحلا
تلوح نقوش الجوى فى جد رانه	كما زين الوشم الدقيق الأناملا
وما اذا أبصرت منه صفاءه	حسبت نجوم الليل ذابت سوائلا
رأيت سيوفا قد سللن على الش	رى وصارت لها أيدى الرياح صياقلا
وروش كعيش السائلين نضارة	ووجهك بشرى حين تحفظ آمالا
أصائله للنور أضحت هو اجرا	هو اجره للطيب أضحت أصائللا
هي الدار أضحت مطرح العام فاغتدى	لها ناهل الا مال ريان ناهلا
اذا ماتحها المركب لم يتطلبوا	اليها دليلا غير من كان قافلا
وأنت امرؤ أعطيت مالو سألت	ه الهك قال الناس أسرفت سائللا
وانى والزاميك بالشعر بعد ما	تعلمت منك ، الندى والفواضلا
كلزم رب الدار أجرة داره	ومثلك أعطى من طريقين نائللا

( ١ ) انظر اليتيمة ٢٠٩ / ٣ — ٢١١ وانظر ترجمة الرستمى ٣ / ٣٠٤

وما بعدها من اليتيمة .

( ٢ ) نفس المرجع ٤ / ٢١٧ ، ٢١٨

والقصيدة كما ترى في الوصف ولكني أخرجتها لغرض المعارضــــــــــــــــة ،  
وقد أجاد في وصف الدار وأصاب المعنى . . وفيها خيال جميــــــــــــــــل  
والفاظ مختارة ونرى فيها تعلق الخوارزمي بالبديع حتى في شــــــــــــــــره . .  
على أنها لا تفضل قصيدة الرستمي .

خصائص شعره الفنية :

أهم ما يلاحظه الدارس لشعر الخوارزمي كثرة تضميناته من الشعر . .  
فأحيانا يضمن بيتا كاملا كقوله :

وقائع لو مرت بسمع ابن غالب      لما قال ما بين المصلى وراقم  
" أتتني ورجلي بالمدينة وقعة      لآل تميم أقعدت كل قائم "

فالبيت الأخير للفرزدق قاله حين سمعوهو بالمدينة سقتل قتبية بن مسلم على يسدي  
وكيع بن أبي الاسود ( ١ ) :

وأحيانا يضمن شطربيت وزيادة كقوله : ( ٢ )

وتقول للخطاب غيرك ليس ذا      وقت الزيارة فارجمي بسلام  
وهو من بيت جرير :

طرتك صائدة القلوب وليس ذا      وقت الزيارة فارجمي بسلام  
وكثيرا ما يضمن نصف بيت وهو كثير جدا كقوله ( ٣ ) :

والتارك الترك والخذلان ينشدهم  
يا بؤس للجهل غمرا لأقوام

فالشطر الأخير للنابغة الذبياني .  
ويطول بنا الكلام لو تفحصنا كل تضميناته وقد أورد الثعالبي كثيرا منها ( ٤ )  
ولكثرة ما يضمن الخوارزمي شعره أبيات غيره قال فيه القاضي أبو الحسن علي بن  
عبد العزيز الجرجاني !

( ١ ) انظر البيهقي ٢١٧/٤

( ٢ ) نفس المرجع ٢١٩/٤

( ٣ ) نفس المرجع ٢١٦/٤

( ٤ ) انظر البيهقي ٢١٢/٤ - ٢٢٢ وقصيده في وصف دار المصاحب كلها شواهد



لو نفضت أشعاره نفضة لا نشرت تطلب أصحابها ( ١ )

وهذا يرجع الى كثرة ما يحفظه من الشعر ، والى كثرة مطالعته في دواوين الشعراء يقع في شعره البيت أو الشطر من شعر فيسندون أن يعمل فكره في استجلابه ، وانما طلبه المعنى . . ولا شك أن له حسن ذوق في ايقاع تلك التضمينات مواقمها .

ورغم كثرة اطلاعه والماله بشتى فروع علم اللغة العربية . . فان شعره ليس شعر الطبع والقريحة . . واجادته في بعض قصائده آتية من فهمه للشعر وحفظه ولنضججه الثقافي ، ولتمييزه الجيد من الردي من الاشعار ، كما سنرى ذلك في نقده . وأمر آخر جعل شعر الخوارزمي مقبولا وجيدا هو تزيينه إياه بالحكمة والمثل والتضمين والاقتباس الذي يأتي في موضعه . وللخوارزمي شعر بارد لا يدل على شاعرية وذلك حين تخونه عاطفته ويخالف الصدق الفنى ،

كقوله في الغزل ( ٣ ) :

ويا من لست أرضى قط	با لبحر له قطره
ولا أرضى له البدر	على اشراقه غمره
ولا أرضى له الارض	على فسحتها حجره
ولا أرضى برزق الانس	سوالجن له سفره
ولا أرضى له السم	غلاما والمنى سميره
والا أرضى له الا	بنفسى أمة حميره

( ١ ) تنمة اليتيمة ص ١٠

( ٢ ) اليتيمة ٢٣٧/٤ - ٢٣٨

فهو كما ترى غزل بارد وكأنه تلك الرسائل المتكلفة التي يرادف فيها الجمل  
ويرصها رصا ، ولا يهمه منها الا أن تجيبى \* على روى واحد .

وكقوله فى الحكم ( ١ )

الملك عندى متعة الشباب	والعزل عندى فرقة الاحباب
والفقر عندى عدم الشراب	والشيب عندى كذب الخضاب
والقبح عندى عدم الآداب	والمرس عندى ليلة الكتاب

وهو يستمر على هذا النحو فى أربعة عشر بيتا يكرر " عندى " مرتين فى كل  
بيت . ورغم ما فيها من حكم وبعض قيم عصره . . . ورويته للحياة فأنها لا يمكن  
أن تصدق عليها كلمة شعر ، ولو كانت موزونة ومقفاة .

وقد سجل عليه تلميذه الشعالى بعض سقطات فى معانية كقوله من قصيدة فى الصاحب  
وقد أعتل ( ٢ ) :

نموا لى نفسى المجد ساعة أخبروا      بما يشتكى من سقمه ويمارس  
قال الشعالى : فان فى لفظة " النص " ما فيها من الطيرة : اذ هى ما  
يقع فى المرثية لا فى الميادة " كما انتقده فى قوله فى الصاحب أيضا ( ٣ )

ومهيّب كأنما أذنب النسا	س اليه فهم مغشون ذلا
وظريف كأن فى كل فم	من أفاعيله عرائس تجلس

نفس

( ١ ) ، ( ٢ ) ، ( ٣ ) انظر المرجع ٢٢٢/٤

وبه بقية الامثلة

ويقول : " فان الكبرياء والمحتشمين لا يوصفون بالظرف ، ان هو من أوصاف  
الاحداث والقيان والشبان فلو مدخ مخنثا لما زاد " ( ٢ ) .

كما أنتقد الجرجاني في قوله : " والبعض عندي كثرة الاعراب " .

ذلك أن الاعراب لا يوصف بالكثرة والقلة . ( ٢٢ )

ولكن كما يقولون : لكل جواد كبوة . . فلا يخلو شعر شاعر من هنات وعيوب . .

وانا قومنا شعر الخوارزمي وجدناه طبقتين :

جيدا وان لم يبلغ شعر الفحول .

ورديثا أو باردا وهو أقرب الى النظم منه الى الشعر وان كان قليلا . وقد أثبت في  
رسالتي من شعره ما يشهد له بالاجادة ، خاصة في الاغراض التي يتناولها وهو ،  
ملتهب الماطفة . . يقول عن معاناة وصدق ، كالرثاء والعتاب والاعتذار والوصف  
والشكوى . . فشعره في جملة لا يقل عن مستوى شعر الكتاب المعاصرين له كالهدية  
والصاحب . . وغيرهم . بل يمكن أن نقول انه لا يقل عن شعر من عرف في هذه  
الاقاليم في هذا القرن . ان هذه الاقاليم لم تحظ بشاعر مشهور كما حظيت باقي  
الاقاليم الاسلامية ولعل شعر الكتاب من المواضيع الجديرة بالدراسة

---

( ١ ) ويمكن أن يكون الخوارزمي قصد أن يسيىء الى صاحب بعد أن تنخير

عليه فهو يعبر عما في نفسه تجاهه . ويتمنى في قرارة نفسه أن يكون

كذلك . ويمكن أن يكون قصد فعلا أن الناس من خوف<sup>ه</sup> يفسحون ذلا .

( ٢ ) انظر أسرار البلاغة ص ٦٦

## الفصل الرابع

### الخوارزمي والنقد

كان النقد في القرن الرابع الهجري ، قد نضج ، وتخطى مرحلة التأثر الذاتي والنظرات السطحية العابرة ، والأحكام المجلى ، والحكم على القصيدة ببيت منها . . الى مرحلة التعميد ، والنظر المتأنى الدقيق ، وفي هذا القرن ، لابد لمن أراد مزاحمة فحول الأدياء على الشهرة والمكانة في مجالس الوزراء ، من الالام يقواعده وقضايه . . وقد رأينا الخوارزمي يبذل في سبيل ذلك أقصى غايته ، يترك الأهل والوطن ويتكبد مشاق السفر ليتزود . . بشتى علوم العربية ، وليحظى - لدى الولاة - بالمنزلة الرفيعة . . وقد نالها فلا بد أنه دخل حلبة النقد ، وأسهم فيه بنصيب ، خاصة وهو أستاذ أبناء الأمراء والروساء وأعيان البلاد . (١)

وقد جمعت بعض أقواله في النقد ، ومع أنها لا تمثل النقد المنهجى الذى يعتمد على التحليل والتفسير ، فانها لا تخلو من ذوق سليم وفهم دقيق للأدب - على أننى لا يمكننى الحكم على الخوارزمي المناقد بهذه اللحقات النقدية ، فقد يكون له مساهمة في النقد تفوق ما عثرنا عليه أو لحله ألف فيه ولكن لم يصلنا ما ألفه .

ومع ذلك فان هذه الآراء واللمحات تستحق منا الوقوف عندها ، وبيان قيمتها ، لأنها تكشف عن ذوق قائلها ، وذهبه الأدبى ، وفهمه للأدب . فنراه يرسم للشاعر طريق الاجادة بمطالعة دواوين فحول الشعراء ويدله على الأغراض التى أجاد فيها كل منهم واشتهر بها . ذلك أن من كانت لديه موهبة الشعر وطالع تلك الأغراض ، لابد أن يتأثر بها ويمثلها فيقوى شعره

(١) أنظر رسائل الخوارزمي ص ٣١ و ص ٤٥ على سبيل المثال . .

وتصفو قريحته . الا أن يكون بليد الحس عديم الموهبة . . وذلك  
هو من دعا عليه الخوارزمي بالألا يشب الله قرنه .

فهو يقول : " من روى حوليات زهير واعتذارات النابغة وأهاجى الحطيثة  
وهاشميات الكميت ونقائض جرير وخمريات أبي نواس وتشبيهات ابن المعتز وزهديات  
أبي المتاهية ومراثي أبي تمام ، ومدايح البحترى ، وروضيات الصنوبرى ولطائف  
كشاجم ، ( وقلائد المتنبى ) ولم يخرج الى الشعر فلا أشب الله قرنه " ( ١ )  
بل أنذر اليه كيف يصور . . عظمة الشعراء ورفعة مكانتهم ، وكيف أنه يغفر لهم  
مالا يغفر لغيرهم . وفيه إيحاء للولاة والحكام بأن يكرموهم ويجلوهم ان أرادوا . .  
السمعة الطيبة والذكر الحسن .

" وما ظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم ، والكذب مذموم الا فيهم ، اذا ذموا  
ثلبوا ، واذا مدحوا سلبوا ، واذا رضوا رفعوا الوضيع ، واذا غضبوا وضعوا الرفيع  
اذا أقروا على أنفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد ولم تمتد اليهم بالمقومة يحد ،  
غنيهم لا يصادر ، وفقيرهم لا يحتقر ، وشيخهم يوقر وحدثهم لا يستصغر ، وسهامهم  
تنفذ فى الأعراض اذا نبت السهام عن الأغراض ، وتصل الى البعيد كما تصل الى  
القريب ، شهادتهم مقبولة وان لم ينطق بها سجل ولم يشهد بها عدل ،  
وسرقتهم مغفورة وان تجاوزت ربع دينار ولو بلغت ألف قنطار ، ان باعوا المفشوش  
لم يرد عليهم وان صارفوا الصديق لم يستوحش منهم . بل ما ظنك بقوم هـم  
صيافة أخلاق الرجال ، وسعاسة النقص والكمال ، بل ما ظنك بقوم اسمهم ناطق

( ١ ) أنظر ثمار القلوب ص ٢١٦ ومواسم الأثبات ٩/١ ، وأنوار الربيع ٣٨٢/٢ ،  
ومقدمة فى صناعة النظم ص ٣٤ - ٣٩ وفنون الشعر فى مجتمع الحدانيس  
ص ٤٩١ ولم يورد ( قلائد المتنبى ) سوى ثمار القلوب .

بالفضل ، واسم صناعتهم مشتق من العقل . بل ما ظنك بقوم هم أمراء الكلام ،  
يقصرون طويلاً ، ويخففون ثقلية (يقصرون مديده ، ولم لا أقول : ما ظنك  
بقوم يتبعهم الضاؤون ، وفي كل واد يهيمنون ، ويقولون ما لا يفعلون) (١)

وما أحسن تشبيهه موهبة الشعر بالسييل الزاخر الذي لا يمكن إيقافه  
فهو لا بد واجد له منفذاً . . وكذا الموهبة الشعرية لا يستطيع صاحبها إيقافها  
أو كتمها . . فالشعر يفيض عن الشاعر بالقوة وفيه تحذير ضمنى لولاة ووزراء عصره  
من أسنة الشعراء .

فهو يقول : " والشعر مع الجود حيث كان ، ويرتاد المعروف والأحسان  
وانما هو مال سارب . بل سيل راعب ، اذا سد عليه طريقه خرقه في الأرض خرقاً  
وجعل لنفسه طريقاً . بل طريقاً ، وما أشبه من أكره الأسنة على مدحه إلا بمن  
أكره القلوب على محبته " . (٢)

وهو يدرك تأثير البيئة الثقافية على أسلوب الشاعر وإنتاجه ، يقول عن . .  
الشيبى : " كان الشيبى في أيام شبابه بخوارزم يقول شعراً جاسياً كاشعراً  
المؤدبين ، فلما عاش الناس ولقي الأفاضل لطف شعره . . " (٣) وأخذ  
على أبي تمام سوء المطلاع انه يقول : " ما أضيق خاطر أبى تمام  
حيث قال : " قدك اتشد أفرطت في الغلواء " حتى كأنه لم يقع على  
أحلى من هذا الابتداء . . " (٤)

(١) انظر رسائل الخوارزمي ص ٨ وقد انفردت بالجملة الأخيرة ( بين القوسين )

ومطالع البدور ٢١٦/١ - ٢١٧ ، واللطائف والظرائف ص ٢٤ وأنوار الربيع

٣٨٢/٢ ، وروضات الجنان ٣٢٣ - ٣٢٣/٣٠ .

(٢) رسائل الخوارزمي ص ٧ والسييل الرابع : الذي يربع بكثرة وسمته مجاز .

(٣) انظر البيت ٢٤٢/٤ . . والجاسى الياس الخشن .

(٤) رسائل الخوارزمي ص ٢٩ .







سائر البلدان أو على قنيتين كسائر القيان<sup>(١)</sup> . على أنها نظرة مادية — من الخوارزمي بل نظرة عالم لا يهمه ما يشعر به المشاق ، فالمخزومي عبر عن عاطفته ووفى المعنى حقه وما يهمه ما ذكره الخوارزمي . . . ولكن يلطف هذا روح . . . الدعاية التي تظهر من كلام الخوارزمي .

ويقول في بيت أبي العلا السروي في تقبيح النرجس :

كرية ركبت عليهم ————— \* صفرة بيض على رقا —————  
 " أراد أبو العلا أن يهجو فمدح وقصد أن يقبح فحسن ، ولوننا نحو وصفه  
 ما دحا لما زاد " (٢)

وكان إذا أنشد قول صاحب :

أما ترى كانون ينث ————— روده \* وكأنما الدنيا سبيكة فضة

قال : هذه الثلجيات عيال على قول الصنوبري :

ذهب كئوسك يا غي ————— لا \* م فانه يوم مفض ————— (٣)

وهذا معناه أن صاحب سرق المعنى من الصنوبري . . . وهو دليل على جودة حفظ الخوارزمي وتمييزه بين الجيد والردى من القول في المعنى الواحد . ولذلك اعتدح شعر أبي طالب الرقي مع قلته لا جادته فيه ، فالجودة عنده هي المقياس ، ان قال فيه : " انه أحد العقليين المحسنين الذين يطبقون الفصل في أغراضهم وينظمون الدر الفصل في معانيهم وألفاظهم " (٤) .

(١) أنظر رسائل الخوارزمي ص ٢٩ - ٣٠ .

(٢) تحسين القبيح مخطوط ورقة ٣١٠ .

(٣) اليتيمة ٢٦٥/٣ .

(٤) نفس المصدر ٢٩٨/١ .

وهو لهذا السبب عاب شعر البديهي مع كثرته ان يقول فيه :

" انه كان لا يرجع من البديهة التي انتسب اليها وتلقب بها الا الى لفظة الدعوى  
دون حقيقة المعنى . . قال شعرا كثيرا لعدة في زمان طويل المدة فلم يستلج له  
إلا هذا البيت :

أتمنى على الزمان محالا \* أن ترى مقلتي طلمة حرر (١)

ويدرك أثر الدربة والممارسة في جودة الشعر وقوته ، فيقول في الوأواء المشقى :  
" كان الوأواء مناديا في دار البطيخ بدمشق ينادى على الفواكه ، وما زال يشمر  
حتى جاد شعره ، وسار كلامه ووقع فيه ما يروق ويشوق ويفوق حتى يعلو الحيق (٢)

وكان من شدة إعجابه وفهمه للشعر الجيد ، أن يحسد قائله ويتمنى  
لو أنه له ، إسمعه يقول : " أنشدني صاحب نكتة له منها هذا البيت  
لئن هولم يكف عقارب صدغه \* فقولا له يسمح بترياق ريقه  
فاستحسنه جدا حتى حسمت من حسدى له عليه ، وودت لو أنه لى بألف بيت من  
شعري " (٣) . . وإذا كان قول الخوارزمي هذا ليس فيه مبالغة ومجاملة للمصاحب  
فما قيمة شعره بمد حكمه هذا ؟

ويقول عنه الثعالبي : " كان الأستاذ الطبري يطرب على قول السمرى :

ومن وراء سجوف الرقم شمس ضحى \* تجول ففجئ ليل مظلم داجى  
مقدودة خرطت أيدي الشباب لها \* حقين دون مجال العقد من عاج (٤)

(١) نفس المصدر ٣/٣٤٣ .

(٢) نفس المصدر ١/٢٨٨ وأنظر " الأمير سيف الدولة الحمداني ص ٢٩٦ .

(٣) أنظر اليتيمة ٣/٢٧٩ .

(٤) أنوار الربيع ٤/٩٥ ، وخمس رسائل ص ١١١ .

ويبلغ به التأثير في بعض الأحيان ، أن يستسلم للبكا\* فهو يقول :  
 " ربما أريد البكا\* في بعض مواطنه فيمتنع علي ، فما أنا إلا أن أنشد أبيات  
 أبي الطمحان القيني " فيما بيني وبين نفسي حتى ينحل عقد الدمع .

ألا عللاني قبل صدح النوائج \* وقبل ارتقا\* النفس فوق الجوانح  
 وقبل غد يالهف نفسي على غد \* إذا راح أصحابي ولست برائـ  
 إذا راح أصحابي تفيض دموعهم \* وفودرت في لحد علي صفائحـ  
 يقولون هل أصلحتم لأخيكم ؟ \* وما اللحد في الأرض الفضا\* بمالـ  
 (١)

وله آرا\* في بعض أبيات شعرا\* عصره .. هي أقرب إلى طريقة القدماء\* من النقاد  
 العرب .. ولكنها تدلنا على ذوقه ومشاربه ، وبعض مظاهر عصره .

فهو يقول : " لعلني أحفظ في هجا\* الممنين أكثر من مائتي بيت ليس  
 فيها أبدع وأوجز من قوله : " يعنى منصور الفقيه المصري " .

وممن بارد النعمة مختل اليمين \* ما رآه أحد في دار قوم مرتين\*  
 (٢)  
 ويقول : " غرر البحترى ووسائط قلائده وآيات قصائده أكثر من أن تحصى ، وعندى  
 أن أفصح أبياته وأبلغها وأجمعها للكثير من المعاني في القليل من الألفاظ ، قوله  
 فيمن يرضى بحد السخط ، وفي نفسه بقية من العتب :

(٣)  
 تبلى عن بعض الرضى وانطوى على \* بقية عتب شارفت أن تصرمـ  
 أو يقول : " عجت لمن لا يرقص إذا سمع بيتي البحترى :

(١) من غاب عنه المطرب : " مخطوط " ورقة ٣٨ ، ولوغ العرب ١٢١/٣ وقد انشأ  
 البيت الأخير .

(٢) أنظر الإعجاز والإيجاز ( مخطوط ) ورقة ٦٨ - ٦٩ .

(٣) نفس المصدر ورقة ٦٢ .





## الفصل الخامس

( مكانته وموازنته بأدباء عصره )

احتل الخوارزمي في القرن الرابع الهجري مكانة عالية بين الأدباء ، وخاصة في شرقي الدولة الإسلامية ، ولم يكن عصره عصر ركود في الأدب أو قلة في الأدباء حتى يقال : إنما احتل هذا المركز لقلة المنافسين ، وعدم وجود الفحول الكبار بل كانت الفترة التي عاشها الخوارزمي من أزهى عصور الأدب العربي . . . سواء من حيث التأليف والانتاج ، أو من حيث ظهور عدد كبير من أعلام الأدب نشره وشعره .

هذا ما يشهد به له معاصروه ومن بعدهم ، كالشعالي<sup>(١)</sup> ، والصفدي<sup>(٢)</sup> وابن الصمد<sup>(٣)</sup> وغيرهم . . . كما سنرى .

وما بين أيدينا من نتاجه - وهو ديوان رسائله وما جمعته من شعره ، وكتاب الأمثال - لا يؤمله لكل هذا الاطراء الذي سجله له المؤرخون وكتاب التراجم ، فرسالته في جملة ما لا تعد وأن تكون رسائل اخوانية في افراض شخصية تدل على الصنعة البديعية ، وشعره الموجود بين أيدينا - رغم اجادته في بعض قصائده - لا يرقى الى مستوى شعر الفحول من الشعراء ، وكتاب الأمثال ليس له فيه سوى مقدمته الرائعة التي مرت معنا ، والباقي إنما هو جمع وتنسيق ، ولكنه يدل على سعة اطلاع وقوة حافظته . . . وربما يكون له انتاج غير ما وصل اليه ، أو أن هؤلاء الذين أشادوا بأدبه ومنزلته قالوا ذلك بناء على مقاييس عصرهم حيث كانت البراعة والاجادة في الافتان في المحسنات البديعية ، واستخدام لغة الشعر ، وغياها في تلك الرسائل الاخوانية

( ١ ) انظر اليتيمة ١٩٤/٤ ( ٢ ) انظر وفيات الأعيان ٤٠١/٤

( ٣ ) انظر شذرات الذهب ١٠٥/٣ ( ٤ ) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٥٠٢

والميل الى الأسلوب الفك السهل المحلى ارضاء للذوق العام الذى يغلب عليه الطابع  
الفارسى <sup>(١)</sup> فى تلك الأقاليم . . . بالاضافة الى أن الأدب أصبح حرفه يرتزق منها الأدب  
وندر من شحذ عن هذا النهج .

أقول لعل الخوارزمى انما اشتهر من أجل هذه الاعتبارات التى تساير  
أذواق وميول عصره . . . على أنه قد أدرك أن هذا ليس هو الأدب الجاد الرفيع . . .  
ولكنه أراد أن يشيع وينفق أدبه ، ولن ينفق الا اذا جارى هذا الاتجاه . . . فلما  
أصبح هذا الأسلوب مسلما به ، يرضى أذواق الناس . . . حكموا له بالاجادة والتقدم  
لأنه أرضاهم . . . وهذا ما أشار اليه الخوارزمى فى قوله : " ونحن نتعذر اليك من  
الحاجة الى جمع هذا الكتاب <sup>عليه</sup> أجل أهل الزمان ، وخدم السلطان من الميل  
الى الأدب الرطب لسهولة ، والنفور من الأدب اليابس لوعورته . . . . . وانما  
الأدب لسان ، واللسان آلة ، والآلة تنفق بطلب الطالب لها ، ورغبة فيها ، كما  
تكسد برغبته عنها ، وانزوائه منها ، فالمهم اذا احتيج اليه مستعمل والمستعمل  
اذا استغنى عنه مهمل . . . . . والسلطان متصرف على حكم حاشيته ويطانته ، وناظر  
بأعين كفايته وكتابه ، وجلهم بل كلهم مائل عن موارد الجد الى حلاوة الهزل ، يستبشع  
الاعراب ويلعن الأعراب <sup>(٢)</sup> ولم ينل كل هذه المكانة بما ألفه وهبب - كما سبق  
أن ذكرت . ولكنه نالها - فيما يبدو - ببلاغته وبيانته وفصاحته وقوة حفظه وتبحره  
فى علوم العربية . . . وبما يلقى من محاضرات ويعطى من دروس . . . وتلك المحاضرات  
لم تجمع وتدون . . . ومهنة التدريس ، وحضور مجالس الوزراء والولاة ، واشتغاله بالقضاء  
المحاضرات هى التى شغلتها عن التأليف ، واستنفدت منه طاقته . . . ولواتجه  
للتأليف . كما فعل تلميذه الشعالى - لكان لنا منه ذخيرة طيبة بالقياس الى ما أودعه  
كتابه الأمثال . . . لسعة اطلاعه وتضلعه فى اللغة وآدابها . . . ولما اكتسبه من رحلاته  
المتعددة ولا حاطته بالتراث العربى القديم ، ولمصاحبة كبار العلماء والأدباء فى عصره

( ١ ) انظر المصدر السابق ص ٥٠٢

( ٢ ) مقدمة كتاب الأمثال ورقة ٣

فمن ترجم له — اذا — لم يحكم له بما ألقه فقط ، وانما حكم له بما هو عليه من الفضل والتقدم في صناعة الرسائل ، وبما يتحلّى به من أدب ، ومعرفة ظهرت لأبناء عصره من خلال تدريسه ومحاضراته ، ومناقشاته .

يقول فيه تلميذه الثعالبي : " باقعة الدهر وبحر الأدب وعلم النثر والنظم ، عالم الفضل والظرف ، وكان يجمع بين الفصاحة المعجبة ، والبلاغة المفيدة ، ويحاضر بأخبار العرب وأيامها ودواوينها ، ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر ، ويتكلم بكل نادرة ، ويأتى بكل فقرة ودرة ، ويبلغ من محاسن الأدب كل مبلغ ، ويغلب على كل مجلس بحسن مشاهدته وملاحة عبارته ، ونفحة نغمته ، وبراعة جده وهزله " ( ١ ) .

ويقول عنه ابن خلكان : " أحد الشعراء المجيد بين الكبار المشاهير ، كان اماماً في اللغة والأنساب وكان مشاراً اليه في عصره " ( ٢ ) ويقول عنه الحاكم صاحب كتاب " تاريخ نيسابور " : " اجتمعت معه نيسابور وبخارى ثم جاءنا الى ( نساء ) ولما اجتمع معي الا ذكرني بالأسامي والكنى والأنساب حتى يحيرني بهذه الأنواع وكان واحد عصره في حفظ اللغة والشعر وكان قريضه يقصر عن شعره " ( ٣ ) .

ويقول عنه صاحب كتاب " احكام صنعة الكلام : " ان أبا بكر من أفراد الدهر وأمرأء النظم والنثر . . . وسأثبت له في هذا الكتاب ما يشهد بأنه من علية العلماء والكتاب " ( ٤ ) ويقول عنه معاصره التوحيدى : " كان الخوارزمي من أفصح الناس ما رأينا في العجم مثله ، وكان الظاهر أن صاحب انما يعطيه لأدبه ويجيزه لشعره ويصطفيه لفضله : " ( ٥ ) ومن آراء المحدثين فيه : — يقول زكى مبارك : " شخصية عظيمة من الشخصيات التى نهضت بالأدب العربى وشغلت الناس هذه أجيال " ( ٦ ) .

( ١ ) اليتيمة ١٩٤/٤ ، وانظر أعيان الشيعة ٢٥٨/٤٥ ، ٢٥٩ ، نقلا عن شرح تاريخ العتبي

لمحمود بن عمر النيسابورى .

( ٢ ) وفیات الأعيان ٤٠١/٤ ، وانظر روضات الحنات ٢٤/٢ ، وشذرات الذهب ١٠٥/٣

وطبقات النحاة ١٣٥/٥ ، الطباق ص ١٧١ و امرأة الجنان ٤١٦/٢ .

( ٣ ) نقلا عن الأنساب للسمعاني ٢١٣/٥ . صاحب الزبير ص ٧٧

( ٤ ) احكام صنعة الكلام ص ١٢٤ ( ٥ ) ~~البحر في الأدب~~ ص ١٠٥

( ٦ ) ~~البحر في الأدب~~ ص ١٠٥



ويقول محمد كرد علي : " كان بما أتقن من علوم الآداب آية في فنه ، ومع أنسه جرى طلقاً مع عاطفته ، فقد كانت رسائله مما يتعلم منه وقليل في حملة الأقلام — من جود تجويده " (١) .

ويقول فيه أحمد أمين " رحل كثيراً الى الأقطار ، وعدّ شيخ الأدباء واعترفت له الأقطار المختلفة بالفضل والبلاغة " . (٢)

وفيه يقول آدم متر : " كان أبوبكر الخوارزمي أشهر كتاب الرسائل الإخوانية وقد ظل زماناً طويلاً أكبر كتاب العرب " . (٣)

ويقول شوقي ضيف : " كان الخوارزمي من كبار الأدباء في عصره وكان أستاذاً كبيراً أشتهر بالبلاغة والبيان " . (٤)

ويقول عباس طه فيه : " الأستاذ الكبير والعلامة الخطير . . . ظهير الأدب وظهره من علق ذكره بمناط الجوزاء . . . الشاعر الذي لا يطاول والناثر الذي لا يبارى ولا يجارى " . (٥)

ويقول زكي مبارك عن نبوغه الأدبي : " ان له بلاغه خاصة تضمن له التفرد والاستقلال والنبوغ الأدبي هو ذلك . . . . فليس يطلب من الكاتب أو الشاعر أن يفوق جميع معاصريه ليوصف بالنبوغ ، ولكن يكفي أن يكون ينبوعاً مستقلاً يشعر الناس بوجوده الخاص ، ويحسون فقداه ان حجب عنهم فيضه النسيير " . (٦)

هذا مجمل لأراء الكتاب قدماً ومحدثين — في مكانة الخوارزمي وهي كما رأينا تجعله من الطبقة الأولى ، وتشهد له بالبراعة والتقدم ولكن الشيء الذي لم يتعرض له هو لا الكتاب والذي يهمننا أكثر هو موازنته بغيره من أدباء عصره . . فلم يكـد معاصروه من النقاد والأدباء لموازنوا بين كتاب ذلك العصر أو يقسموهم الى طبقات ليتضح الفاضل من المفضول بل كان اهتمامهم بالشعر أكثر من اهتمامهم بالنثر . ولعل

(١) مجلة المجمع العلمي بدمشق م ٢٣ ص ٣٤٥ (٢) ظهير الاسلام ٩٧/٢

(٣) الحضارة الاسلامية ————— ٤٥١/١ (٤) الفن ومذاهبه في النثر

٢٣٢ — ٢٣٥

(٥) مجلة الأزهر جزء ٣٠ السنة الرابعة والثلاثون أكتوبر ١٩٦٢ م

(٦) النشر الفني ١٥٩/٢ .

لنقاد العصور السابقة لعصر الخوارزمي الحق في الاهتمام بالشعر أكثر من اهتمامهم بالنثر ، لأن الشعر في تلك العصور مقدم على النثر وله في نفوس القوم المكانة الأولى أما في القرن الرابع فقد توازنا في المنزلة والمكانة بل لقد فضلوا النثر على الشعر ، خاصة في المشرق وجعلوا منزلة الأدباء فوق منزلة الشعراء لأنهم أدركوا الدور الذي يلعبه الكتاب في الساحة الأدبية والسياسية والاجتماعية وهذا ما يعرب عنه الثعالبي أحد نقاد تلك الفترة بقوله :

” ولم تزل طبقة الكتاب مرتفعة على طبقات الشعراء فان الكتاب - وهم السنة الملوك - انما يتراسلون في جباية خراج أو سدّ ثغرة أو عمارة بلاد أو اصلاح فساد أو تحرير على جهاد أو احتجاج على فئة أو دعاء الى ألفه ، أو نهى عن فرقة أو تهئية بحطية ، أو تعزية في رزية ، أو ما شا كل ذلك من جلائل الخطوب ، ومعظم الشئون التي يحتاجون فيها الى أن يكونوا ذوى آداب كثيرة ومعارف مغنية وقد وسعتهم خدمة الملوك شرفها ، وموتّتهم منازل رياستها ، وأخطارهم عالية بحسب علو الجحظ مما يفيضون فيه ويذهبون اليه .

والشعراء انما أغراضهم التي يرمون نحوها وغاياتهم التي يجرون اليها ، وصف الديار والآثار ، وذكر الأوطان والحنين الى الأهواء .

... ومصاداة الكتاب ليست من أفعال ذوى الألباب ، وان مجاراتهم <sup>(١)</sup> نداسة ،

ومسالمتهم سلامة ، ومصادقتهم فائدة ... وما ظنك بقوم يملكون أزمة المنى والمنايا <sup>(٢)</sup>

ومن الملاحظ أن الثعالبي خلط بين أغراض الشعر وأغراض النثر فقد نزع بعض

أغراض الشعر وأعطاهما للنثر وهو ما كان عليه أدباء ذلك العصر حيث استخدما

أغراض الشعر وخیاله ولغته في النثر الفني ..

(١) كذا بالأصل ولعل صحتها ” مجاراتهم ” .

(٢) نشر النظم ص ٢ - ٤ .

ونعمود فنقول : إنه بالرغم من حكم النقاد للكتاب على الشعراء ، فإنهم لم ينالوا منهم العناية التي نالها الشعراء من دراسة وافية لنشرهم أو موازنتهم ببعضهم . . . ولو فعلوا لقد مواءموا للأدب خدمات جليلة ولأفادونا فائدة عظيمة ، لأنهم أعرف بـ لهم لمعاصرتهم إياهم ، ولسبب آخر مهم هو أن إنتاجهم كان بين أيديهم كاملاً . . . بعكس من يتعرض لموازنتهم في الوقت الراهن . . . فلم يصلنا إنتاجهم كاملاً ، وبعضهم لم يبق لنا من إنتاجه سوى شواهد فقط كابن العميد .<sup>(١)</sup>

ومن يتصدى للموازنة بين أدبيين أو أكثر فأهم ما يملك للحكم عليهم هو إنتاجهم الأدبي . . .

وإذا رجعنا إلى ترجمة أولئك الأدباء في كتب معاصريهم ، لنوازن بينهم منها ، لا نجد ما يدلنا على هذا الغرض . . . فالتعالى إذا ترجم لأحدهم كال له من المدح والاطراء ما يظن معه أنه يفضل على غيره ، فإذا انتقل إلى ترجمة آخر ، أعطاه نفس الصفات أو زاده عليها . . . فقد مرت بنا ترجمته للغوارزمي . . . التي توحى بأنه يقدمه على غيره من أدباء عصره .

ولكننا حين نقرأ ترجمته لكاتب آخر يتغير رأينا فيما ظنناه أو نحتار فحين هو أفضل من الآخر عنده . فهو يقول في بدیع الزمان الهمدانى مشحلاً :

" . . . معجزة هفنان ، ونادرة الفلك ، وبكر عطار ، وفرد الدهر ، وغرة المصير ، ومن لم يلق نظيره في ذكاء القريحة ، وسرعة الخاطر ، وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ، ومن لم يدرك قرينه في ظرف النثر وملحه وقرر النظم ونكته " .<sup>(٢)</sup>

ويقول في الصاحب : " ليست تحضرني عبارة أرضاها للافصاح عن علو محله في

العلم والأدب . . . . . بلغ من البلاغة ما يعد في السحر ، ويكاد يدخل في حـد الإعجاز ، وسار كلامه مسير الشمس ونظم نايحيثى الشرق والغرب " . ( ١ )

ويقول عن القاضي الجرجاني على بن عبد العزيز : " حسنة جرجان وفود الزمان وإنسان حدقة العلم ودرية تاج الأدب وفارس عسكر الشعر ، يجمع خط ابن مقلـة الى نشر الجاحظ ونظم البحترى ، وينظم عقد الاتقان والاحسان فى كل ما يتعاطاه " ( ٢ ) . . . . . وكان الثعالبي ألهاء اصطلياد السجع عن تحرّى الصفات التى تميز كل كاتب عن الآخر ، وأولعله لم يقصد أن يوازن بينهم . . . . . وإنما أراد بيان فضل كل منهم . . . . . وهم لا شك أهل فضل ومنزلة لا تنكرو . فأضفى على كل منهم من هذه الصفات التى تصدق على الكل .

وكما لم يوازن النقاد والمؤرخون القدامى بين أولئك الكتاب فعمل نفس الشئ كتابنا المعاصرون الذين تجنبوا الغوص فى هذا المضمار . . . . . فلم أجد منهم من حاول مثل هذه المحاولة . . . . . مع قيمتها . . . . . وحتى زكى مبارك حين درس النشر الفنى فى القرن الرابع الهجرى دراسة وافية ، لم يشأ أن يطرق هذا الموضوع مع أنه خير من كتب عن النشر فى هذه الفترة . . . . . وأكفى بأن قال فى مجال الموازنة : " الكاتب صاحب الشخصية فيما نريد هو الكاتب الذى يمتاز أسلوبه ، وتفكيره بخصائص ومميزات لا يمثلها كاتب سواه ، وكذلك كان الخوارزمى . فهو فى نشره عقل قوى يمتاز عن المحقول التى سبقت أو عاصرت ، وليس معنى ذلك أنه يفوقها جميعا ، فهو دون ابن الحميد فى سمو الغرض ، ودون بديع الزمان فى حلاوة التعبير ودون التوحيدي فى وفرة الحصول " . ( ٣ )

وليس معنى انتقادى للمؤرخين والكتاب قدما " ومعاصرين فى عدم التصريح

لهذه الدراسة أننى سوف أتى بما لم تستطعه الأوائل ، فانى أدرك صعوبة هذه الدراسة وتشعبها وما تحتاجه من جهد كبير ودربة ودراية بأدب العصر وأدبائه ، ولكنى أردت أن أبين أهمية هذه الدراسة وما تستحقه من عناية الدارسين وهى محاولة رائدة وجيدة لمن أراد افرادها ببحث خاص ان هى تصلح أن تكون رسالة بذاتها وهى تختلف عن موازنة الشعراء لوجود مقاييس للشعر يمكن موازنة الشعراء على أساسها .

وسوف أقصر القول فى موازنة الخوارزمى بغيره من أدباء عصره على ثلاثة من أعلام هذا العصر ——— : ابن العميد والصاحب ويدع الزمان وما سوف أصدره من أحكام انما هى انطباع شخصى لقراءتى لبعض انتاج هؤلاء الأعلام ، وسوف أوازن بين هؤلاء من حيث . . وفرة المحصول ، والجودة الفنية ، ومن حيث المكانة الأدبية التى حققها كل منهم ———

#### الخوارزمى وابن العميد :

لا نعرف من انتاج ابن العميد الا ديوان رسائله الذى يذكر برزكلمان أنه مخطوط فى بوهار — ٤١٢ هـ وفى ( أمروزيانا ) ١٢٥ — وفى مكتبة سيلان ( ١ )

ولذلك فالخوارزمى يتقدمه من هذه الناحية ناحية الكم ، ان أن له ديوان رسائل وهو ديوان شعر وكتابا فى الأمثال . . . بالاضافة الى الكتب التى نسبت اليه والكتب التى لا تزال مخطوطة ، ورجحنا أنها له والتى ذكرت له ولم نذكر عليها .

وأما من حيث الجودة الفنية والقيمة الأدبية والعلمية فيمكننا من خلال ما وجدنا لابن العميد من رسائل وقصائد متفرقة — أن نقول : ان نشره كان قويا محكما وقد تماثل فيه فن التصنيع لأنه احتكم الى السجع والبديع . . وهو يهتم فى كتابته بالأمور الوجدانية والعقلية ولم يجعل اهتمامه منصبا الى الضمة البديعية وحدها ولعل رسائله الديوانية

أقوى من رسائله الإخوانية فقد روى عن أحد الخارجين - وقد وجه إليه ابن العميد رسالة تهديد - أنه قال : " لقد ناب كتابه عن الكتاب في عرك أدبى واستصلاحى وردى الى طاعة صاحبه (١) - وكان يدعى الجاحظ الأخير (٢) .

وكان يقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد .

ويصف زكى مبارك نشر ابن العميد بأنه ليس زعزعا براقا ولا ثروة لغوية يكثر بها الكتاب (٣) . . . ويقول عنه آدم متر : " انه كان من الكتاب الذين يتركون السجع ويتجنبونه " (٤) .

ولكن ما بين أيدينا من نشره ليس كما قالوا فهو يلتزم الأسلوب المسجوع المحلى بأقنانين البديع . . . ولذلك عدّ مؤسس مدرسة التصنيع (٥) - التى تخرج فيها صاحب والهورزى والبديع وغيرهم .

على أن اتحاذ ابن العميد هذا الأسلوب فى كتابته قد يعيد عليه لا له . . . فبالرغم من أنه بدأ على يديه خفيفا الى حد ما فانه انحدر - فيما بعد - بالنشر العربى الى مهاوى الاسفاف ولم ينفك عنه الا مع بداية النهضة الحديثة . .

فنشر ابن العميد اذا مسجوع وملتق بأنواع البديع . . . غير أن أسلوبه كان محكما قويا . . . وأغراضه سامية رفيعة بسبب مركزه الذى كان يحتله ، ليس فى كتابته ذل ولا خضوع ولا اسفاف . . . لأنه فى الموضع الذى يذل له الناس ولا يذل لهم . وهذا هو الفرق بينه وبين الهوارزى . . . الذى جعل نشره فى خدمة مصالحه الخاصة . .

(٢) نفس المرجع ١٥٨/٣

(١) اليتيمة ١٦٩/٣

(٣) انظر النشر الفنى ٢٤٥/٢ - ٢٤٦ (٤) انظر الحضارة الاسلامية ٤٤٦/١ نقلا

عن مقدمة الخطب لابن نباته ص ١٦

(٥) انظر النشر الفنى ٢٤٥/٢ والفن ومذاهبه فى النشر العربى ص ٢٠٩

ونجد في رسائله كثيرا من التضمينات الشعرية والأمثال .  
غير أن الخوارزمي أكثر تضمينا منه لأطبايب الشعر ومختار الأمثال والحكم ، وكان ابن  
العميد واسع الثقافة في النحو والصرف والاشتقاق واللغة والغريب وتأويل القرآن  
واختلاف فقهاء الأمصار وقد يشاركه الخوارزمي في هذه العلوم أوزيرد عليه ولكنه  
يمتاز عن الخوارزمي باتقانه للهندسة وعلم المنطق والألا هيات والرياضيات <sup>(١)</sup> . فلم  
يعرف عن الخوارزمي أنه يجيدها ، غير أن سعة ثقافة ابن العميد هذه لم تنتج  
لنا ما يدل عليها من المؤلفات . .

وقد أسهم كل من ابن العميد والخوارزمي في النهوض بالأدب . . أمّا  
الخوارزمي فبتدريسه ومحاضراته ومؤلفاته كما سربنا

وأما ابن العميد فجأه ومنصبه وإكرامه لأهله بالإضافة الى أنه كان يعلى  
أما من أئمة الأدب في عصره - ولعل الخوارزمي أصدق نفسا في شاعريته  
النثرية على أنه دونه في فحولة اللفظ <sup>(٢)</sup> .

وشعر الخوارزمي في جملة يفوق شعر ابن العميد وإن كان ما أشر من  
شعره محصور في الإخوانيات والمفاكهات <sup>(٣)</sup> .

وقد رأينا المكانة التي كان يحتلها الخوارزمي بين معاصريه وهي مكانة اكتسبها  
بعلمه وأدبه . .

ولابن العميد والصاحب مكانة ان لم تواز مكانة الخوارزمي فهي تفوقها .

(١) انظر النثر الفنى ٢٣٥/٢ واليتيمة ١٥٨/٣

(٢) انظر المرشد الى فهم أشعار العرب ٣/٨٠٣ - ٨٠٤

(٣) انظر اليتيمة ٣/١٧٠ فما بعدها .

غير أن شهرة هذين الوزيرين في الأدب كانت مرتبطة - إلى حد ما - بشمورتيهما في السياسة وما كانا يتمتعان به من مكانة اجتماعية عالية ، بفضل ما غولهما إيساء البويهيون ، وبفضل ما بذلا من عطاء أرضوا به الخاصة والعامة ، ولهذا فـ فسان في كثير من أقوال من ترجموا لهما شيئا من المبالغة والمجاملة التي استدعاها ما كان عليه من الثروة والمنصب .

والشعالي يلقب الخوارزمي في بعض كتبه بالوزير حيث يقول عنه : " وكتب الوزير أبو بكر الخوارزمي <sup>(١)</sup> . ومع أن لعبارة الشعالي مدلولها . . . إلا أن هذا الجانب من حيلة الخوارزمي يمسّد من الجوانب التي نجعلها عنه حتى الآن .

#### الخوارزمي والصاحب :

أما الصاحب فيفوق الخوارزمي في الانتاج . . فقد بلغت مؤلفاته ورسائله أربعة عشر مؤلفا ورسالة في شتى العلوم . . وان كان نصيب الأدب منها قليلا . فمنها ديوان رسائله وديوان شعره ، والكشف عن مساوئ شعر المتنبي . . . <sup>(٢)</sup> .

ولكن الخوارزمي يفوقه في الناحية الفنية والموهبة الأدبية . فقد كان تكلف الصاحب واسفافه أحيانا أشد مما وصل إليه الخوارزمي بالرغم مما كان يتمتع به من شهرة ومكانة فأدبه أقل من شهرته .

فقد أغرم بالسجع غراما استهلك معانيه وهوى بنثره في الغموض والتعقيد إلى حد الإفراط ، وفي ذلك تروى له حكايات وتكتب <sup>(٣)</sup> .

( ١ ) تحفة الوزراء ( مخطوط ) ورقة ١٧ .

( ٢ ) انظر " الصاحب ابن عباد حياته وأدبه " ص ٢١٤ وما بعدها .

( ٣ ) انظر نفس المرجع ص ٢٦٣ وما بعدها . والعضارة الإسلامية لآدم متر ١ / ٤٤٦ ، ٤٤٧ ،



ولعله الأستاذ الثاني في مدرسة ابن العميد لأن كتاب عصره أخذوا يقلدونه متأثرين بجاهه ومنصبه وغناه — والناس على دين ملوكهم — ولا يستطيع أن أحط من قيمة أدب الصاحب لا التزامه بالسجع ، فلم يكن وحده في هذا الشأن ، ولكن افراطه فيه أغرّه في رأيي — عن منزلة ابن العميد وحتى عن منزلة الخوارزمي ويديع الزمان .

أما من حيث المكانة . . فقد كان الصاحب من أشهر الشخصيات في القرن الرابع رفع بجاهه ونفوذه طوائف كثيرة من المتأدبين . وكان واسع الثقافة كما تصفه المراجع القديمه .

غير أن مكانته الأدبية مرتبطة بشهرته وجاهه وغناه ومنصبه . كما كان الحال مع ابن العميد .

#### الخوارزمي ويديع الزمان الهذاني :

وهنا يمكن أن تكون الموازنة أقرب للواقع حيث كان الأدبيان يعيدان عن المناصب ولم يكونا يوزعان الأعطيات والأموال على الناس ليكسبا رضاهم .

فما كسباه من شهرة ، ومكانة ، وذكر ، إنما هو بفضل إجادتهما لفنون الأدب وعلوم العربية .

فمن حيث الانتاج فهم على السواء — حسب ما وصلنا من انتاجهم — فقد عرفنا كتب الخوارزمي ، ولبيد يع ، ديوان شعر ، وديوان رسائل ، وكتاب في المقامات .

وأما من حيث الإجابة والاسهام في خدمة الأدب فلكل فضائله ، فبديع الزمان أخف روحا وأسهل أسلوبا في نشره من الخوارزمي ، ولكنه يعد أكثر التزاما للسجع والصنعة اليدوية . . حتى وصف أحد المعاصرين نشره بأنه أقرب

( ١ ) للتكلف والتصنيع من نشر الخوارزمي وأنه من أهم من رشحواً لمذهب التصنع وظهوره  
 وعد آخر رسائله أكثر السماوات وتكلفاً من رسائل الخوارزمي ( ٢ ) ومع ذلك فإننا نجد له  
 ذوقاً في انتقاء الألفاظ الموسيقية المذبة ، الحلوة الوقع على الأذن . . . يصرف  
 متى تمل السجعة فيغيرها ، فيخفف بذلك من ثقل الصنعة . . كما أن له خيال  
 مبدع يولد الصور في خفة ورشاقة . . ومقاماته أكبر شاهد على ذلك .

وبينما نرى الخوارزمي يعتمد في رسائله على الطباق والسجع بين المباررات  
 كقوله : " وقد كنت أعيب من الشعراء من مدح انسانا ثم هجاه . . . حتى بليت  
 الآن بهجاه الدهر وطالما صالحت . . . قد تعرفت للشيخ عوارف حيرتني بسين  
 طيها ونشرها ، ورجعت بين تركها وذكرها . . .

فقد أسكت الشيخ لسانى من حيث انطقه ، وحصر بنانى من حيث أطلقه ، حتى  
 لقد حسدنى عليه الأقارب ، وتعرف اليّ فيه الأجانب ، وها بنى ورجانى منذ عرفته  
 الحاضر والغائب " . . نرى البديع يعتمد على الجناس ، كقوله : " فما ترك لى  
 قضية الا فضها ، ولا ذهبها الا ذهب به ، ولا علقها الا علقه ولا عقارها الا عقره " . ( ٤ )  
 والسجع بين الكلمات والألفاظ كقوله : " وأليفه رغيته ، وأنيسه كيسه ، وأمنيته يمينه  
 ودنانيره سميره " . ( ٥ ) وهو كما ترى جناس غير كامل . . كما يميل الى الاغراب فى مثل  
 قوله : " ويصرف غيره من نفسه ، ويعلم أنها حب وراء القلب ، وقلب وراء الحب ،  
 وحب وراء المظم ، وعظم وراء اللحم ، ولحم وراء الجلد ، وجلد وراء البرد ، وبرد  
 وراء البعد " . ( ٦ ) فى حين نجد الخوارزمي يميل الى الوضوح فى كل رسائله . .  
 ولكن البديع يفضل الخوارزمي بجهوده فى بروز فن المقامات ، واتجاهه نحو الحكاية  
 والقصة . وهذا ما رفعه على أدباء عصره وليس على الخوارزمي وحده .

( ١ ) انظر الفن ومذاهبه فى النثر العربى ص ٢٤٢ ( ٢ ) انظر المضارقات لاسلامية لاد ممتز /  
 ( ٣ ) رسائل الخوارزمي ص ٧٢ ، ٧٣ ( ٤ ) رسائل بديع الزمان ص ٤٩  
 ( ٥ ) بديع الزمان رائد القصة ص ١٧٠ ( ٦ ) رسائل بديع الزمان ص ١٧٧

أما شعره فأقل جمودة من شعر الخوارزمي بالرغم من تظرفه فيه وخفة روحه . .  
( ١ ) فيكاد شعره أن يتجرد من العاطفة الشعرية الحارة . كقوله في رثاء صاحب له :

لئن أحرزك الداعى	لقد أحرزنى الناعى
وان متّ بجمجاع	لقد بتنا بأوجاع
وقد ينقسم الصوت	الى عدة أنوع
أرب القصر والمنظ	رما بالك بالقاع
أيا من دونه الصوت	بنفسى وأشياءى

.....

سأبكيك عن الدنيا	وعن سبعة أسباع
وعن سائر أبيات	وعن نادر اسجاع
ولما بكر الناعى	وصتّ اذن الداعى
لطمنا وتناوحننا	بألحان وايقاع

وفي شعره فرط تكلف فى الألفاظ والمعانى . . وأحيانا يحاول أن يهبط  
مقدرته ومعرفته لعلم اللسان ، فيكتب مثلا قصيدة مصرية من الواو ، وهو ما عجز  
عنه صاحب بن عباد . ( ٢ )

أما شعر الخوارزمي وقد مرت بنا أمثله ، فلا ينزل الى هذا المستوى ولا شك  
أن مساهمة البديع فى خدمة الأدب تفوق ما أسهم به الخوارزمي ، وكيفيه من ذلك  
أن فن المقامات نضج على يديه ، وأنه يعدّ المؤسس الأول لهذا الفن .

كما أنه رسم للكتاب طريق القصة ، بما أبدعه فى مقاماته ، وان كان لطول حياة  
الخوارزمي وانقطاعه للتعليم ، والدرس ، والمحاضرة ، خلال تلك الحياة الطويلة

( ١ ) بديع الزمان الهمذاني راجد القصة ص ٣٣٠ - ٣٣١ . نقلا عن ديوان بديع

الزمان ص ٥١ - ٥٣ .

( ٢ ) انظر الحضارة الاسلامية لآدم فنرا ١ / ٤٦١ .

فضل على أهل زمانه ولها أثرها في النهوض بالأدب ، واستفاد منها طلاب العلم والأدب في بلاده .

وقد تساوى في المكانة والشهرة ، وإن كانت شهرة البديع ومكانته إنما قامت على أنقاض شهرة ومكانة الخوارزمي — كما رأينا — في نتيجة مناظرته له .

## الخاتمة

أبو بكر الخوارزمي هو الأديب المشهور والشاعر المعروف ، محمد بن . .  
العباس أصله فارسي من طبرستان . . ولد بخوارزم سنة ٣٢٣ هـ خلافا لمن ذهب  
إلى أنه لا تعرف سنة ولادته ، وتوفي سنة ٣٨٣ هـ كما أثبت خلافا لمن رأى أنها  
سنة ٣٩٣ هـ .

وقد نشأ الخوارزمي في عصر عرف في التاريخ ( بعصر الديلات ) وذلك  
أن الخلافة في القرن الرابع الهجري تجزأت إلى عدة ديالات مستقلة ، أو شبه  
مستقلة عن الخلافة العباسية ، وكان لهذا أثره على مسار الأدب وازدهاره ،  
وتعدد بيئاته . . كما كان له أثره على حياة الناس الاقتصادية والاجتماعية ، حيث  
جرت الحروب التي قامت بين تلك الديالات على البلاد المجاعة والدمار في بعض  
الفترات وتولى حكمها - في الأقاليم الشرقية - ولاية وحكام أعاجم ، مما أضعف  
الروح العربي وجعل السيطرة فيها للروح والذوق الفارسيين ، فقد وجه أولئك  
الحكام ووزرائهم - رغم رعايتهم للأدب - الأدباء الوجهة التي تخدم مصالحهم ،  
وترضى رغباتهم ، من الإغراق في المدح ، والاهتمام بالشكليات ، وقصد . . .  
التسلية والهزل ، على حساب الجد في الفكر والقول ، وكان لتعدد البيئات  
الثقافية الناتجة عن تجزؤ الخلافة العباسية إلى ديالات أثره في ازدهار  
الأدب ورواجه ، وفي نشاط حركة التأليف . . ذلك أن أولئك الحكام والامراء  
المتناحرين ، شمل تنافسهم النواحي الأدبية والعلمية ، فاستكثروا من . .  
الأدباء وأجزلوا لهم العطايا ، وشجعوهم على التأليف باسمهم ، كما اعتنوا بالكتب  
وأنشأوا لها المكتبات الكبيرة .

وقد طوف الخوارزمي في الأفاق فرحل إلى الشام والعراق وفارس ، علما

ان الأقاليم الفارسية كانت تنقسم الى عدة مراكز ثقافية حسب تعدد الديارات بها  
فهناك حضرة صاحب ، وحضرة عضد الدولة ، وحضرة البلخي ، وحضرة أبي  
نصر الميكالي ، وحضرة طاهر بن محمد وغيرها .

ولكن حضرتي سيف الدولة بحلب ، والصاحب باصفهان ، استقطبتا جيل  
أدباء تلك الفترة غير أن الفرق واضح بين أدب بيئة الشام وما جاورها ،  
وبين بيئة فارس . فرفم أن حضرة صاحب كانت توازي حضرة سيف الدولة من  
حيث عدد مراتديها ، بل ان كثيرا من كانوا في بلاط سيف الدولة ، انتقلوا  
اليها بعد موته ، فان نتاج البيئات الفارسية من الآداب لم يبلغ ما بلغته  
الآداب الشامية وخاصة في الشعر ، وكان سبب ذلك هو غلبة الروح الفارسية  
على تلك الآداب . . خاصة وأن جل سكان تلك الأقاليم هم من الأعاجم ، وان حكاهم  
غير عرب . مما دعا الأدباء الى مراعاة تقاليد تلك البلاد ، وتلبية رغبات  
أولئك الحكام من اشباع رغبة المدح في نفوسهم ، وقصر أدبهم على الاشادة . . .  
بماثرهم ، أو صرفه للتسلية ، وكان العصر مناظرات ، تلك الظاهرة التي  
تمتد جذورها الى العصر الجاهلي ، فيما عرف عند العرب من المفاخرات  
والمناظرات ، مروا بالعصر الاسلامي الذي وجدت فيه هذه الظاهرة مجالا واسعا ،  
خاصة بعد ظهور المذاهب الجديدة والأحزاب السياسية كالخوارج والأشعريين  
ثم تفشت هذه المناظرات في العصر العباسي وشملت شتى فروع المعرفة ، واتخذها  
المعتزلة منهجا للدفاع عن مذهبهم ، وأقاموا لها قواعد وأصولا ، تمثلت في ظهور  
علم جديد هو "علم الكلام" .

وكانت مجالس الخلفاء والوزراء ، الميدان الفسيح الذي كان يتبارى فيه  
المتناظرون في كل فن . . فالمنطقي الفيلسوف يناظر النحوي ، ومحلل اثبات قيمة

علمه الذى اختص فيه وحاجة الناس اليه ، وفضله على غيره . . واللفوى  
 يناظر عالما آخر فى نفس اختصاصه ليظهر مقدرة وعلمه على مناظره ، مثل ما كان  
 بين المبرد وشعلب ، واشترك الأدباء والنقاد فى هذا المعترك . فكان ما كان  
 بين الحاتى والمتنبى ، ثم كانت تلك المناظرة الشرسة التى شادت بين  
 الخوارزمى وديع الزمان الهمذاني .

أما حياة الخوارزمى الحامة ، فلم يكن فيما أوردته كتب التراجم من تفاصيل  
 عن حياته ما يملأ الصورة الكاملة عن كل جوانبها . فأكثرها يكتفى بذكر تاريخ  
 ولادته ووفاته ، وان تحدى ذلك فإلى إشارة عابرة ضمن عبارات موجزة يغلب  
 عليها الاطراء . . وعمل نفس الشئى من ترجموا له من المعاصرين . . ولكن  
 بمبارات حديثة . . حتى أن بعضهم تشكك فى تاريخ ولادته ، وأكثرهم يسترد  
 بين جعل وفاته سنة ٣٨٣ هـ وبين سنة ٣٩٣ هـ .

ولقد تلقى ثقافته اللغوية عن ابن خالويه اللغوى المشهور وهو بحسب  
 كما تلقى الحديث وعلومه عن أبى على اسماعيل بن محمد الصفار فى بغداد . وبقى  
 ثقافته ذاتية . اعتمد فيها على قراءة كتب التراث ، ولذلك كانت مستمدة من  
 التراث القديم . . ثم أنه استفاد من ارتياده لمجالس العلماء والأدباء فى عصره ،  
 سواء فى حلب أو بغداد أو غيرها من بقية المراكز الكثيرة فى فارس .

وكان يتمتع بحافظة قوية جعلته يستوعب تلك الثقافات وتمثلها ويودعها  
 أدبه . فرسائله مليئة بالحكم والأمثال البليغة ، والأبيات المختارة ، والمعارف  
 المتنوعة ، ولقد أسهم فى الأدب نشره وشعره ، وترك لنا ديوانين فيهما ، وكتابا  
 فى الأمثال ، كما شارك فى علم الأنساب ، واللفه والنقد ، مما جعله من أكبر  
 علماء تلك البلاد التى تهافت عليه أهلها ، لطلب العلم ، والتعلم عليه ،

وخاصة أولاد الأمراء والقواد ووجوه القوم . . ولهذا فقد كثرت تلاميذه وبلغوا  
أعلا المراكز في تلك الدويلات ، يدل على ذلك كثرة رسائله اليهم . . ولعل أهم  
المعامل التي أسهمت في ثقافة الخوارزمي تلك الرحلات التي قام بها في حديثه .

فقد انتجع بلاط سيف الدولة ، وهو غرض الشباب ، بعد أن آنس من  
نفسه الصحافة والرشد ، فاجتمع هناك بأعلام الأثب واللغة والشعر والنقد  
وشتى فروع العربية ولكننا لم نجد له مشاركة مع أولئك الفحول ولعله أدلى  
بدلوه معهم فضاء ما قال في خضم انتاج أولئك الجهابذة العظام .

ومر ببغداد وأقام بها واستفاد من علمائها . ولما اشتد عوده ، واستوت  
ثقافته عاد الى فارس ، وهو يشعر أنه أديب عصره على الإطلاق ، وظن أن الولاة  
سوف يفرشون طريقه خزا وحريرا ، ولكنه شعر بالخيبة حينما وجدهم لا يقدر  
الأديب الا بقدر ما يبلغ في مدحهم ، وتلقاهم ، ومجايلتهم ، وهذا يخاف  
ما رآه من حكام حلب أولئك الذين يعمطون على قدر الاجادة ، ويكرمون من يصدق  
في مدحهم ، ويميزون جيد القول من رديئه .

فكان أول اتصال له بأبي على البلعمي الذي لم يعرف قدره ولم يحقق له  
آماله . ففارقه مضاضا ، وحاول البلعمي استعطافه ، ولكنه أبى أن يعود اليه  
فغير أن أبا نصر الميكاالي عوضه عما فاتته لدى البلعمي ، فلقد أكرم مثواه وتعريف في  
حضرتة بوجوه نيسابور وصاحبهم ، فطاب عيشه ، ولعل أبا نصر هو الوحيد  
الذي لم يشب كرمه للخوارزمي بالادانة ، فقد بقي الخوارزمي يثنى عليه ويتسول  
فيه أجود شعره . .

ولكن حبه في الترحال دفعه الى حضرة طاهر بن محمد بسجستان حيث . .  
أودعه السجن ، وبعد خلاصه منه عاد ثانية الى نيسابور بقي بها حتى جذبتة



حضرة صاحب بن عباد ، وهناك طاب عيشه بما أغدقه عليه صاحب  
من عطايا جزيلة لا يعطيها الا الملوك ، وكان من فضله عليه أن أوصله ببعض  
الدولة بشيراز الذي أجرى له راتباً يصله الى نيسابور كل عام .

وهكذا وصل الخوارزمي الى أكبر شخصيتين عرفتا في ذلك الجزء من العالم  
الاسلامي ، فنال أعطياتهما ، وقدماه على غيره من الأتباع . وقد كافأهما  
بقصائد ورسائل خبرهما في مدحهما ، وخاصة في صاحب ، أشادت بذكوره  
ونوهت بكرمه . . ثم سعى به الى الوزير المتبى فأمر بسجنه وأخذ ماله ، الا أنه استطاع  
أن يتخلص من السجن بحيلة ، واتفق أن قتل المتبى وجاء بعده المزنى وكان أشد الناس  
حبا له فزاد في إكرامه ورد ما أخذ من أمواله .  
ويذكر المؤرخون أن جفوة حصلت بين الخوارزمي والصاحب ولم يذكر سببها  
. . مع أننا لم نجد ما يثبت هذه الجفوة عند تلميذه الثعالبي ولا في أدب . . .

الخوارزمي نفسه سوى ذينك البيتين الذين تناقلها الناس في هجاء الصاحب ،  
وعلى كل فقد بقي الخوارزمي بخير حال ، يحاضر ويعلّم ، ويدرس ، ويؤلف ،  
حتى بلي في آخر أيامه ببديع الزمان الذي تحرش به ثم الجأ الى مناظرته ، وقد  
مات الخوارزمي اثر هذه المناظرة قهراً وكذا ، كما يذكر المؤرخون .

وقد بلغت مؤلفات الخوارزمي أحد عشر كتاباً ، ثلاثة منها نسبت إليه

خطأ هي :

- ( ١ ) رسم المعمور من البلاد .
- ( ٢ ) ومفيد العلوم ومبيد الهموم .
- ( ٣ ) والمكارم والمفاخر .

أما الأول فهو في علم الجغرافيا وقد نشر باسم مؤلفه الحقيقي / محمد بن

موسى بن شاكر الخوارزمي .

وأما الثاني . . فلأن مؤلفه يشتم الشيعة والروافض ، والخوارزمي يحتسز  
برافضيته ويتعصب للشيعة<sup>(١)</sup> ثم أن هذا الكتاب قد ثبتت نسبته لجمال الدين  
محمد بن أحمد القزويني وهو مخطوط باسم مؤلفه في المتحف البريطاني .

وأما الثالث فلأن مؤلفه يحت في الحنفية على السخاء والكرم وقد عرفنا أن . .  
الخوارزمي شيعي ، ثم أن ناشره لا يملك نسبته للخوارزمي سوى أسلمه ، وقد  
اتضح لي أن أسلوبه ليس أسلوب الخوارزمي .

ومنها ما ذكره بروكلمان من وجود كتاب في المقامات مخطوط بتركيا للخوارزمي  
مع أن تلك المقامات هي مقامات بدیع الزمان المشهورة .

ومنها " كتاب الأمثال " المنسوب للشعالبي وقد ثبت لدى أنه للخوارزمي  
بأدلة قاطعة لحل أهمها أن ناسخ الكتاب نفسه نسبة للخوارزمي كما وردت نسبته  
له في كتب المؤرخين ومنهم الميداني والبيهقي والخفاجي .

وله ديوان شعر بالفارسية لا يزال مخطوطا في المغرب العربي مع أنه لم يسرد  
في كتب من ترجموا له . وله كتابان لا يزالان مفقودين . . هما شرح ديوان المتنبي  
وكتاب الأنساب .

وقد أسهم الخوارزمي في ميداني الشعر والنثر فهو من الشعراء الكتاب  
أو من الكتاب الشعراء . وقد ذهب أكثر المعاصرين أنه في النثر أقوى منه في  
الشعر ، في حين وجدنا أن القدامى يقدّمون صفة الشاعرية لديه على صفة الكتابة .

وله قصائد شعرية تثبت أنه في الشعر أقوى منه في النثر وأعلى الأقل تجعله  
فيهما على السواء . وقد أسهم الخوارزمي برسائله الإخوانية المعروفة في رقي ذلك

(١) يقول الخوارزمي :

فها أنا را فضي عن تـسـرا ت \* وغيري رافضي عن كـلا لـه  
أعيان الشيعة ٤٥ / ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

الفن الذى بالغ فيه كتاب المصنوع الرابع ما جعل تلك الرسائل تشكل جنسًا أدبيا له خصائصه وطابعه كما كان للمقامات خصائصها وطابعها .

كما اشتهر في الهجاء النثرى ذلك الهجاء الحاد الذى نحا فيه كتاب القرن الرابع نحو الجاحظ فى رسالته الترييع والتدوير ومنه رسالته التى وجهها الى البديهي - يعبث به ويتهكم - وقد اتخذ كتاب القرن الرابع أغراض الشعر وطوعوها للنثر الفنى بل لقد طوعوا له حتى الأغراض العلمية كما فعل الخوارزمي حين كتب فى الأمراض وعلاجها . وكانت أهم خصائص رسائل الخوارزمي تلك :

الكلف بالسجع وفيه من أنواع الصنعة البديعية كما كان يبنينا على الاستعارة والتشبيه والكناية وبضمنها الحكم والأمثال والأشعار المختارة والاشارات التاريخية والعلمية كما كان يعتمد الى الأشعار الجيدة فيحلها ويستعمل معناها ، فرسائل الخوارزمي شعر فى ألفاظه وخیاله ، ولا ينقصها عنه الا الوزن ، كما أنه يكثر من الترادف والتكرار والمبالغة والتفهيل ..

ولكنه يميل الى الترسل ولا اهتمام بالمعنى حين يكتب فى المواضيع الجادة كما رأينا فى مقدمة كتابه الأمثال . وقد حدثت فى نهاية حياة الخوارزمي تلك المناظرة المشهورة بينه وبين بديع الزمان أدت الى كسوف شمس وهتزاز سمعته الأدبية فى نفوس الناس . وذلك أن البديع أخذ يتحرش به حتى ألجأه الى مناظرته .

وقد أعانه عليه وجوه القوم الذين كانوا مستوحشين منه لتعززه وتقديم السوزاء والولاء له عليهم .. وقد تحامل بديع الزمان على الخوارزمي فيما كتبه من تلك المناظرة التى لم تبحث فى صميم الأدب ولا فى قضايا أساسية .

فأظهره عيبا جاهلا . . لا يفهم فى اللغة ولا فى الشعر ولا فى النثر  
فى حين يظهر نفسه فيها فى صورة المبقرى الذى لا يعجزه شئ \* ، ولمـ  
ذلك أكبر مطمئن فى تلك المناظرة .

أما شعر الخوارزمى فهو على قلته وتناثره فى كتب التراث من أجود ما عرف من  
شعر فى تلك البيئات الفارسية فى تلك الفترة فله قصائد فى الرثاء والوصف والمدح  
تثبت مقدرة الشاعر وتروى على من رأى أنه فى النثر أقوى منه فى الشعر .

وقد أثرت سعة ثقافته وكثرة محفوظه من الشعر القديم واطلاعه على دواوين  
الشعراء الفحول فى تضمين شعره من شعر غيره حتى قال فيه أحد هــمـ  
لو نفضت أشعاره نفضة لا نتشرت تطلب أصحابها  
وقد أسهم الخوارزمى فى علم النقد وله أقوال فيه أن لم تجعله من كبار النقاد  
فهي تبين لنا مدى فهمه للأدب وذوقه الفنى . ولهذا كله فقد احتل الخوارزمى  
مكانة عالية بين أدباء عصره وذلك ما شهد به من ترجم له من القدماء أو المحدثين  
الذين جعلوه من الأدباء المشاهير الكبار . . ولم يكن احتلاله لهذه المكانة وهذه  
الشهرة بسبب ما وصلنا من إنتاجه المتمثل فى ديوان رسائله ومقطوعاته الشعرية  
المتناثرة فى كتب التراث وكتابه فى الأمثال فحسب ، ولكنه نالها بما كان عليه  
من الفضل والعلم ، وما كان يلقى من دروس ، ومحاضرات ، وما كان يلقى مؤلف  
فى شتى فروع العلم ، مما لم يصلنا .

ومع أن هذا المحصر هو عصفرة النثر على الشعر وتقدم الكتاب على الشعراء  
فإن نقاد ذلك العصر وما بعده لم يحاولوا أن يوازنوا بين أولئك الكتاب أو بين  
أدبهم . وكانت دراسة جيدة ومفيدة لو تمت .

فلو وازنا الخوارزمى بابن الحميد والصاحب وديع الزمان مثلا ، من حيث وفرة  
المحصول ، والجودة الفنية والاسهام فى خدمة الأدب وأخيرا فى المكانة التى حققها  
كل منهم لوجدنا أن الخوارزمى يفوق ابن الحميد انتاجا وإن قل عنه فى الجودة الفنية ،  
كما أنه يفوق الصاحب فى الجودة الفنية ويقل عنه انتاجا . ويتساوى مع البديع فى الانتاج  
ولكن البديع يسبقه بأبداعه وحسن أسلوبه .

## المقترحات :

والأمانة العلمية تلزمنا أن أذكر بعض المواضيع التي تطرقت إليها في بحثي هذا وأرى أنها لا زالت تستحق من يفرد لها بحثا شاملا مستقلا :

- ١ - كتب أسع أسع من ينسجون السنين  
خوارزم لا زالة الخلط الذي وقع فيه المؤرخون من نسبة كتب بعضهم إلى البعض الآخر .
- ٢ - وكظاهرة المناظرات منذ عرفها العرب في صورة المناقرات والمفاخرات حتى شملت كل فروع العلم والأدب وهي لعمرى دراسة مفيدة وطريفة .
- ٣ - وجمع وتحقيق شعر الخوارزمي وتعري الحقيقة عما ذكر من وجود مخطوطة له .
- ٤ - وظاهرة ذلك الهجاء العايب الذي بدأه الجاحظ برسالة التريبيع والتدوير وأبو المطهر في حكايته عن أبي القاسم البغدادى والخوارزمي في رسالته إلى الديدبيهي وأخيرا ابن زيدون في رسالته الهزلية لمقارنة تلك الرسائل ببعضها وبيان خصائصها وطابعها .
- ٥ - وأخيرا موازنة كتاب القرن الرابع الهجرى ببعضهم فقد احتلوا مكانة عالية في تاريخ الأدب العربى ، وأضافوا إليه أجناسا جديدة يستحقون من أجلها من يوازن بينهم من خلال أدبهم ذلك .

والله من وراء القصد وهو يهدي سوا السبيل .

عائض سعد الحارثي



- الأمانى / لأبى على القالى ( ٣٥٦ هـ ) ، مطبعة دار الكتب مصر —  
١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م
- الأمثال العربية القديمة / لرودف زلهام ، ترجمة رمضان عبد التواب  
دار الأمانة بيروت ( بدون تاريخ )
- الأمير سيف الدولة الحمدانى / لماريوس كانار طبع لتيو ليو وجول كريونيل  
الجزائر ١٩٣٤ م
- الأنساب / لأبى سعد عبد الكريم بن محمد التميمى السمعانى ( ٥٦٢ هـ )  
ط ١ ، مطبعة دائرة المعارف الهند ١٣٨٥ هـ
- الأنساب المثقة / لأبى الفضل محمد بن طاهر القيسرانى ( ٥٠٧ هـ ) ،  
ليدن . هولندا ١٨٦٥ م

## — ب —

- بديع الزمان الهمدانى رائد القصة العربية / لمصطفى الشكعة — طبع  
دار الحماسى القاهرة ١٩٥٩ م
- برد الأكباد فى الأعداد ( ضمن مجموعة خمس رسائل ) للشمس أبى منصور  
عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ( ٤٢٩ هـ ) ط ١ الجوائب ١٣٠١ هـ  
بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطى ط ١ ( ١١١ هـ )  
مطبعة عيسى الحلبي مصر ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م
- بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب / لمحمود شكرى الألوسى البغدادى  
شرح وتصحيح محمد الأثرى ط ٣ مطابع دار الكتاب العربى —  
مصر ١٣٤٢ هـ

— البيان والتبيين / لأبى عثمان الجاهظ ( ٢٥٥ هـ . ) تحقيق عبد السلام هارون — ط ٣ طبع مكتبة الخانجي والمثنى القاهرة .

— تاج التراجم فى طبقات الحنفية / لأبى العدل قاسم بن قطلوبغا ( ٨٧٩ هـ . ) — مطبعة المائى بغداد ١٩٦٢ م .

— ت —

— تاريخ أبى الفداء / المختصر فى أخبار البشر / لأبى الفداء اسماعيل ابن نور الدين على ( ٧٣٢ هـ . ) دار الفكر لبنان ١٩٥٦ م .

— تاريخ آداب اللغة العربية / لجرى زيدان طبع دار الهلال مصر .

— تاريخ الأدب العربى / لكارل بروكلمان طبع دار المعارف بمصر ( بدون تاريخ ) .

— تاريخ الأدب العربى لحنا الفاخورى — المطبعة البولسية ببيروت .

— تاريخ الأدب العربى ( العصر العباسى ) لمرفوخ . ط ٣ المطبعة الحسينية مصر ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م .

— تاريخ الأدب العربى العصر العباسى الثانى / لشوقى ضيف / طبع دار المعارف مصر ١٩٧٣ م .

— تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى / للسباعى بيومى / طبع دار العلوم مصر ١٩٣٥

— تاريخ الأدب العربى ( للمدارس الثانوية ) لأحمد حسن الزيات ط ٥ دار نهضة مصر ( بدون تاريخ )



- تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق / لمحمد جمال الدين سـرور ط ٤  
طبع دار الفكر العربي مصر ١٣٩٦ هـ . — ١٩٧٦ م .
- تاريخ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري / لآدم متز / ط ٤ دار  
الكتاب العربي بيروت ١٣٨٧ هـ . — ١٩٦٧ م .
- تاريخ بغداد / لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ( ٤٦٣ هـ . )  
طبع أوفست كونرو غرافيت ، الناشر الكتاب العربي بيروت .
- تاريخ اللغة العربية في العباسي <sup>العصر</sup> / لأحمد الاسكندري / ط ١ مطبعة  
السعادة مصر ١٩١٢ م .
- تاريخ النقائص في الشعر العربي / لأحمد الشايب ط ٣ طبع دار الاتحاد  
العربي مصر ١٩٦٦ م .
- تنمة اليتيمة / للشعالبي . . تحقيق عباس اقبال / طبع فرديــــن  
طهران ١٣٥٣ هـ .
- تكملة تاريخ الطبري / لمحمد بن عبد الملك الهمداني ( ٥٢١ هـ . ) تحقيق  
يوسف كنعان ط ٢ / طبع المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦١ م .
- تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون / لخليل بن ابيك الصفدي ( ٧٦٤ هـ )  
تحقيق / عبد الفتاح الحلو — طبع دار الفكر العربي مصر ١٣٨٩ هـ . — ١٩٦٩ م .
- تهذيب سيرة ابن هشام / لعبد السلام هارون / تعليق محمد قلعه جسي  
نشر وتوزيع ربيع حلب ( بدون تاريخ ) .

— ث —

- الشعالبي ناقدًا وأديبًا / لمحمود عبد الله الجادر / دار الرسالة للطباعة  
بغداد ١٣٩٦ هـ . — ١٩٧٦ م .

— شمار القلوب في المضاف والمنسوب / للثعالبي تحقيق أبو الفضل إبراهيم  
مطبعة المدني مصر ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٥ م.

— ج —

— جمع الجواهر في الملح والنوادر / لأبي اسحاق إبراهيم بن علي الحصري  
القيرواني ( ٤٥٣ هـ . ) / تحقيق علي الجاوي ط ١ مطبعة عيسى البابي  
الحلي / مصر ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م.

— جمهرة أشعار العرب / لأحمد زكي صفوت ط ٢ مطبعة البابي الحلبي مصر  
١٣٨١ هـ — ١٩٦٢ م.

— ح —

— حكاية أبي القاسم البغدادى / لأبي المطهر أحمد بن محمد الأزدي /  
مطبعة كرل ونتر هيدلج ١٩٠٢ م.

— حلية الكميت / لشمس الدين محمد بن الحسن النواجي ( ٨٥٩ هـ . )  
المطبعة الأميرية ببولاق مصر ١٢٧٦ هـ.

— حساسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء / لأبي محمد عبد الله بن محمد  
الزوزنى ( ٤٣١ ) تحقيق محمد المصبيد . مطبعة دار الحريّة  
بغداد ١٩٧٣ م.

— خ —

— خاص الخاص / للثعالبي / دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٦ م.

— خزائن الكتب العربية في الخافقين / لفليب دي طرازي / مطابع جـوزف  
سليم بيروت ١٩٤٧ م.

— خمس رسائل / للشعالبي . ط ١ مطبعة الجوائب ١٣٠١ هـ .

— د —

— دائرة المعارف / للبستاني / مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان / تهران

ناصر خسرو والمطبعة الأدبية بيروت ١٨٨٧ م .

— دائرة معارف القرن العشرين / لمحمد فريد وجدي / ط ٢ دار المعرفة

للطباعة والنشر لبنان ١٩٧١ م .

— ديوان ابن زيدون ورسائله / لابن زيدون تحقيق عبد العظيم / طبع

مكتبة نهضة مصر ١٩٥٧ م .

— ديوان المماني / لأبي هلال المسكري / نشر مكتبة القدسي القاهرة ( ١٣٩٥ هـ )

١٣٥٢ هـ .

— الدويلات الاسلامية في الشرق / لمحمد علي حيدر / نشر عالم الكتب

القاهرة ١٩٧٤ م .

— ر —

— رسائل بديع الزمان الهمداني / لبديع الزمان ( ٣٩٨ هـ ) ط ١ ،

مطبعة الجوائب الاستانة ١٢٩٨ م .

— رسائل الجاحظ / لأبي عثمان عمرو الجاحظ ( ٢٥٥ هـ ) طبع دار النهضة

الحديثة بيروت ١٩٧٢ م .

— رسائل الخوارزمي / لأبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي / المطبعة

المثمانية مصر ١٣١٢ هـ .

— رسالة التوابع والزوابع / لابن شهيد الأندلسي ( ٤٢٦ هـ ) / تحقيق بطرس البستاني / مطبعة المناهل بيروت .

— الرسالة الحاتمية / لأبي علي الحاتمي ( ٣٨٨ هـ ) / طبع الجوائب القسطنطينية ١٣٠٢ هـ .

— الرسالة الموضحة / لأبي علي الحاتمي / تحقيق محمد يوسف نجسم دار صادر بيروت ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م .

— روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات / للميرزا محمد باقر الاصفهاني مطبعة مهراستوار طهران ١٣٩٢ هـ .

— ربحانة الأدباء وزهرة الحياة الدنيا / لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي ( ١٠٥٩ هـ ) / تحقيق أبو الفضل ابراهيم ط ( ١٠٥٩ هـ ) / تحقيق أبو الفضل ابراهيم ط مطبعة عيسى الحلبي مصر ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٧ م .

### — ز —

— زهر الآداب وثمر الألباب / لأبي اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني ( ٤٥٣ هـ ) ط ٢ مطبعة عيسى الحلبي مصر ( بدون تاريخ ) .

### — س —

— سحر البلاغة / للشعالبي ط ١ مطبعة الترقى بدمشق .

### — ش —

— شذرات الذهب في أخبار من ذهب / لأبي الفلاح بن العماد الحنبلي ( ١٠٨٩ هـ ) / طبع كونروغرافير . بيروت .

— التبيان على ديوان أبي الطيب / منسوب لأبي البقاء المكي ( ٦١٦ هـ ) طبعة سنة ١٢٨٧ هـ .

— شرح ديوان أبي الطيب / لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدى ( ٤٦٨ هـ )  
نشر فريد ر. ديهيوس برلين ١٨٣١ م .

— شرح المضمون به على غير أهله / لمبيد الله بن عبد الكافى العبيدى  
تحقيق اسحاق المقدسى ط ١ مطبعة السعادة مصر ١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م  
— شفاء الفليل فيما فى كلام العرب من الدخيل / لأحمد الخفاجى المصرى  
( ١٠٦٩ هـ ) تحقيق عبد المنعم خفاجى / المطبعة المنيرية بالأزهر  
ط ١ مصر ١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م .

— ص —

— صاحب بن عباد . حياته وأدبه / لمحمد حسن آل ياسين ط ١ مطبعة  
المعارف بغداد ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م .

— الصبح المنبى عن حيشة المتنبي / ليوسف البديعى ( ١٠٧٣ هـ ) ،  
مطبعة الاعتدال ١٣٥٠ هـ . دمشق .

— الصنائع والكاتب والشمر لأبى هلال العسكري ( ٣٩٥ هـ ) تحقيق على  
الهجاوى وزميله ط ٣ طبع عيسى الحلبي مصر ( بدون تاريخ )

— ط —

— طبقات الشافعية الكبرى / للسبكي ( ٧٧١ هـ ) طبع البابى الحلبي  
مصر ١٩٦٥ م .

— طبقات النحاة واللغويين / لابن قاضى شهبه الأسدى الشافعى ( ٨٥١ هـ )  
تحقيق محسن غياض طبع النعمان العراق .

— طيف الخيال / لعل بن الحسين الطقب بالشريف المرتضى ( ٤٣٦ هـ )

تحقيق محمد كيلاى ط ١ مطبعة مصطفى الحلبي مصر ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م

— ظ —

— ظهر الاسلام / لأحمد أمين ج ٢ ط ٤ النهضة المصرية القاهرة

١٩٦٦ م

— ع —

— العقد الفريد / لأحمد بن عبد ربه ( ٣٢٨ هـ ) ط ٢ المطبعة الأزهرية

مصر ١٣٤٦ هـ — ١٩٢٨ م

— عيار الشعر / لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوى ( ٣٢٢ ) تحقيق طه

الحاجرى وزميله طبع شركة فن مصر ١٩٥٦ م

— ف —

— فقه اللغة وسر العربية / للثعالبي تحقيق مصطفى السقا وزميله / مطبعة

البابى الحلبي مصر ١٣٩٢ — ١٩٧٢ م

— الفن ومذاهبه فى النثر العربى / لشوقى ضيف ط ٧ دار المعارف

مصر ( بدون تاريخ )

— فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين / لمصطفى الشكمه / مطبعة المعرفة

١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م

— فهرس دار الكتب المصرية مطبعة دار الكتب مصر ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م

— فى الأدب العباسى / لمحمد مهدى البصير ط ٣ مطبعة النعمان العراق

١٩٧٠ م

- ق -

القاموس المحيط / للفيروز بادى

ط ٣ المطبعة الحسينية مصر ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م

الكاموف اللفظة وانه دب / لتكرار ( ٢٨٥ ) - المكتبة الخاريج مصر

الكامل فى التاريخ / لأبى الحسن على بن أبى الكرم ابن الاثير ( ٦٣٠ هـ )

دار صادر بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م

الكشكول / بهاء الدين العاطلى ( ١٠٣١ هـ ) تحقيق طاهر الزاوى /

مطبعة عيسى الحلبي مصر ( بدون تاريخ )

كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون / لحاجى خليفة ( ١٠٦٧ هـ )

طبع مكتبة المثنى بغداد ( بدون تاريخ )

الكشف عن مساوىء شعر المتنبي / للمصاحب أبى القاسم اسماعيل بن عباد

( ٣٨٥ هـ ) تحقيق محمد آل ياسين مطبعة المعارف بغداد

١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

كمال الهلافة / لشمس المعالى بن ووشمكير ( ٤٠٣ هـ ) / المطبعة

السلفية مصر ١٣٤١ هـ

- ل -

اللباب فى تحرير الأنساب / لابن الأثير على بن أبى الكرم الجزرى ( ٦٣٠ )

طبع مكتبة القدسي ١٣٥٧ هـ

لب اللباب فى تحرير الأنساب / لجلال الدين السيوطى ( ٩١١ ) طبع

مكتبة المثنى بغداد

— اللطائف والظرائف / جمع أحمد عبد الرزاق المقدسي ( جمع فيه بين كتابي

اللطائف والظرائف واليواقيت في بعض المواقيت للشمالي ) / طبع

سنة ١٢٩٦ م . مصر .

— لطائف المعارف / للشمالي / طبع عيسى الحلبي مصر .

— م —

— مثالب الوزيرين / لأبي حيان التوحيد ( ٤١٤ هـ . ) / نشر وتوزيع

دار الفكر بدمشق .

— مجمع الأمثال / لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني ( ٥١٨ ) تحقيق

محمد عبد الحميد / مطبعة السنة المحمدية مصر ١٣٧٤ هـ . — ١٩٥٥ م .

— مجاني الأدب في حقائق العرب / للأب لويس شيخو اليسوعي المطبعة .

الكاثوليكية بيروت ١٨٩٩ م .

— محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء / لأبي القاسم حسين بن محمد

( ٥٥٠٢ هـ ) . مطبعة ابراهيم المويلحي مصر ١٢٨٧ هـ .

— مرآة الجنان وعبرة اليقظان / لمحمد بن عبد الله اليافعي اليمني ( ٧٦٨ هـ )

مطبعة المعارف حيدرآباد ١٣٣٨ هـ .

— المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها / لعبد الله الطيب

ط ١ مطبعة الدار السودانية - الخرطوم ١٩٧٠ م .

— المرقصات والمحاربات / لنور الدين علي بن الوزير أبي عمران ( ٦٧٣ هـ . )

ط ٢ نشر دار حمد ومحيو ١٩٧٣ م .

— مباح المشاق / لأبي محمد جعفر بن أحمد السراج ط ١ مطبعة الجوائب

١٣٠١ هـ .



- مطالع البدور في منازل السرور / لملاء الدين علي بن عبد الله البهائي  
النفزولى / ط ١ طبع ادارة الوطن .
- المطالعة المختارة / من مطبوعات الادارة العامة لكلليات والمعاهد  
العلمية ط ٣ الرياض ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- معالم الشعر وأعلامه في مصر الحباسى الأول / لمحمد نبيه حجاب - دار .  
المعارف مصر ١٩٧٣ م .
- معجم الأدباء / لياقوت أبى عبد الله الرومى البغدادي ( ٦٢٦ هـ ) ،  
مطبعة عيسى الحلبي الطبعة الاخيرة مصر ( بدون تاريخ ) / ومطبعة  
هندي بالموسكى ط ٢ مصر ١٩٢٤ م .
- معجم البلدان / لأبى عبد الله ياقوت الحموى / دار صادر بيروت  
بيروت ( بدون تاريخ ) .
- معجم المؤلفين / لعمر كعالة / مطبعة الترقى دمشق ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م
- معجم المطبوعات العربية والمصرية / لهوڤفالياس سرقيس / طبع سرقيس  
مصر ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م .
- مقامات بديع الزمان الهمداني / لبديع الزمان / المطبعة الكاثوليكية بيروت  
( بدون تاريخ ) .
- مقدمة ابن خلدون / لعبد الرحمن بن خلدون المفرنس ( ٨٠٨ هـ ) /  
طبع دار التحرير مصر ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
- مقدمة في صناعة النظم والنشر / لمحمد بن حسن النواجي / تحقيق  
محمد عبد الكريم . منشورات مكتبة الحياة بيروت .
- المكارم والمفاخر / منسوب لأبى بكر الخوارزمي ( ٣٨٣ هـ ) شرح عزت  
العتار القاهرة ١٩٣٥ م .

— ملحق فهرس المخطوطات العربية بالمتحف البريطاني : ( انجلىزى ) ،  
طبع لندن ١٨٩٤ م .

— مناظرات فى الأدب / جمع وشرح عزت المطار القاهرة ١٩٣٤ م .  
— المنحل للشعالى ط ١ المطبعة التجارية مصر ١٣١٩ هـ .  
— المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم / لابن الجوزى عبد الرحمن بن علس  
( ٥٩٧ هـ . ) / طبع دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد الهند  
١٣٥٧ هـ .

— مواسم الأدب وآثار المعجم والمرب / لجعفر محمد البى العلوى ط ١  
مطبعة السعادة مصر ١٣٢٦ هـ .

— الموشح / لأبى عبد الله محمد بن عمران المرزبانى ( ٣٨٤ هـ . ) / تحقيق  
على البجاوى / طبع لجنة البيان العربى مصر ١٩٦٥ م .

— ن —

— النشر الفنى / لزكى مبارك / دار الكتاب العربى للطباعة والنشر  
القاهرة ( بدون تاريخ ) .

— نشر النظم / للشعالى / ط ١ المطبعة الأدبية مصر ١٣١٧ هـ .

— نزهة الألباء فى طبقات الأدباء / لعبد الرحمن بن محمد الأنبارى ( ٥٥٧ هـ )  
طبع مطبعة المدنى مصر .

— نشوا المحاضرة وأخبار المذاكرة / لأبى على المحسن بن على التوخى ( ٣٨٤ )  
تحقيق عبود الشالجبى . ١٣٩١ — ١٩٧١ م .

— نقد النشر / لقدامة بن جعفر البفدادى ( ٣٣٧ هـ . ) / تحقيق  
طه حسين وزميلة . مطبعة مصر . مصر ١٩٣٨ م .

— نفحة الريحانة / لمحمد أمين المحبى / ط ١ طبع عيسى الحلبي

مصر ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م

— ه —

— هدية المعارف في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين / لاسماعيل البغدادي

مكتبة المثنى بغداد ١٩٥٥ م

— و —

— الوافي بالوفيات / لصالح الدين الصفدي ( ٧٦٤ هـ ) / ط ٢ ،

فرائز شتاير بريس بادن ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م

— الوساطة بين المتبى وخصومه / لعلي بن عبد العزيز الجرجاني ( ٣٩٢ هـ )

تحقيق أبو الفضل ابراهيم وزميله . مطبعة عيسى الحلبي مصر ١٩٦٦ م

— الوسيط في الأدب العربي وتاريخه أحمد الاسكندري ومصطفى عناني طبع

دار المعارف بمصر الطبعة الخامسة عشر .

— وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / لابن خلكان ( ٦٨١ هـ ) / فـ

٤ مجلدات طبع دار الثقافة بيروت ( بدون تاريخ )

— ي —

— يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر / للشعالبي ( ٤٢٤ هـ ) / ،

تحقيق محمد عبد الحميد .

ط ٣ مطبعة السعادة مصر ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م

المجلدات

---

- مجلة الأزهر الشريف  
المجلد الثالث السنة الرابعة والثلاثون  
أكتوبر ١٩٦٢ م .
- مجلة الرسالة  
المجلد الثاني عدد ٣٣٧  
سنة ١٩٣٩ م .
- مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق  
المجلد ٢٣  
مطبعة الترقى دمشق ١٣٦٧ هـ . — ١٩٤٨ م .

- الاعجاز والايجاز / للشمالي / مكتبة حكومت عارف المدينة المنورة  
رقم المخطوط ٢١ / ١٤
- الأمثال / للشمالي استانبول غزته رقم المخطوط ١١٥٠ / ٣
- الأمثال للخوارزمي استانبول فيض الله رقم المخطوط ٢١٣٣
- بدائع المطح / لقاسم بن الحسين بن محمد الخوارزمي ( صدر الافاصل )  
استانبول لاله لي رقم المخطوط ١٢٥٠
- تحسين القبح وتقييح الحسن / للشمالي ضمن مجموعة فيض الله ٢١٣٣
- تحفة الوزراء / للشمالي / القاهرة دار الكتب المصرية رقم المخطوط  
٦٣٣٣ وانظر مجموعة فيض الله ( ٢١٣٣ )
- التوضيح في شرح المقامات الحريري / للقاسم بن الحسين الخوارزمي  
نسخة لندن ( لدى الزميل عبد الرحمن المشيمين ) .
- رسائل أبي بكر الخوارزمي / للخوارزمي المدينة المنورة المكتبة المامنة  
رقم المخطوط ٨١١ / ٢٢
- سر الحقيقة / للشمالي . . استانبول فيض الله ضمن مجموعة  
فيض الله ٢١٣٣
- كتاب الآداب / للشمالي المدينة المنورة مكتبة حكومت عارف رقم  
المخطوط ٧ تم نسخه سنة ١٢٦٦ هـ .
- الكتاب اليميني في شرح أحوال السلطان عبد الله أبي القاسم محمود  
ابن سيكتكين / لأبي نصر المعتبي ألف سنة ٤٥٨ هـ وتم نسخه سنة ٧٠٢ هـ .
- بدار الكتب المصرية رقم المخطوط ٧١٥٦

مقامات بديع الزمان الهمذاني استانبول نور عثمانية رقم المخطوط ٤٢٧٠

تم نسخه ١١٢٦ هـ .

مناظرة الامامين الجليلين أبي بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني

استانبول عاطف أفندي رقم المخطوط ٢٢٧٢

نسخها ١١٤٢ عبد الله المؤذن .

المنتخب سنن العرب ( ضمن مجموعة فيض الله ٢١٣٣ ) .

من غاب عنه المطرب / للثعالبي المدينة المنورة مكتبة حكمة عارف رقم المخطوطة ١٧٧

المهذب من اختيار شعر أبي الطيب المتنبى وأحواله وسيرته وما جرى بينه

وبين الطوك والشعراء للثعالبي .

القاهرة مكتبة الازهر .

رقم المخطوط ١٨١٩٤ تم نسخه ١٠١٥ هـ .

=====

XXXXXXXX

\*\*\*

" فهرس الموضوعات "

رقم الصفحة

- مقدمة : موضوع البحث - سبب اختياره - منهجه ومصادره أ - ٥  
تمهيد : نشأة الأتقان السياسية في العصر العباسي الثاني ..... ١ - ٦

الباب الأول

- ( عصره الأدبي ) ..... ( ٧ - ٣٣ )  
الفصل الأول : بيئات الأدب في عصره ..... ( ٨ - ١٨ )  
أ - بيئة فارس وخراسان ..... ( ٨ - ١٢ )  
ب - بيئة العراق ..... ( ١٢ - ١٤ )  
ج - بيئة الشام ..... ( ١٤ - ١٨ )  
الفصل الثاني : ظاهرة المناظرات الأدبية والعلمية في العصر الثاني ( ٢٠ - ٣٣ )

الباب الثاني

- ( حياته العامة ) ( ٣٥ - ٦١ )  
الفصل الأول : أصله ونسبه وموطنه ..... ( ٣٥ - ٤٧ )  
مولده ووفاته ..... ( ٣٧ - ٤١ )  
ثقافته وأساتذته وتلاميذه ..... ( ٤١ - ٤٧ )  
الفصل الثاني : رحلاته الأدبية وصلاته بالأمراء والكتاب ..... ( ٤٨ - ٦١ )  
في حلب ( سيف الدولة ) ..... ( ٥٠ - ٥١ )  
في بخارى ( البلخمي ) ..... ( ٥١ - ٥٢ )  
في نيسابور ( أبو نصر الحكالي ) ..... ( ٥٢ - ٥٣ )  
في سجستان ( طاهر بن محمد ) ..... ( ٥٢ - ٥٣ )  
في أصفهان ( صاحب بن عباس ) ..... ( ٥٤ - ٥٧ )  
في شيراز ( عضد الدولة ) ..... ( ٥٨ - ٦١ )

### الباب الثالث

رقم الصفحة

(٢٤٦-٦٣) ..... (أدبه وأسلوبه)

الفصل الأول : مصادر أدبه المطبوع منها والمخطوط ..... (٧٩-٦٣)

الفصل الثاني : النشر ..... (١٨٥-٨٠)

أ - رسائله الواردة في ديوانه وأغراضها المختلفة (١٢٦-٨٠)

ب - رسائله التي لم يحوها الديوان ..... (١٢٩-١٢٦)

ج - المقال ..... (١٣٤-١٣٠)

د - مناقشته لبديع الزمان ..... (١٧٥-١٣٥)

هـ - خصائص نشره ومدارسته التي ينتمى إليها ..... (١٨٥-١٧٦)

الفصل الثالث : الشعر ..... (٢٢١-١٨٦)

أغراض شعره ..... (٢١٧-١٨٩)

خصائصه الفنية ..... (٢٢١-٢١٨)

الفصل الرابع : الخوازمي والتقليد ..... (٢٣١-٢٢٢)

الفصل الخامس : مكانته وموازنته بأدباء عصره ..... (٢٤٦-٢٣٢)

الخاتمة : تلخيص البحث والمقترحات ..... (٢٥٥-٢٤٧)

فهرس المراجع ..... (٢٦٩-٢٥٦)

فهرس المجلات ..... (٢٧٠-٢٧٠)

فهرس المخطوطات ..... (٢٧٢-٢٧١)

فهرس الموضوعات ..... (٢٧٤-٢٧٣)

